

الطبعة 2
طريق الحرير
رواية
إبراهيم أحمد عيسى
دار كتوبيا للنشر والتوزيع
ساحر الكتب



طَريق الحَرِير

(رواية)



الكتاب: طريق الحرير

الكاتب: إبراهيم أحمد عيسى

الطبعة الأولى والثانية: ٢٠١٤/ ٢٠١٥- دار ذات

الطبعة الثالثة: ٢٠١٦- دار كتوبيا

الترقيم الدولي: 978-977-5311-81-8

رقم الإيداع: ٢٠١٦/١٩٥٥٤

تصميم الغلاف: أحمد فرج

تدقيق لغوي: مريم المير



تليفون: ٠١٢٧١١٨٥٧٣١

بريد إلكتروني: kotopiapu@gmail.com

فيس بوك: Facebook/kotopiapu

عنوان: ٣٦٨ شارع عبد السلام عارف فيكتوريا/ الإسكندرية.



طَريق الحَرِير

رواية

إبراهيم أحمد عيسى



دار كتوبيا للنشر والتوزيع





والنفـس ترجـو همـة الخلـود.. فـي العلـم والبنيـان والمولـود

أحمد شوقي





شكراً آل المير





النبوءة

غرناطة - جنوب الأندلس

تمايلت أغصان الأشجار لتُعَبِّر عن بعض النسيم البارد في ليلة صيفية غاب قمرها وتلألأت نجومها لتضفي على قصر الحمراء المزيد من الروعة و الجمال، ذاك القصر الذي بناه « ابن الأحمر» ليكون مقراً لحكمه في غرناطة، آخر معاقل المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية ، قطع سكون الليل صدى صرخات مدوية .. كان مصدرها أحد أجنحة القصر المهيب ، عمت أروقته الكثير من الفوضى تحركت الخادمات في سرعة داخل الجناح الملكي بينما وقف الحراس في صمت ينقلون أبصارهم بين وجوه الخادمات في وجوم.. لم تكن تلك الصرخات سوى آلام الوضع لزوجة ملك غرناطة تعلن عن قدوم وليدها إلى الحياة، ذلك الطفل الذي طالما حلمت بإنجابه ... ليصبح ولي العهد و وريث المملكة الأخيرة ، حملت تقاسيم وجهها الألم المختلط بالفرحة ، أما عقلها فكان يذكرها بأن هناك من يريد العرش لنفسه ، ولم يكن يتمنى أن يحصل أخوه على ذلك الطفل الذي سيبدد أحلامه وطموحاته ... كل هذا مر بخلدها وهي تحمل رضيعها بين يديها تتأمله ودموع فرحتها تغرق خديها.

في الجانب الآخر من القصر أمام باب بهو السفراء الذي يعد أضخم أبهاء الحمراء سعةً ، وقف حارسان يتجاذبان أطراف الحديث في خفوت ، مجرد



حديث يكسر ملل نوبة حراستهم ، تجهم أحدهم وهو يشير بطرف عينيه إلى القادم بأول الممر، ما أن لمحه الآخر حتى عدل من وضعيته ليقف الاثنان في احترام وانتباه ، لم ينطقا إلا عندما اقترب الوافد وألقى عليهم التحية، رداها بصوت واحد قبل أن يتابع :

- هل مولاي الملك بالداخل ؟

- نعم سيدي ..

جاءته الإجابة من أحدهما بسرعة .. لم يكن هذا الوافد سوى « عبد الله « قائد الحرس وصديق الملك ، وقف لحظات عَدل فيها من هندامه العسكري قبل أن يشير للحارس بفتح الباب العملاق المزين بنقوش وكلمات عربية ،و ما إن فتح، حتى تقدم بخطوات ثابتة داخل قاعة ضخمة زينت جدرانها بالنقوش والزخارف الرائعة ، تدلت من سقفها ثريات ممتلئة بزيت تتوهج من فوقه نيران أضاءت أرجاء القاعة ، فيما انتصب صفان من الأعمدة ذات التيجان المزينة بعبارات المجد والثناء على الله ... توقف عبد الله أمام ملكه قائلاً:

- السلام عليك يا أمير المؤمنين

- وعليكم السلام يا عبد الله .. جاء الرد فاتراً من بين شفتي الملك ، ليعقد «عبد الله» حاجبيه في استغراب : تهانينا مولاي بقدوم ولي العهد ..

ألقى كلماته وعيناه تتفحصان الملك الذي لم يبدُ عليه الفرح ولم تحمل ملامح وجهه سوى القلق والحيرة .

- مولاي ما بك ؟؟

- لا أعلم يا صديقي أأفرح أم أحزن ؟!

كان «عبد الله» يحاول أن يعرف ماذا حل بصاحبه وهو الذي رزق اليوم



بولي عهده ، ولكن سرعان ما جاءت الإجابة التي كان يتوقعها :

- مازالت تلك الرؤيا تملأ عقلي.

ابتسم «عبد الله» في محاولة للتخفيف عن صاحبه :

- إنها مجرد أضغاث أحلام سيدي ..

- أين أخي «يوسف» ؟؟

جاء السؤال مباغتاً لعبد الله الذي استشف ما يدور بخلد قائده فأجاب بسرعة :

- إنه بمدينة مالقة منذ أيام .

أومأ الملك برأسه : جيد ... أريده مراقباً طوال الوقت ..

قالها وهو ينهض عن كرسيه مستطرداً : أقيموا الاحتفالات في أنحاء غرناطة قدموا العطايا للفقراء وأعلنوا قدوم ولي العهد ..

****

تحولت غرفة الملكة إلى مكان يتعذر العثور على الهدوء بداخله ، فقد كان يعمها جو من البهجة صنعته الأميرات والخادمات فرحاً بقدوم ولي العهد، فضحكاتهن قد ملأت القصر، لم لا وهو المولود الذي طال انتظاره ..

دخلت إحدى الخادمات مسرعة إلى الغرفة صارخة : مولاي في طريقه إلى هنا .. كانت كلماتها كافية لجعلهن يهرعن لتسوية أثاث الغرفة ، وتحشمت بعضهن بحجاب بينما تعالت ضحكات الملكة المرهقة وهي تنظر إليهن .. لم تمر لحظات حتى دخل الملك في حين تراصت الخادمات صفاً واحداً .. تبسم وهو ينظر إلى زوجته التي حاولت أن تعتدل في جلستها بينما أشار هو بيده قائلاً:

.لا تتحركي يا ملكتي العزيزة .



أشاحت بوجهها في خجل زاد من جمالها رغم الإرهاق الذي يبدو عليها .. جلس إلى جوارها وهو يشير للخادمات بأن ينصرفن . وما أن أُغلق الباب حتى أمسك بيد زوجته في حنان وهو ينظر إليها قائلاً بصوت هادئ : ما أجملك اليوم.

اتقدت جمرات الخجل على خديها مع ابتسامة راقية زينت شفتيها قبل أن تقول : ألا تريد رؤية ولي عهدك ؟؟

وما إن أنهت كلماتها حتى حملت الرضيع الذي لم يتعدَّ عمره سويعات وقدمته للملك، مد يديه مبسملاً وعيناه تتفحص فلذة كبده ، تأمله في صمت، كم تمنى هذا اليوم، لقد أصبح أبا .. احتضن الصغير النائم مؤذناً في أذنه بنداء الحق في سنة اشتهربها المسلمون... وما أن انتهى حتى رفعه مرة أخرى أمام وجهه محدثا نفسه ..هل ستكون مثل أجدادك أسدا يخشاه الجميع ؟؟ هل ستحمل لواء الإسلام في أرض تكالبت عليها الأعداء؟ وهل ستحافظ على الأندلس وما تبقى منها ؟..قطع تساؤلاته صوت زوجته الناعم : مولاي هل اخترت اسم الأمير؟؟!!

التفت وهو يضع الصغير بجوارها قائلاً : هاشم .. سأسميه هاشما .

نطقها وعقله يسترجع مشاهد رؤياه التي ما فتئت تؤرق حياته ؛ رأى غرناطة تحترق بأحيائها ، وذلك الفتى الذي يركض ويركض، وبموازاته يحلق طائرعالياً فوق أطلال المدينة المحترقة ، وتلك الكلمات التي لم يفهمها تعصف بعقله وقلبه دون أن يجد لها تفسيرا...

****



قبل ساعات ..

في إحدى الكهوف الصغيرة على حدود غرناطة ، جلست امرأة أمام بعض الأخشاب المشتعلة التي بددت ظلمة الكهف الصغير، لم تكن هيئتها وملابسها تدل على أنها أندلسية بدت وكأنها تجسيد لـ(فينوس) آلهة الجمال عند الإغريق ، شعرها الأشقر وعيونها الزرقاء يضيفان عليها روعة ، جمالها يوحي بأنها مصدر الضوء الذي اشتعلت بفضله تلك النار الموقدة ... كانت منهمكة في مطالعة أوراق وكتب قديمة وبين الحين و الآخر تنظر للنجوم وتتمتم ببعض الكلمات وعلى وجهها ترتسم ابتسامة توحي بكثير من الراحة .. قطع استرخاءها صوت تحركات خلف بعض الشجيرات خارج كهفها ، سحبت سيفها القصير وتقدمت في حذر نحو مصدر الصوت ، توقفت متحفزة تنتظر ما سينبعث من بين الأشجار..

- ماذا تفعلين هنا يا سيدتي ؟؟

أفزعتها الكلمات فاستدارت لتواجه صاحبها ، وجدت أمامها عشرة فرسان بكامل عتادهم يمتطون خيولا حربية ، وقفت ثابتة رغم دهشتها ترمقهم متفحصة ، بينما يعاود قائدهم السؤال :

- ماذا تفعلين هنا ؟؟ ومن أنتِ ؟؟

جاء السؤال هذه المرة صارما مع تقدم الجواد نحوها ... أنزلت سيفها أمام تجهم الجنود وهي تقول بعربية ركيكة :

- جئت لمقابلة أمير غرناطة .

عقد مُحدثها حاجبيه وهو يدور حولها بجواده القوي ، تأملها للحظات قبل أن يترجل متقدماً نحوها :

- أأنتِ قشتالية ؟؟



بابتسامة ساحرة أجابت: لا بل مقدونية.

اجتاحتهم عواصف الدهشة والحيرة ، فلم يتخيل أحدهم أن هناك امرأة تستطيع قطع تلك المسافة وحدها .. أما قائدهم الذي كان الشك يدق طبول الإنذار في قلبه فكان يقف متأملاً تلك الكتب بجانب النيران المشتعلة ودون أن يستدير حدثها:

- وما أدرانا أنك لست سوى جاسوسة قشتالية تحاول قتل الملك ؟؟

التفتت إليه وقد اتخذ صوتها ثقة واضحة :

- لقد أتى إلى الدنيا ولي عهدكم ..

كانت إجابتها لا علاقة لها بسؤاله وكانت كافية بأن تجعله ينتفض ويستدير ليواجهها ، كان يراوده ذلك الإحساس بالقشعريرة الباردة التي راحت تغزو جسده بينما كان لسان حاله يقول (كيف عرفت بحمل زوجة الملك ؟؟ و...)

قطعت هي تساؤلات عقله وكأنها عرفت ما يدور بداخله : دع تساؤلاتك جانباً .. خذني إلى غرناطة وإن كنت جاسوسة فلتفعل بي ما تشاء.

ثقتها وثباتها أثارا فضول عقله الذي جاهد محاولاً تصديقها لكنه أراد معرفة ما لديها غير ذلك من المعلومات. ساد الصمت لحظات وأحس أن شيئا ما بداخله يدعوه إلى تصديقها ..تحرك الجنود ليساعدوها في حزم أمتعتها القليلة، و ما هي إلا دقائق حتى أخمدت النيران وامتطى الجميع خيولهم ، حملوها معهم على بغلة الزاد ، فيما كانت عيونهم تراقبها بجانب تساؤلاتهم المتلاحقة ، لم تبالِ « أثينا « بنظراتهم كانت غارقة في أفكارها تُراجع كل تفاصيل رحلتها بل كل ثانية من حياتها. سنوات عمرها التي قضتها في البحث

عن صاحب النبوءة ، سنوات تعلمت خلالها الفلك والهندسة بجانب السحر والمبارزة ، جابت بلدانا و امبراطوريات للبحث عنه .. المُخَلِّص.

****



انبثق ضوء الفجر من رحم ظلمة تلك الليلة التي لم تشهد قمرا ، ليرسم أجمل لوحات الخالق حيث امتزجت الألوان فوق رؤوس الأشجار التي داعبت عنان السماء بأغصانها ، فبعد ساعات من السير دون توقف، لاحت في الأفق أسوار غرناطة وقصرها الرابض فوق التلة بلونه الأحمر الشهير لتطبع على وجوه الجنود المرافقين لأثينا بسمة شوق وارتياح.. فها هم يعودون إلى غرناطة بعد شهر من رحله تأمينهم للحدود الشمالية مع قرطبة المحتلة ، حيث يقضون أيامهم في حصن لوشة ، رحلة شاقه هدفها الاستطلاع إلا أن كل واحد منهم يخرج مودعاً أهله طالبا الشهادة ... وها هم يعودون مرة أخرى ، يحملون شوق رؤية أولادهم وزوجاتهم و وجبة دسمة وفراشا يمنح أجسادهم راحة افتقدوها طوال شهر من الرباط ، تبددت أفكارهم عندما تذكروا تلك الوافدة التي ستعطل ما تمنوه من وجبات و راحة لن يحصلوا عليها قبل أن يقدموا أخبارهم وتقاريرهم إلى قادتهم.

عبر الجنود بوابة المدينة العتيقة وهم ينظرون إلى الألوان التي اكتست بها الشوارع والحارات من زينه وورود ، ألقى قائد الحرس التحية على أحد الجند الذي وقف يتابع العمال وهم يعلقون الزينة ثم أردف مخاطباً الجندي: أهناك حفل زفاف ؟؟!!

ابتسم الجندي وهو يتحدث بزهو كأنه فقيه زمانه :

- إنها الاحتفالات بمولد ولي العهد هاشم .. لقد جاء إلى الدنيا فجر اليوم .

لم يستمع قائد الجند إلى باقي حديث الرجل، بل كان عقله يعيد كلمات أثينا التي كانت بدورها تبتسم للجنود ابتسامة ثقة فقد صدقت فيما قالته لهم. عبر الجنود طرقات المدينة المكتظة يحملون قلقا يشوبه خوف من تلك الغريبة ، تزينت المدينة بجميع مظاهر الفرح والسعادة؛ الأطفال يغنون ويلعبون، و المارة يتجمعون أمام المنادي الذي راح يزف عبر الطرقات من على



ظهر حماره النبأ منادياً بالدعاء للمولود وأبيه ،ويدعو أهل المدينة لحضور المأدبة التي أعدها الملك لهم .. كل هذا لم يمنع عيون الناس من التساؤل عن تلك المرأة التي يحيطها الفرسان فهيئتها وملابسها لا تدل على أنها أسيرة .

على طول المسيركان جمال العمارة الأندلسية يبهر نظر أثينا؛ الشوارع كبيرة تزينها أشجار البرتقال والنارنج من كلا الجانبين وتزيدها بهاء فوانيس نحاسية تضاء ليلا و مجار مائية عابرة لكل الدروب تمضي على وقع خرير ينبض بالحياة..تتقاطعها أزقة ممتدة داخل المدينة كمتاهة صممت بدقة عالية تتوزعها أحياء وأسواق متنوعة حسب كل تخصص..البيوت تتشابه من حيث هندستها يسند بعضها بعضا وهي تتسلق هضبة، أويحضن بعضها بعضا وهي تفترش سهلا..جدرانها كسيت باللون الأبيض وغطى أسقفها القرميط الأحمر.. كطاقية يقيها لظى الشمس

وسيول الأمطارأوسقوط الثلج..

صحيح أن أتينا جابت العالم بمدنه العريقة ولكنها لم تجد أجمل من «غرناطة» . عبرت مع الجنود بوابات القصر، حيث الحدائق الغناء وبرك المياه . إنها الجنة في ثوب عربي، مرت بفناء الريحان الكبيرالذي حكت عنه قصص سفراء العالم؛ كان عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل ، تتوسطه بركة مياه جارية تظللها أشجار بأغصان متدلية تتأمل انعكاس صورتها على وجه الماء، وتحيطها أعمدة وجدران نقشت في زواياها عبارة « النصروالتمكين والفتح المبين لمولانا أبي عبد الله أميرالمؤمنين..» ، وفي النهاية الجنوبية لهذا البهو باب ضخم نقش عليه بحروف بارزه (ولا غالب إلا الله) .

****



وقف جنود الفرقة التي عثرت على أثينا ، في تململ وهم يحيطونها أمام باب القاعة الملكية ، كم تمنوا الآن لو لم يعثروا عليها ، هذه المرأة الغريبة التي بددت أحلامهم عن الراحة والاسترخاء بعد رحلتهم الطويلة ... دقائق من الانتظاربدت كأنها شهور وأيام قبل أن يُفتح باب القاعة الملكية ليظهرقائدهم مشيراً لهم بالدخول ، وفى خطوات عسكرية منتظمة ولجوها تتوسطهم أثينا.

على عرشه، ارتسمت على محياه الحيرة و الفضول، جلس الملك على طرف كرسيه متطلعاً إلى تلك المرأة وقد التف الجند حولها في تحفز،ولما وصلوا إلى منتصف القاعة توقفوا رافعين دروعهم إلى صدورهم تحية للملك ..حياهم مومئا برأسه وإن كانت عيناه ما زالتا معلقتين بتلك المرأة، ما إن اقتربت حتى انحنت لتحيته مما دفعه إلى القول بصرامة:

- لا تنحنِ مرة أخرى فما أنا إلا بشروحتى إن كنت ذا سلطان فلا تكرريها.

تقبلت كلماته بابتسامة أذابت ذلك الجدار الجليدي بينهما، وإن كانت شجيرات الشك تنزغ قلبه نزغا .. أشار لها بالتقدم قائلا :

- من أنتِ ؟؟!!!!

- أثينا .. أُدعى أثينا .

عربيتها الركيكة جعلته يصل لقمة فضوله قائلاً:

- لقد أخبرني قائد الفرقة بكل ما حدث أما الآن فأريد أن أعرف منك كل شيء ... تقدمت أثينا بضع خطوات وبدأت في سرد قصتها ..

قصتها التي بدأت منذ سنين طويلة .

* * *



البداية

تشيان جان - شرق الصين

مع بدء رحلة مغيب ا لشمس بدأت طرقات مدينة « تشيان جان « وسوقها يخلوان من المارة ، فقط بعض الباعة يجرون عرباتهم عائدين لمنازلهم ، فيما اجتمع التجار القادمون من جميع أنحاء العالم بساحة المدينة ، أتوا لبيع سلعهم وشراء الحرير الذي تميزت به هذه المدينة العظيمة ، تلك السلعة التي جعلت منها مركزا للتجارة وبداية طريق الحرير الممتد من تشيان جان وروما مرورا ببلاد الفرس والعرب . أُضيئت المشاعل والقناديل المتراصة على الأكواخ الخشبية والطرق التي لا تكاد تسمع بها همساً ، إلا من موسيقى هادئة تنبعث من ذلك الخان المجاور لمعبد قديم زين مدخله تنين ذهبي عملاق لا يتناسب مع حجم البوابة التي تظهر صغيرة أسفله.. داخل المعبد ارتفعت سحابة من دخان البخور ملأت فراغ حجرة النذور وراحت تغزو أرجاء المكان ، بينما جلس كاهن عجوز في سكون وكأنه أحد تلك التماثيل التي تزين أرجاء المعبد، مرت الساعات وهو على هذه الوضعية حتى أنه لم يشعر بالطفل الصغير الذي دخل إلى مكان جلوسه ، أخذ الطفل يجوب المعبد في ملل قبل أن يقف أمام صندوق جده الخشبي تلفت يمينا ويسارا حتى تأكد من خلو الغرفة ، وبحذر فتح الصندوق ليجد بداخله لفافة تضاهيه طولاً فتحها بصعوبة وراح يثبتها



على الأرضية الخشبية ، ظل لدقائق ينظر لتلك اللوحة الغير مفهومة بالنسبة له؛ ألوانها الباهتة ونقوشها الغريبة، وتلك البقع الداكنة على أطرافها تبدو وكأنها دماء كُتب في منتصفها بنقوش لم يفهمها ، وفى زواياها الأربع رسمت أربع أحجار ملونه، أما المثير فيها ذلك الجسد المرسوم بمنتصفها ، رسم لرجل عار الجسد وقد سيطر الخوف والفزع على قسمات وجهه ، وفى الأعلى رسمت عينان حمراوان مشقوقتان وكأنها عيون الموت .

- ستعلم كل شيء في وقته ..

نطق الكاهن الجملة لتنتشل الصغير من ثباته في فزع ، استدار ليجد جده العجوز يقف خلفه واضعاً يديه خلف ظهره المنحني :

- تعال يا صغيري .

أمسك العجوز بيد الطفل الذي حمل المخطوطة ، طافا المعبد في سلاسة يغلقان الأبواب، وما إن انتهيا حتى جلس و الفتى أمامه، لينطق الصغير في تبجيل :

- ما معنى اللوحة يا جدي؟؟

نظر إليه العجوز ثم مد يده ليمسك بيد الصغير:

- يا صغيري احفظ ما سأقوله لك عن ظهر قلب .

أومأ الصغير برأسه إيجابا ، برغم عمره الذي لم يتجاوز السبع سنوات، كان « نيها » يحمل علامات النبوغ والذكاء، مُذْ تركه والده وذهب للبحث عن سر الخلود وهو في رعاية جده الذي علمه من العلوم والمهارات ما لم يتعلمه النبلاء والفرسان .

- تلك اللوحة يعود تاريخها إلى ما قبل التاريخ ... حفظت بدماء المحاربين



الشجعان منذ فجر التاريخ، حضارات بأكملها أبيدت من أجل تلك المخطوطة ، لكنها بطريقة ما صمدت وحفظت ونقلت من مصر إلى بابل، ثم إلى أثينا و بومبي، ومنها إلى قرطاجة ثم القدس وأخيرا بغداد، إلى أن دمرها المغول على يد هولاكو ١٢٥٨م ، ولا نعرف كيف نقلت إلى هنا، المهم أن رحلتها انتهت هنا و قد حفظت على مر السنين .. قُتل في سبيل حفظها مئات بل آلاف من المحاربين ومُحِيَتْ مدن في سبيل الحصول عليها .

سكت العجوز لحظات وضاقت عيناه أكثر وكأنه يستجمع ما تبقى في ذاكرته من معلومات ، كان الصغير جالسا أمامه والشوق يملأ عينيه في لهفة لمعرفة المزيد، في حين أكمل العجوز :

- تلك الأحجار الأربعة بزوايا المخطوطة ، هي عناصر الطبيعة: الماء، الهواء، التراب و النار، أما ذلك الجسد فهو الإنسان الذي بدونه لا تنجح الطقوس .

غمغم الصغير متعجباً : طقوس ؟!

تنهد العجوز وهو يكمل :

- طقوس الظلام ... فمنذ بداية الخلق و الإنسان يبحث عن الخلود، في عالمنا يولد البشر أبرياء لتتكفل الحياة بتلويثهم .. استغل (هو) ضعاف النفوس الباحثين عن الخلود ليحكم عالم البشر بعد تحويلهم لعبيد له ، سيطر على كثير من قادة بعض الشعوب لخدمته أوهمهم بالخلود مقابل أن يعيدوه لعالمنا .. ولكي يعود يجب أن تتجمع الأحجار الأربعة مع دماء نقية ثم تُتْلا الطقوس والترانيم ، ولكن كل المحاولات فشلت (أمحتب – نبوخذنصر – الإسكندر- جانكيزخان) وغيرهم فشلوا في عودته لعدم حصولهم على الأحجار الأربعة ، بعضهم حصل على جزء منها بالفعل ولم يحالفه الحظ مع البقية.. ولن تتم الطقوس بدون تلك المخطوطة .



أنهى كلماته وهو يشير للمخطوطة التي بين يدي الصغير الذي راح يتأملها في تعجب وفضول :

- جدي من هو؟؟

بصوت خافت أجاب العجوز :

- بل ما هو.. إنه أسوأ كوابيس البشر ظلمة ، إذا ذكر اسمه .. يحوم أعوانه بالمكان يسممون الأفكار يقودونك للجنون ... تذكر يا صغيري لو رأيت تلك العيون الحمراء فعليك الهرب .

قالها وساد الصمت المعبد ، صمتٌ جعل قلب الصغير يخفق في خوف.

****

صباح اليوم التالي (تشيان جان)

يوم مشمس بعث الدفء في قلب مدينة الحرير، حيث امتلأت الطرقات بالأطفال والنساء يجوبون الأسواق ، الرجال بين حقول الأرز وشاطئ النهر الأصفر المتدفق عبر المدينة حاملاً معه البهجة ، على ضفتيه ترسم الزهور أعذب اللوحات بألوانها المختلفة وعطرها المنتشر عبر أرجاء المدينة .. تحرك الكاهن العجوز في خطوات متباطئة داخل سوق المدينة وبجانبه « نيها » الذي لم يتخلَّ عقله عن قصة الأمس ، اقتحم جده أفكاره وهو يقول له : انتظرني هنا .

لم ينتظر العجوز سؤال الصغير ، صعد الدرج إلى مبنى صغير يتوسط ساحة السوق ، ألقى نظره على الناس المنهمكين كلٌ في عمله وصاح بكل ما أوتي من قوة قائلاً :

- أيها الناس..



تلفت الجميع لمصدر الصوت وتركزت العيون باتجاهه ولم تعد تسمع بالسوق إلا همساً..

- أيها الناس إن الشرآت والموت بدأ رحلته إلينا .. أدخلوا أحباءكم إلى المدينة .. قبل فوات الأوان ...

توقف عن الحديث ليسعل في قوة، بينما أخذ الناس يضحكون فيما يترجم البعض كلماته للتجار الوافدين للمدينة .. وآخرون يقولون : عجوز خرف ..

أكمل العجوز صياحه : اليوم انطلق الشر.. دافعوا عن تشيان جان.. حاربوا الشر في نفوسكم اقتلوا الخوف ولا تجعلوه يتمكن من قلوبكم ..

لفت صياح العجوز انتباه التجار الوافدين ، صاروا يتحدثون بينهم عن العجوز الذي مازال يصرخ في الناس ، ومن بين هؤلاء التجار تقدم « روبن » التاجر البيزنطي النبيل باتجاه الصائح في اهتمام ... كانت كلمات العجوز تشبه كلمات سمعها من قبل : الشر..الظلام ... الموت ..النبوءة كلمات حفظها عن ظهر قلب من تلك الفتاة اليونانية حينما قابلها في قسطنطينية، شيء ما بداخله حدثه بصدق كلمات العجوز ... أشار لمساعده قائلاً : أنزل البضاعة فلن نرحل الآن.

وقف مساعده غاضباً وقد اعتراه الملل قائلا : لا تلقِ بالاً لكلمات ذلك المجنون فـ ..

لم ينتظر «روبن» ليستمع لبقية حديث مساعده الذي أخذ يلعن العجوز ، قادته قدماه إلى حيث جلس الكاهن العجوز يسعل ويغمغم بكلمات غير مفهومه وإلى جانبه يقف طفل صغير ، وما إن توقف «روبن» أمام العجوز الذي رفع عينيه ليرى من الرجل ..



- أُصدقك أيها الكاهن.

نطق بها «روبن» باللغة الصينية وهو يتأمل العجوز المتهالك قبل أن يكمل:

- لقد رأيت جيوش « تيمور لنك» تعسكر بحوض تاريم على مسيرة ثلاثة أيام من شرق سمرقند هل هذا ما تتحدث عنه ؟؟

أنهى كلماته وهو يأخذ بيد الكاهن الذي راح يقول :

- إنهم غافلون ألهتهم الحياة تناسوا من يتربص بهم .. عجيب أمر البشر إذا أنذرتهم تضاحكوا وإن أتى الموت تباكوا على ما كان يضحكهم ...

قطع حديثه بفاصل من السعال الشديد قبل أن يتساءل بعينين واهنتين :

- لماذا أنت الوحيد الذي أنصت إلى كلماتي وصدقها ؟

- لقد سمعت مثلها من قبل.

بدت الإجابة مباغتة للعجوز الذي توقف وهو يتكئ على عصاه، و ينظر لروبن الذي أكمل :

- منذ سبع سنوات جاءت لمدينتنا فتاة من مدن اليونان نزلت في ضيافة الامبراطور وأخذت تردد بعض ما تقول أنت.. اتهمها البعض بالجنون وطردت.

سأله العجوز بشغف :

- ماذا قالت ؟؟

- تحدثت عن نبوءة ومُخَلِّص .. كانت تبحث عن طفل يحمل علامات النبوءة .. وتحدثت أيضاً عن ساحرات يُقتلن في فرنسا، وعن جيوش الظلام التي قضت على ممالك الشمال حيث الثلوج والشتاء الدائم... تحدثت عن سقوط الامبراطوريات ... وسيطرة شخص ما على مقاليد الأمور في العالم.

كان العجوز ينصت لما يقوله روبن الذي تابع :

- حديثها يشبه قولك.



تحركت يدا الكاهن في الهواء ملوحاً لروبن وهو يقول :

- سأقص عليك كل شيء ولكن أخبرني عن بلادكم ؟!!

- ماذا بها ؟؟

توقف العجوز عن السير وهو يواجه «روبن» :

- حروبها وما يدور هناك في الغرب عن ملوكها وأمرائها .. أريد أن أعرف كل شيء ... كل شيء.

ساعات قضاها «روبن» يقص على الكاهن العجوز كل شيء يعرفه، عن الحروب بين العثمانيين والقسطنطينية، عن الحرب بين فرنسا وإنجلترا، عن الطاعون ..ذلك الموت الأسود الذي حصد أرواح ملايين البشر في أوروبا، حروب صليبية مماليك وتتار القشتاليون والأندلس، ساحرات أوروبا ومحاكم التفتيش.. الهرطقة والقتل باسم الدين..

حين انتهى روبن من سرد كل ما يعرفه، كان العجوز قد أيقن أن الوقت حان، حيث كان العالم يغرق في أظلم حقبة عرفها التاريخ ..

الدماء هي السلعة الرئيسية في العالم التي تروى ظمأ الشر الكامن في الظلام منذ أمد بعيد ، منذ فجر التاريخ وعشيرته السرية تحفظ الأحجار والمخطوطة عبر البلدان والزمان، ولسوء حظه العاثر أن يحدث ما يحدث الآن في زمنه هو.. كان يعرف أن « تيمور لنك » قد عثر على حجرين ولن يهدأ له بال حتى يحصل على البقية، وعلى تلك المخطوطة التي تحمل الطقوس، السؤال الوحيد الذي دار بعقله ... هل يعلم تيمور لنك بمكان المخطوطة ؟؟

هل جيشه الذي يربض بحوض تاريم .. قادم لأجل المخطوطة؟ أسئلة كثيرة لا إجابة لها ، دارت بعقله وهو جالس في معبده وبجانبه روبن والصغير نيها ...

* * *



روح الظلام

جلست «أثينا» تحمل بين يديها «هاشم» ذلك الرضيع ذي الأربعة أيام ، لو صدقت توقعاتها فسيكون هو من تبحث عنه ومن تحدثت عنه النبوءة ، سيكون هو صاحب الطائر... هو الأخير في مملكة أخيرة ... وهو من سيقضي عليه ، سيوحد الأمم و.. يهشم الرؤوس يحمله صقر يولد مع اصطفاف النجوم في ليلة غاب قمرها .... وهو أيضاً من سيخرج بفضل دمائه من الرحم الأحمر.

كلمات مبهمة من نبوءة كاد أن يمحوها الزمان لولا وجود عشيرة النور التي حفظت تلك النبوءة عبر الأزمنة ، خُبئت المخطوطة والأحجار بعيداً عن أيدي عبيد الظلام ....

كانت تعلم أن الشر أقوى هذه المرة ، فقد حصل «تيمور لنك» على حجرين من أحجار العناصر الأربعة ، ومازال هناك اثنان، مازالت مخطوطة الطقوس بعيدة عنه ، لقد قصت على مسامع الملك كل شيء وفسرت له رؤياه وها هو يصدقها ويعهد إليها برعاية صغيره ... سترعاه حتى تأتي اللحظة التي ولد من أجلها ...

****



احتلت الشمس السماء الصافية لترسل أشعتها كألسنة من النيران فوق صحراء «تاريم» حيث يخيم جيش «تيمور لنك» الذي قذف الرعب في قلوب ملوك وأمراء العالم . داخل المخيم عم الهدوء صفوف الجنود الذين لم يبالوا بشدة الحرارة ، وقفوا وكأنهم نُحتوا من الصخر أو برزوا من بين الرمال الحارقة ، جنود لا يعرفون الرحمة ولا الشفقة، أبادوا مدنا بأكملها من أجل الخلود الذي وعدهم به ملكهم القابع داخل خيمة عظيمة ذهبية . وقف داخلها رجل يحمل صندوقا خشبيا قديما زين ببعض الحلي الفضية ، كانت ملامح الرجل تؤكد أنه تعدى الستين عاماً مع الشيب الذي ملأ شعره وشاربه الكث الذي يغطي فمه تماماً ، عيناه الضيقتان تنظران إلى الصندوق الذي بين يديه ، وضعه أمامه وقد منح شفتيه ابتسامة زهو وظفر وهو يفتحه، ما أن استقرت عيناه على الجوهرتين بداخله حتى تنهد في ارتياح :

- قريباً سأحصل على إخوتكما .....

أتاه صوت هادئ يبعث في القلب قشعريرة :

- لا تنسَ الطقوس والمخطوطة .

تلفت (تيمور لنك) إلى الركن المظلم الذي يجلس فيه صاحب الصوت الهادئ .

- طريقنا إلى «تشيان جان » خالٍ والمخطوطة حُسم أمرها.

- لا داعي إلى الإفراط بالثقة ... فإنما هلك من قبلك بسبب ثقتهم الزائدة .

نطقها صاحب الصوت الهادئ في حده .... قبل أن يكمل :

- عليك أنت الحصول على باقي الأحجار واترك لي أمر المخطوطة .

- كيف ؟؟



ألقاها تيمور وهو يغلق الصندوق في عنف ...

أجابه صاحب الصوت الهادئ :

- حجر الماء بحوزة « بايزيد الصاعقه» سلطان بني عثمان هذه مهمتك يا تيمور احصل على الحجر الثالث واقضِ على كل شيء حي بالغرب ... فالخلود بانتظارك أيها الامبراطور.

دغدغت الكلمات عقل تيمور ، وقد كان لها أثر بالغ تجلى في عينيه التي برقت في شهوة سادية ، بينما جلس صاحب الصوت يتمتم بكلمات غير مفهومة وصوته يعلو شيئا فشيئا وتيمور يتأمله وكأنما سُلب عقله ومازال الرجل يتلو طقوسه حتى تعالت صيحات الجنود في الخارج صياح زلزل الأرض، صياح ينتزع القلوب من الصدور .... دقائق من الصراخ والآلام ساد بعدها صمت لا يقطعه سوى صوت الرياح ، أما الجنود فكانوا على وضعهم السابق هادئين ثابتين ولكن ....عيونهم كانت تحمل شيئا غامضا ... تحمل جحيما مستعرا وكأنها جمرات ملتهبة من أصل الجحيم..... طالت أنيابهم وبرزت بعض العظام من أجسادهم .... أصبحوا أكثر رعباً أكثر دموية .... فقد استحوذت عليهم روح الظلام .

****

استيقظ سكان «تشيان جان» على قرع الطبول وأبواق النفير ، تخللتها صيحات أشبه بعويل قطيع من الذئاب يحيط بفريسته العاجزة ، بدأ الناس في الخروج من منازلهم لتبيُّن ما يحدث ، تقدمهم «روبن» في فضول إلى البوابات التي كان الجنود يغلقونها بإحكام بينما أخذت الفرق العسكرية في اعتلاء الأسوار.. مشهد روع الجميع ، حاول «روبن» أن يوقف أحد الجنود المسرعين : ماذا يحدث ؟؟



أجابه الجندي دون أن يتوقف :

- جيش تيمور لنك يهاجم المدينة .....

اتسعت عينا «روبن» ولم يترك نفسه لهول المفاجأة ، أسرع إلى السلم المؤدى إلى أعلى البوابة، أخذ يصعد الدرجات في قفزات سريعة متلاحقة، حتى ثبتت قدماه وكأنها أوتاد تم غرسها بالأرض فقد كان ما يراه آخر شيء يتوقعه أو يتمناه ..

حالة من السكون سادت «تشيان جان» لا يقطعها سوى صوت نحيب الأطفال ، أُخْلِيَت الشوارع والمنازل القريبة من الأسوار، بينما حمل الرجال وكل من يستطيع الدفاع السلاح ... اكتظت الأسوار بالرماة، وخلف البوابتين تمركز الفرسان بخيولهم ودروعهم الحديدية ، تعالت أصوات الطبول بين صفوف الجيش الغازي، راح جنوده يهمهمون ويضربون الأرض بأرجلهم ليفسحوا الطريق لذلك القادم من بينهم ، ما إن وقعت عليه عيون جنود القلعة حتى اتسعت في وجوم وذهول ، فأمامهم كان يتحرك تنين ذو رأسين يتقدم صفوف الغزاة ، تنين يحمل فوقه رجلا لم يتبين الجنود وجهه لبُعد المسافة ، راح التنين يشق الصفوف ورأساه كل منهما باتجاه تطلق فحيحا يشبه فحيح أفعى غاضبة ، ما أن أصبح أمام الجنود حتى توقف لتتوقف الصيحات مع إشارة من ممتطيه ، رفع قبضته في الهواء ، وبدأ في الحديث بصوت هادر مرعب :

- المجد والخلود خلف هذه الأسوار ... سنحكم العالم .... ومن هنا سنحيا أبد الدهر.....

كانت كلماته موجهه إلى جنوده الصامتين بعيونهم الحمراء المشعة التي راحت تزداد بريقاً كلما تحدث ..... وعلى أسوار المدينة تحفزت أصابع الرماة



في توتر مع سماعهم لتلك الكلمات ، حملت الوجوه اليأس والخوف ، حينما استدار التنين وراح يخطو ببطء تُجَاه القلعة ، جحظت العيون التي راحت ترصد ذلك الشيء الذي يدنو منهم ، صوت الفحيح يعلو شيئا فشيئا لينتزع «روبن» من ذهوله و يركض وسط الجنود منادياً بصوت مرتفع وكأنه أحد سكان المدينة :

- اثبتوا ولا تجعلوا للخوف طريقا إلى قلوبكم .

قالها بالصينية وهو ينطلق لينزل درجات السلم في قفزات سريعة وصوت من داخله يردد «عليك بإنقاذ المخطوطة....» كان يركض عبر طرقات المدينة ومن خلفه صوت صاحب التنين يدوى بين صمت الجدران :

- تشيان جان أيتها العظيمة افتحي أبوابك في سلام ... أعدكم بالسلام والخلود .... ليس عليكم سوى طاعتي ..

راح «روبن» يلهث وهو يسرع إلى المعبد الذي لاح في نهاية الطريق ، ومازال الصوت الهادر يطارده :

- إن لم تفتحوا الأبواب ستنتهي رحلتكم في الحياة على يد جيشي العظيم ..

وأخيرا وصل إلى المعبد ، ما أن عبر روبن البوابة حتى استند إلى الجدار وهو يلهث تغلب على آلام رئتيه وهو ينادي : نـ...يها.... نـ....يها .

تقدم في حذر إلى الداخل وعقله يسأل في تتابع أين هم أين هم؟؟

- سيدي جدي بانتظارك ....

أفزعه صوت الصغير وظهوره المفاجئ ، انتفض في خوف لم يذق طعمه من قبل .... تمالك أعصابه وهو ينظر للفتى المبتسم في بلاده ، تبعه إلي غرفة أضيئت بشموع كثيرة يجلس وسطها العجوز مغمضاً عينيه ، ظل عقل روبن



يطرح أسئلته السخيفة « هل يعلم بما يحدث ؟؟ هل سمع صوت الغزاة ؟؟»

- نيها أحضر التمثال الذهبي من غرفتي ...

نطق بها العجوز في هدوء لا يتناسب مع الوضع ، فمازال الصوت القادم من خارج المدينة يهدر:

- أمامكم فرصة وحيدة إما الاستسلام أو الموت ....

أعقبت الكلمات صيحات عالية من الجيش المُحاصر للمدينة، أصوات أذنت بقدوم الموت الذي راح يحلق فوق أسوار تشيان جان ....

****

أمسك الكاهن التمثال الذهبي يقلبه بين يديه، لحظات رفع بعدها عينيه إلى «روبن» وهو يلقي التمثال باتجاهه قائلا :

- اكسره .

تلقف روبن التمثال وفعل كما أمره العجوز دون أن يفارق عقله سؤال آخر مُلح : لماذا ؟!

جاءت الإجابة مع ارتطام التمثال بالجدار لتسقط منه قلادة تحمل حجرا أزرق براقا ولفافة حريرية لفت بعناية بخيط سميك ، بُهت «روبن» وهو ينظر لما تحمله يداه بينما صوت الظلام مستمر في حديثه الموجه لسكان تشيان جان .... « سأمهلكم فرصة حتى تفتح البوابات طوعاً « .

وقف روبن أمام العجوز الهادئ مُغمض العين ، كان عقل روبن يحثه على الخروج من المدينة بأي طريقة تاركاً ذلك الخرف وحفيده ، ولكن شيئا آخر كان يحثه على البقاء حتى وإن وصل الأمر به للاشتراك في القتال ، تعجب من هدوء العجوز فالوقت يمر وذلك الكاهن لا يعبأ بشيء ولا يتكلم حتى عن شيء

، وأخيرا نطق العجوز :

- إن تلك القلادة من المفترض أن يحملها ابني « شين مو » والآن وقد رحل لم يعد هناك من أأتمنه عليها سواك .

لم يستوعب «روبن» الأمر:

- أنا ؟؟

نهض العجوز :

- نعم يا بني ... أنت فقد عهدت إليك الآن بحفظ القلادة والمخطوطة ... وحفيدي نيها .

أداروبن وجهه للصغيروهو يقول : ولكن ....

ربت العجوز على كتفه :

- روبن أنت الأمل الآن وقد يكون نيها من تحدثت عنه النبوءة ..... يا بُنى انقل المخطوطة والحجر إلى حيث تعيش وكن جزءا من عشيرة النور .

أنهى العجوز كلماته وهو يعطيه قلادة ذهبية خلعها من رقبته، تحمل نقشا لتنين له رأس أرنب وجناحي نسر :

- إنه شعارعشيرتنا ... «عشيرة النور » حماة العالم .

انتشل صوت الأقدام التي دخت إلى المعبد « روبن » من جموده ليلتفت لمعرفة من القادم ، ساحباً سيفه البيزنطي متحفزاً للقاء القادم و ..... انتفض في فزع عندما وضع العجوز يده على كتفه قائلا :

- لا تخف إنهم أصدقاء .

كان يقف بمدخل القاعة ثلاثة شبان يرتدون زيا يختلف عن باقي جنود (تشيان جان) درع تداخل فيه اللونان الأسود والأحمروخوذة غريبة من ذات



المعدن الداكن تحجب وجوههم ، إنهم وبرغم عيونهم الضيقة وملامحهم الآسيوية فهم « ساموراي » ، يحملون على صدورهم العلامة ذاتها التي نقشت على قلادة العجوز . سرعان ما كان روبن ممسكاً بيد الصغير نيها ليعبرا معاً ممرات ضيقة أسفل المدينة يتقدمهم الساموراي الثلاثة، يحملون مشاعل بددت ظلمة ذلك الجحر الذي يشبه جحور القوارض ، أخذ روبن في استرجاع كل ما مر به منذ لقاء الفتاة الإغريقية وحتى تلك اللحظة . كيف أتى به القدر إلى هنا وهو مجرد تاجر بيزنطي رحال؟ لم يكن يخطر يوماً بباله أن يتحمل مسؤولية حماية البشر و العالم ، عواصف من الأفكار اعتصرت جزيئات عقله..

« هذا النفق لا نهاية له ؟؟ اللعنة على تيمور لنك وجيشه» .. كلمات رددها في داخله اهتزت بُعَيْدَها جدران النفق لتوقظه من كوابيس الواقع ،حيث راحت تتساقط أجزاء منه خلفهم لتأذن لهم ببدء الركض من أجل البقاء على قيد الحياة .

فوق السطح كان الهجوم قد بدأ، اندفع الجنود باتجاه أسوار تشيان جان التي أبت الاستسلام لجيش الظلام، تقدم الغزاة يحملون السلالم الخشبية وعربات ضخمة يدفعونها لتحطيم البوابة العملاقة، في تلك اللحظات كان يقف بين الجنود الكاهن العجوز مرتديا زي محاربين اهترأت بعض أجزائه ، قابضاً على قوسه واقفا بثبات متأملاً تلك المخلوقات الآتية لحصد الأرواح ، ما أن اقترب الغزاة حتى أضاءت السماء بالسهام المشتعلة تقتل منهم الكثير والكثير دون أن يؤثر ذلك في قلوب لم تعد تكترث بالموت منذ فترة ، معركة شرسة بدأت حينما فتحت الأبواب لينطلق فرسان تشيان جان

و هم يطلقون صيحات مرتفعة ، وصل صداها لروبن ومن معه داخل النفق السرمدي .



قليلون هم فرسان تشيان جان أمام جيش الغزاة، جيش برز من الجحيم، خرج من رمال صحراء «تكلا مكان» حين استدعاه الساحر يورشي ليكون عوناً له ولتابعه تيمور لنك البيدق بيد المشعوذ؛ يسيطر على عقله بحلم حكم العالم والسيطرة عليه، حتى جنود المغول التابعين لتيمور أصبحوا مجرد دُمى تحركها يد راكب التنين ...

تحرك يورشي بتنينه الأصفر، مقاتلاً محاربي تشيان جان في معركة حامية الوطيس، اشتدت مع إطلاق قذائف المنجنيق التي بدأت في التساقط داخل المدينة ... واشتعلت نيران الجحيم ....ف

بدت وكأنها لن تخمد بعد الآن .

****

رافق خروج روبن ورفاقه من النفق نوبة من السعال بفعل ما خلفه انهيار أجزاء من ذلك الجحر الكئيب ، كان بانتظارهم أربعة خيول أُعِدت مسبقاً.

- سيدي ما إن نعبر نهر هوانج حتى نكون بأمان ...

كان هذا أراكيس أحد محاربي الساموراي الثلاثة والذي يبدو أنه أكبرهم أو على الأرجح قائدهم ، أومأ روبن برأسه وهو يتجه لأحد الخيول، امتطى الجميع خيولهم وانطلقوا في رحلتهم الطويلة إلى القسطنطينية رحلة قد تستغرق شهورا ، رحلة تحمل في طياتها المجهول ... كان آخر من انطلق هو روبن الذي حمل خلفه الفتى نيها، ظل هذا الأخير يرمق المدينة بنظرة تحمل الحزن والألم ، فبرغم حداثة سنه إلا انه كان يعرف أن قدمه لن تطأ تلك الأرض مجدداً ، أو هكذا ظن وهو مسغرق في تفكيره... استفاق على صوت أراكيس الذي حث روبن على الانطلاق واللحاق بهم، من خلفهم تصاعدت أعمدة الدخان وصوت صرخات بدأت تتلاشى مع ابتعادهم أكثر فأكثر.



خاضت الخيول في نهر هوانج، ابتعدوا كثيراً عن المدينة، لم يتوقفوا لأخذ قسط من الراحة ، مازالت أصوات المنجنيق تأتي من بعيد يحملها صدى يسري بين الجبال الشاهقة ، توقف أراكيس ورفيقاه قبل أن يستدير ويعود إلى روبن و نيها في حين أكمل رفيقاه المسير باتجاه الغابة المظلمة .

- أين ذهبا ؟؟

سَأله روبن وهو يتابع محاربي الساموراي الذين ابتلعتهما الغابة .

أوقف أراكيس فرسه وهو يقول :

- يؤمنان الطريق سوف نبيت هنا الليلة.

عقد روبن حاجبيه :

- هنا ؟؟

لم يجب أراكيس الذي ترجل وراح يساعد نيها لينزله عن صهوة الجواد ، فيما ظهر جلياً غضب روبن الذي ترجل هو الآخر وأخذ يتلفت حوله لينظر إن كان هناك من يتبعهم، القلق تمكن منه والخوف من المجهول سيطر عليه ، أصبح تاجراً يستعد للرحيل من تشيان جان بحمولته وأمسى هارباً إلى المجهول ...

- « نيها اجمع بعض الحطب « قالها أراكيس وهو يربط الخيول بإحدى الأشجار..

بينما تجول الصغير ليجمع الأخشاب، ذهب روبن إلى شاطئ النهر وراح يغسل وجهه و يبلل شعره الأشقر بالمياه الباردة ... مضى وقت قصير و اجتمع الكل أمام النيران يتبادلون أطراف الحديث فيما استسلم نيها للنوم .

- عند الفجر سنتجه إلى مدينة «دونهانج» ..



قالها أراكيس وهو يدثر الصغير بغطاء من فرو ذئب تعيس الحظ ..

نظر إليه «روبن» محاولاً كسر ذلك الحاجز الجليدي بينهما قائلاً :

- يبدو أنك تحفظ الطريق .

ابتسم وهو يقلب بسيفه الحطب المشتعل :

- يا سيدي إن طريق الحرير هو مصدر رزقنا نحمي القوافل المحملة بالحرير .. عبر آسيا

و أوروبا إلى بلاد العرب منذ سنين .

اعتدل روبن :

- متى التحقت بعشيرة النور ؟؟

شرد «أراكيس» مستعيداً مزيجا من الذكريات ترجمها لسانه في كلمات تحمل زهوا :

- والدي كان جزءا من العشيرة كان يُعِدُّني لأصبح ......

بتر أراكيس كلماته وهو يدقق النظر في ظلمة الغابة مما لفت انتباه روبن وزملائه :

- ماذا هناك ؟؟؟!!

أشار له أراكيس أن اصمت وهو يسحب حربته ويتحرك في خفه نحو الأشجار، وقبل أن يقترب قفز شيء ما اتجاهه تفاداه بصعوبة بالغة ليسقط أرضا، وعلى وهج النيران رأى الجميع ذلك الشيء الذي يقف في وسطهم ويصدر زمجرة مخيفة، لحظات سكون سادت المكان وكأن الزمن توقف فجأة ، كان يقف أمامهم نمر ضخم بحجم حصان كبير، يحمل على ظهره فتاة نقش جسدها بذات الخطوط على جسد حيوانها ، أنيابها بارزة في شراسة لم يروها



من قبل، اكتست عيناها بالسواد التام.. ظلمة قاتمة تحمل الموت .

عاد الزمن مرة أخرى على صوت ذاك السوط المشتعل، راحت تضرب به الهواء في قوة وبيدها الأخرى راحت تسحب لجام نمرها الضخم ليتقدم باتجاه روبن الذي استل سيفه ودرعه البيزنطي لمواجهتها وبدون خوف انقض عليها كان يؤمن أن الهجوم أفضل الطرق للنجاة، هاجم الجميع الفتاة النمرية التي باغتتهم فأسقطت أحد الرجال أرضاً ليتكفل حيوانها الضخم بإنهاء حياته ، بين قفزات أراكيس وطعنات روبن تراجعت للخلف قليلاً قبل أن تضرب بسوطها الناري الأرض بضربات سريعة متتالية أصابت أحدهم ، ساعد أراكيس زميله الجريح ليقف مره أخرى ، في تلك اللحظة راحت الأرض تهتزو برزت منها ثلاثة نمور مشتعلة وكأنها خرجت لتوها من الجحيم ، فبدأت تحوم حول «روبن» ورفيقيه . قال أحدهم وقد غطت الدماء وجهه

- يبدو أننا سنموت شوياً....

قاطعه روبن :

- بل هي من ستموت ...

أنهى كلماته بصيحة انطلق بعدها باتجاه أحد النمور الذي قفز بدوره مواجهاً روبن، انزلق متفادياً مخالبه النارية لينهال بعدها بطعنات استعر منها سيفه القصيروكأنه بين يدي حداد يعيد تصنيعه . كان أراكيس في تلك اللحظات يغرس رمحه بقلب النمر الثاني وعيناه على نيها الذي استيقظ بفعل جلبة المعركة، كان يقف على مقربة منهم ويداه تتوهج باللون الأبيض .

تجمد روبن فاغرا فاه في ذهول محاولاً تصديق ما رآه . فقد تحول النمران إلى تمثالين من الثلج بفضل كرات ثلجية ألقاها نيها من بين يديه، أخرجها من العدم ليسقط بها الوحشان ويتحطما متناثرين ، أجج هذا غضب صاحبة

النمر الضخم فراحت تضرب بسوطها يميناً ويساراً ، أصابت أراكيس في كتفه ليسقط أرضاً ، فيما سقط رفيقه الجريح صريعاً ، في قمة نشوتها لم تلحظ روبن الذي لم يدم ذهوله يقفز خلفها ، جلس على ظهر النمر محتضناً إياها ليغرس سيفه في جانبها الأيمن، بينما راح النمر ينتفض ويزمجر محاولاً إسقاط روبن، سقط فعلا لكن ليس وحده ، كان يحتضن الفتاة الغاضبة ، أخرجت سيف روبن من جانبها وكأن شيئا لم يحدث ، استدار النمر ليواجه «روبن» الملقى أرضاً بينهما ، راح يدنو منه فاغراً فمه وقد برزت أنيابه مستعداً للفتك به ، أطلق النمر صرخة ألم مفاجئة وراح يخرخر ويحاول النهوض حتى سقط ورمح أراكيس يستقر في ظهره، رأت الفتاة حيوانها الأليف يسقط فأطلقت صرخة مدوية لم تكتمل ، فقد عاجلها روبن بضربة من سيفه ليطيح برأسها بعيداً عن جسدها ، ظلت واقفة لبرهة ، ظن كلاهما أنها لم تمت ولكنها سقطت ليعم السكون المكان.

رددت الجبال صرختها التي سُمعت في تشيان جان برغم بعد المسافة إلا أنها اخترقت ضجيج المعركة المميتة. ما أن سمعها يورشي حتى أمر جيشه بالانسحاب فقد بات يعرف أن من قتل طفلته يحمل ما يريده وما يطلبه. فلا داعي لأن يحرق ما تبقى من المدينة وقد صارت شوارعها أنهارا من الدماء والقتلى. نظر الجنود لمشهد انسحاب الغزاة في استغراب. راحوا يساعدون بعضهم البعض في النهوض وابتسامة نصر زائفة تحملها وجوههم الملطخة بالدماء فيما انسحب جيش الظلام إلى عوالم الديجور ....

* * *



ما بعد البداية

غرناطة بعد أكثر من عقدين ...

عامان منذ سقوط «سبتة» بيد القشتاليين معلنة بدء الحرب مرة أخرى حيث انعكست أجواؤها على الوجوه العابسة في الطرقات . لم يكسر ذلك الجمود سوى الهرج الذي عم سوق البيازين حيث يطارد الجنود شخصين، يتقافزان في مهارة من مبنى لآخر، يتخطيان العربات والمارة في براعة تضاهي القرود فوق الأشجاروسط تعالي بعض السُباب لما تخلفه تلك المطاردة من خسائر ، وتنفجر ضحكات آخرين مع تعثر الجنود وتساقطهم بعد محاولات فاشلة للحاق بالشابين، اعتلى أحدهم إحدى الأسوار المرتفعة آخذاً بيد رفيقه قبل أن يقفز خلف السور ، بينما استدار الآخر وهو يزيل اللثام عن وجهه ملوحاً للجنود بيده مبتسماً ، وما لبث أن لحق بزميله خلف السور العملاق .

تحت إحدى الأشجار العتيقة افترش العشب أحدهما بينما أخذ الثاني يسبح في مياه النهر الجاري ، وبعد أن قضى بعض الوقت في المياه خرج وجسده يقطر ماءًا و شعره الفاحم الكثيف زاده وسامة مع تبلله، كان ذا فك عريض زين بلحية خفيفة تكاد تنمو ، دائم الابتسام ،عيناه السوداويتان مفعمتان بالثقة ، يعلوهما حاجبان متناسقان ، يحمل جسده المفتول آثار جرح يحتل



صدره العاري ، وقف لحظات يخلل شعره بأصابعه ويمسح بعدها المياه عن لحيته:

- أحمد ألن تسبح ؟؟

كان يوجه حديثه لذاك النائم المستظل بالشجرة الكبيرة الذي غمغم :

-لا ، اتركني أنام قليلاً..... قبل أن نذهب لدرس المبارزة .

قال الآخر وهو يرتدى ثيابه :

- سأهزمك مرة أخرى ... وانفجر ضاحكاً ...

اعتدل أحمد وهو يعقد حاجبيه :

- هاشم أنت مخادع .

ارتفعت ضحكات « هاشم « أكثر وهو يستطرد :

- بل أنا أمهر منك، اعترف بذلك أيها الكسول .

نهض أحمد :

- أتعرف يا هاشم في بعض الأوقات يمتلئ قلبي بالغيرة منك لاهتمام أمي بك ... فأنت تحظى بكل شيء حتى تلك الفتاة في البيازين ...

تبدلت ملامح «هاشم» الذي نطق بجدية :

- أحمد إن «أثينا» والدتي وأنت أخي وهذا لا يمنع أني أمهر منك، وأوسم منك .

تعالت ضحكات الشابين مرة أخرى ، لم يتوقف الحديث بينهما طوال الطريق إلى قصر الحمراء ، أحاديث عن طموحاتهما و مستقبل بلادهما في ظل الحرب والحصار، كان أحدهما هو «هاشم الأول» ولي عهد غرناطة ، فمنذ وفاة والديه على أيدي أحد جواسيس القشتاليين وهو في رعاية أثينا ، التي تزوجت من عمه و الوصي على العرش الغرناطي ، علمته بجانب ولدها أحمد



جميع فنون القتال والعلوم ، وها هما بعد اثنين وعشرين عاماً شابان قويان ، أميران عظيما الشأن من أمراء غرناطة .

لم تغير السنين شيئا من فتنتها، بل زادتها وقاراً يتناسب مع جمالها الأخاذ، إنها أثينا التي كان الغضب هو من يتحكم بها في تلك اللحظات ، راحت تجوب زوايا القصر وحديقته الغناء في صمت يفيض بعصبية كان ضحيتها حراسها، تسألهم بين الحين والآخر عن ولديها وازداد غضبها عندما أخبرها الجنود بما حدث في السوق، وقفت بشرفتها المطلة على «بهو الأسود» أشهر أجنحة القصر وأسطورة الجمال الأندلسي ، فناء تحيط به من الجهات الأربعة أروقة ذات عقود مزخرفة يحملها مئة وبضع وعشرون عموداً من الرخام الأبيض تعلوها أربعة قباب مضلّعة كسيت بالقرميد ، وفي وسط البهو ترتكز نافورة الأسود ، على حوضها المرمري المستدير اثنا عشر أسداً من الرخام، تخرج المياه من أفواهها في تناسق بديع ، لم تمل من الانتظار....انتابها قلق قاتل إثر غيابهما ، أعوام مرت كوميض البرق .... تتذكر قدومها إلى غرناطة وكأنه بالأمس عندما عهد إليها الملك برعاية ابنه هاشم تذكر الأنباء التي حملتها قوافل الشرق ورسائله عن حصول تيمور لنك على الحجر الثالث وقتله للسلطان بايزيد الصاعقه تمنت يومها أن تكون المخطوطة بأمان وفي حوزة من يستحقها هي والحجر الرابع .... ومع مرور السنوات انقطعت الأخبار القادمة من الشرق ، أما أوروبا فقد تشرذم سكانها وما بقي منهم سكن الكهوف والجبال، تناقل الناس أحاديث عما يجري في الشمال، عن دمار امبراطوريات وممالك على أيدي جيوش من المخلوقات العجيبة، آخر الأخبار تحكي عن خراب روما وصمود القسطنطينية، أما هي فتقف شامخة في انتظار ما عاشت من أجله وما دُربت عليه لتصبح أحد أفراد عشيرة النور، سنوات وهي ملكة غرناطة وزوجة الوصي على العرش ...

- مولاتي لقد وصل الأميران

انتشلتها كلمات جاريتها من صندوق الذكريات ، لم تدركم من الوقت مر على وقوفها في شرفتها ، رفعت عيني

ها إلى السماء متأملة قرص الشمس الأحمر الغارب ، دون أن تلتفت سألت خادمتها : أين هما الآن ؟؟

- الأمير هاشم بغرفته والأمير أحمد بقاعة الطعام .

- أخبريهما أني أنتظرهما بساحة القصر....

قالت جملتها بصوت يحمل نبرة قوية ، خرجت الخادمة مسرعة إلى وجهتها ، بينما وقفت أثينا تتأمل قلادتها الذهبية .... قلادة حملت شعارا لم يكن له مثيل ..... لعشيرة اندثرت ولم يتبقَّ منها سوى تلك القلادة ...

عشيرة النور .

****

القسطنطينية ...

أهم مدن العالم تم بناؤها عام٣٣٠م على يد الامبراطور البيزنطي قسطنطين الأول لها موقع فريد على البسفور فهي بوابة أوروبا على آسيا قيل عنها» لو كانت الدنيا مملكة واحدة لكانت القسطنطينية أصلح المدن لتكون عاصمة لها» .

انتهى صراعها الأزلي بينها وبين العثمانيين الأتراك، هدأ أخيرا بعد مقتل بايزيد الصاعقة على أيدي تيمور لنك لتتشرذم المملكة العثمانية... وما هي إلا سنوات حتى برز نجم روبن الذي دحر«تيمور لنك » في إحدى المعارك ليصبح بعدها حاكم القسطنطينية وباعث عشيرة النور من جديد استطاع تحرير



طريق الحرير من قبضة جيش الظلام بقيادة يورشي ذاك الساحر الذي سيطر على آسيا، عدا بعض المدن الحصينة ، أبيدت أوروبا على أيدي مخلوقاته الأسطورية التي استحضرها بفضل سحره الأسود. فلجأ ما تبقى من سكانها إلى القسطنطينية..وجهته للحصول على الحجر الرابع والمخطوطة. فلا يفصله عن حلمه ذاك سوى أسوار القسطنطينية التي قهرته مرات عديدة .

في ميناء المدينة انشغل البحارة بتحميل البضائع والخيل والجمال إلى سفينة عملاقة ، بينما وقف بعض الفرسان يتابعون سير العمل وبينهم كان يقف قائدهم الذي اختلف عنهم في كل شيء ، فقد كان يرتدي زيا يحمل ألوانا ونقوشا زاهية ، شد على خصره حزاما من الحرير يتوسطه تنين ذهبي، شعره الأسود منسدل على كتفيه وقد عقد شارة على جبينه تحمل كلمات صينية . وقف عاقدا ساعديه أمام صدره يتابع بعينيه الضيقتين الحمالين والعمال ، لم يكن ذلك القائد سوى « نيها» الابن الأصغر « لروبن « كما يشاع بالمدينة وقائد كتائب النوفا.

- سيدي ينتظرنا على الجانب الشرقي بقية الفرسان وهم على أهبة الاستعداد .

بابتسامة تحمل الكثير، رمق «نيها» محدثه دون أن ينطق بكلمة.. فها هو سيعود إلى « تشيان جان» بعد سنين طويلة من الغياب ... سيسلك طريق الحرير عائداً إلى موطنه ، لم يبالِ بما قيل عنه؛ أصبح يلقب بطريق الهلاك والرعب ... مسار سيطرت عليه شياطين يورشي ....

****

تطايرت شرارات من أثر تعانق سيفين ، في مبارزة هي الأروع بين هاشم و أحمد حيث ارتدى كل منهما زيه الحربي بجانب الدروع المستديرة التي راحت



تئن تحت وطأة الهجوم المتبادل بينهما ، كانت أثينا تقف بقربهما تتابع المبارزة الحامية الوطيس ، كان أحمد يتفادى ضربة من هاشم الذي اتخذ من الهجوم المتتالي أسلوبا له وهو يتبسم قائلا :

- ألم أخبرك أني أمهر منك .؟

تلقى «هاشم» ضربة قوية مباغتة من «أحمد» ، أطاحت بدرعه ليعقبها بركلة في صدر «هاشم» فقد على إثرها توازنه ليسقط أرضاً ....

- الغرور وكثرة الكلام ليسا من سمة الفرسان ...

ألقى أحمد كلماته وهو يقفز باتجاه هاشم الملقى أرضا، استند هذا الأخير بيديه على الأرض ليقفز بعدها واقفا في اللحظة التي كان يعبر فيها النصل جانب أذنه اليسرى .... كادت تلك الضربة أن تقسم رأس هاشم إلى نصفين إلا أنه كان أسرع وأذكى حيث استغل ،بعد مرور السيف بجانب رأسه، اختلال توازن أحمد ليعاجله بركبته و يتلقى الأخير لهيبا من الألم ببطنه ، وقف «هاشم» يلوح بسيفه في الهواء وهو يأخذ وضع الاستعداد وأحمد يُلجم ألمه ليقف مرة أخرى ، وعلى ضوء المشاعل كانت أثينا تتابع بشغف تلك المبارزة وقلبها يخفق مع كل اقتراب النصل من أحدهما، فالنزال مستمر لم يتوقف ...إنه يكشف عن براعتهما التي ليس لها مثيل بين أقرانهما .

ألقى أحمد درعه قبل أن يتبعه بالسيف، تعجب هاشم مما فعله أخوه الذي قفز للخلف، وأخذ يقوم بحركات بهلوانية إلى أن اقترب من أحد الحراس وينتزع منه رمحه ويتقدم مرة أخرى باتجاه هاشم الذي أدرك أن أحمد سيكون أشرس هذه المرة بفعل سلاحه المفضل. جولة جديدة بدأت مع سيل من الضربات بين الشابين قطعها صوت صدح في القاعة ليشتت تركيزهما ويتوقفا عن القتال، كان ذلك الصوت هو غقغقة صقر هاشم، ذلك الصقر الذي تولى



تربيته منذ نعومه مخالبه ... كانت نظرات أثينا تحمل عدم الرضا لتوقفهما عن النزال ....

جلس هاشم وأحمد بين يدي والدتهما التي ترمق الصقر وهو يستقر على كتف هاشم ، أخذ يدور برأسه يرمقهم بعينيه في صمت ، مرت دقائق تسلل الملل إلى الشابين وبدأت تظهر على وجوههما تساؤلات عديدة ، وهذا ما كانت تنتظره « أثينا » التي بدأت بالحديث :

- في وسط المعارك يجب أن تكونا في قمة تركيزكما، والتركيز ليس على المعركة فحسب بل على كل ما يحيط بكما.. فأقل خطأ يمكن أن ينهي حياتكما......

سكتت لحظات أكملت بعدها:

- يجب أن تكون عقولكما صافية الذهن، لقد تماديتما بالغرور والزهو والاستعراض و كثرة الكلام دون أن تشعرا بتواجدي وأنا أراقبكما.

اتسم صوتها بالحدة وهى تكمل :

- طوال سنوات أعدكما إلى ما هو قادم، علمتكما كل شيء حتى لا يخيب أملي فيكما، احفظا كلماتي هذه جيدا: عدوكما قادم فلا تثقا بمخلوق وإياكما والضعف والخوف، فقد يجد سبيله إليكما.. قد يشتد الظلام من حولكما ولكن تذكرا أن الفجر يأتي بعد الظلام، إياكما وفقدان الأمل...إياكما والخيانة .... وليحفظ كل منكما ظهر أخيه ... فأنتما أمل البشر وليس الأندلس فقط.

أنهت كلماتها التي سمعاها من قبل مرارا وتكراراً ، رفع هاشم يده ليطلب الإذن بالحديث وما إن رأى إيماءة أثينا بالموافقة حتى قال :

- مولاتي طوال سنوات تحدثيننا عن الشر وجيوشه وذلك الشيء الذي سيخرج و...



قاطعته :

- هاشم لقد علمتكما بما فيه الكفاية وطوال سنوات وأنا أزودكما بكل الأخبار الآتية من الشرق ....

- مولاتي

- هاشم لا تقاطعني ،أتعرف من قتل والدك؟؟

قال في سرعة :

- القشتاليون ، أحد جواسيسهم .

حركت رأسها نفياً وهي تنظر إلى عينيه :

- لا بل هو...

اعتدل في جلسته وقد عقد حاجبيه :

- من هو؟؟

صمتت لبرهة قبل أن تقول باللغة اللاتينية :

- ديابلوس .

جحظت عينا الشابين مع سماعهما الاسم ، فهما يفهمان اللاتينية جيداً ولكنهما لم يتوقعا تلك الإجابة قط ....

****

جلس «روبن» على ركبتيه أمام مذبح كنيسة آيا صوفيا ممسكاً بصليب ذهبي معلق برقبته ، انهمك في الصلاة مغمضاً عينيه في خشوع ، لم يغير الزمن كثيراً من ملامحه سوى احتلال الشعر الأبيض لرأسه مع ذلك التاج الذهبي الذي يحمل شعار عشيرة النور ، في تلك اللحظات كان يعبر باب الكنيسة



«ماردين» ابنه الأكبر ، فى صفاقة ليس لها مثيل أخذ يصيح وهو يتقدم ناحية والده:

- سيدي الملك

لم يجبه «روبن» الخاشع في الصلاة ولم يعره أي اهتمام ، في حين أخذ الرهبان يشيرون له بأن يصمت ممتعضين من فعله ، لم يهتم الشاب المغرور بهم وصاح من جديد :

- أبى .....

أيقن «ماردين» أن لا فائدة من الصياح أكثرمن ذلك حينما رأى الصمت من والده الذي لازال خاشعاً في صلاته ، تجول الشاب بين أعمدة الكنيسة وراح يطلق صفيراً لا يتناسب مع قدسية المكان ، كان ماردين تجسيدا للغرور و الكبرياء لا يترك كبيرة أو صغيرة إلا ودس أنفه الطويل فيها .... يقضي يومه بين الحانات وأحضان العاهرات ، يعيش على يقين أنه الامبراطور القادم ... يمتلك من الغرورما يضفي عليه قدرا من البلاهة مع ذلك الطول الفارغ الذي يتميزبه .

أنهى «روبن» صلاته وبهدوء استدارإلى حيث يجلس «ماردين» فوق منصة عاليه تحمل تمثالا كبيراً ليسوع ، ما أن وقعت عينا روبن عليه حتى فاض الغضب منهما مما جعل ذلك المستهترينتفض وينزل في رعب بفعل نظرة أبيه الغاضبة و صوته الصارم :

- اتبعني ....

خرج روبن ومن خلفه ماردين يجر أذيال الحنق والبغض .. و دون أن يتوقف روبن عن سيره سأل الفتى :

- ماذا تريد ؟؟



تردد «ماردين» قبل أن يجيب عن سبب قدومه :

- كيف يقود « نيها « قافلة تشيان جان ؟؟

في صرامة أجاب روبن :

- لا دخل لك في هذه الأمور ... أنا من أحدد من يذهب ومن يبقى .ابتلع ماردين مرارة الإجابة وعيناه تنظر إلى وجوه الحراس المرافقين لوالده قبل أن يقول :

- لماذا تفضله علي ؟ ؟ لقد ....

قاطعه روبن :

- لا أفضله بل قدراته هي من تؤهله لذلك ... ومرة أخرى ليس لك الحق بالتدخل في قراراتي .

- أبي أعطني فرصة أثبت لك فيها أني أستحق القيادة بدل هذا الصيني ..

كألف زلزال كان وقع الكلمات على روبن ، لم يتوقع أن يُنعت نيها بتلك الكلمة ، فهو لم يفرق بينهما يوماً وهكذا علمهما ، ولكن ذلك العاق لم يعِ الدرس ، استدار في عنف ممسكا بعنق ماردين الذي جحظت عيناه من الألم وهو يستمع لصوت والده الغاضب :

- إذا تحدثت عن أخيك هكذا مرة أخرى فسيكون عقابك الموت

أنهى جملته وهو يدفعه بكل قوته ليسقط أرضاً قبل أن يكمل في غضب :

- سوف تذهب إلى سمرقند عندما يعود أراكيس من رحلته .

امتطى روبن فرسه ومن خلفه جنوده ، تاركين وراءهم ماردين الجالس أرضاً وقلبه يحمل الكثير والكثير..

****



الظلام الدامس يعم المكان، السكون القاتل يقطعه صوت تساقط قطرات ماء ، لا يعرف إلى أين يذهب فكل شيء من حوله غارق في العتمة .... امتدت يداه تلتمسان الطريق حين ارتطمت بشيء صلب بارد، إنها صخور صلدة، ومن تحت قدميه برك وحل لزجة، تكاد أذناه أن تسمع الصرخات البعيدة، قادته قدماه باتجاه الصوت ، لم يدرِكم من الوقت ظل يمشى متبعا مصدر الجلبة التي مازالت بعيدة ، «هل هذه نيران؟» تلك البقعة من الضوء التي راحت تقترب وتقترب ، إنه شيء ما يحترق ، على الأرجح جسد مشتعل ، تجلت حقيقته حين اقترب ملوحاً برمحٍ ناري ، المسافة بينهما تقل أكثر فأكثر، قذف ذلك المشتعل رمحه ليضيء ظلمة الكهف ، أيقن على الفور أن الرمح سيخترق جسده، ثوان قبل أن يلامس صدره ، انقض صقر برز من العدم ليحمل الرمح ويطير به بعيداً ، ويظلم الكهف مرة أخرى إلا من الشخص المشتعل الذي صار واقفا أمامه، أحس بلهيب نيرانه تلفح وجهه وصوته يتردد بعقله «ستعاني .... أحباؤك سينزفون وأنت أيضاً ستنزف» كان ذلك المشتعل يحدثه و.....

استيقظ هاشم فزعا من نومه وهو يتأمل أرجاء غرفته لم يكن هناك سوى صقره الذي يقف على طرف الشرفة ، جلس في فراشه دقائق محاولاً استيعاب الأمر، حتى سمع صوت أذان الفجريأتي من مسجد غرناطة.. بعد الصلاة جلس يفكر فيما قالته أثينا، ربما كان لكلمة «ديابلوس» أثر بالغ في كابوسه الذي جلس يقصه عليها....

« إنه يعرف مكانك « ...

قالتها لهاشم الذي يجلس أمامها وفي توتر أكملت :

- وهذا يعنى أنه أصبح قاب قوسين أو أدنى من الحجر الرابع ... هاشم .

- نعم مولاتي...



قطع حديثهما طرقات على باب الغرفة تبعها دخول أحد الخدم قائلاً في ارتباك :

- عذراً مولاتي فهناك شيء يجب أن تشاهداه.

حملت ملامحهما القلق وهم يسيران باتجاه بوابة القصر حيث تجمع عدد من الحراس وعلى الأرض كان يجلس أحمد وأمامه شخص ما ملقى على الأرض، غارقاً في دماء تنضح بها جروح بسائر جسده، تراجع الحراس ليفسحوا الطريق لأثينا و هاشم الذي انحنى ليرى من ذلك الشخص في حين قالت أثينا وهي تعقد حاجبيها :

- من هذا ؟؟

أجابها أحمد :

إنه « بيتو» ولي عهد قشتالة ..

بقلق سألت أثينا :

- هل هو على قيد الحياة ؟؟

- نعم مولاتي إنه حي

- ماذا تنتظرون إذن !! انقلوه إلى غرفه الطبيب بسرعة قالتها بلهجة آمرة، ليحمله أحمد وهاشم والحرس إلى هناك.

* * *



جبال الموت

تسللت أشعة الشمس عبر نوافذ الغرفة التي استقربها بيتو لتضفي دفءا افتقده جسده المغطى بالجروح، استطاع طبيب القصر علاج بعضها، لم يكن أحد يعلم ما حدث له، ولكن المعالج أخبرهم أن هذه الجروح مصدرها حيوان مفترس حاول قتله ، ربما كان بيتو برحلة صيد وهاجمته بعض الذئاب .....

السؤال الوحيد الذي جال بعقول الشابين الجالسين بجواره :

« كيف قطع تلك المسافة إلى داخل حدود غرناطة ؟؟»

تيقظت حواسهم مع دخول أثينا إلى الغرفة ليقفا في تبجيل و احترام .

- كيف حاله الآن ؟؟

أجاب أحمد وهو ينقل بصره إلى بيتو الفاقد وعيه :

- مازال يهذي دون توقف .

رفعت عينيها الزرقاوتين إلى هاشم الذي جلس على طرف الفراش وأحمد يكمل :

- لقد أكد الطبيب أنه فقد الكثير من الدماء،ولن يسترد وعيه إلا بعد مرور أيام .

ملامحها حملت القلق والشك الذي راح يعصف بكيانها ، لاحظ هاشم ذلك مما جعله يقول :



- أمي ... هل تظنين أنها البداية ؟؟

- لا أعلم ...

ألقتها وكأنها تلقي حجرا ببركة ماء حيث اجتاح الوجوم وجه الشابين ، مزقت هي صمت الغرفة التي بدأت الشمس تنسحب منها بهدوء :

- إن عاد إليه وعيه أرسلوا في طلبي .

أومأ هاشم برأسه بينما قال أحمد :

- أمرك مولاتي .

خرجت أثينا من الغرفة تاركة خلفها ولديها يتبادلان نظرات الحيرة ... أما هي فقد كانت تعلم أن الدور قد حان على غرناطة وأنها مجرد أيام و لربما ساعات فقط و يغزو الشر أرجاء المملكة الأخيرة .

****

عبرت قافلة عظيمة بوابات القسطنطينية التي زينت بأعلام العشائر. ومع أصوات الأبواق المرتفعة راح الناس يتجمعون على جانبي الطريق ليشاهدوا عجائب ما أتت به القافلة ، البعض يحمل الأطفال و آخرون يشرئبون برؤوسهم ليشاهدوا قافلة أراكيس العائدة من رحلة دامت لأكثر من ثلاثة أشهر. كان يتقدم القافلة بزيه المميز. نقش عليه الشعار نفسه الذي تحمله الأعلام الزرقاء للعشيرة البيزنطية الحاكمة . إلى جانبه كان ذلك الملثم ذو العمامة الحمراء، راحت عينه تجول بين الحشود التي ميزته هو و فرسانه...

حيث تناقلت الألسنة كلمات ساخطة مثل « إنهم الأتراك العثمانيون « .... «لكم أكره الأتراك « ظلت الهمسات تتناقل بين جموع الناس. بعضهم لا يبالي بوجودهم وآخرون حانقون ، وأخيرا وصلت القافلة إلى سوق المدينة حيث راح التجار ينزلون البضائع ، ظل أراكيس وفرسانه على ظهور الخيل قليلاً قبل أن



يتحركوا باتجاه القصر حيث كان ينتظرهم روبن في شوق لمعرفة أخبار الشرق البعيد.

دخل «أراكيس » إلى حديقة القصر الملكي و من خلفه ذلك الملثم وبعض الفرسان ، أسدلت على واجهة القصر ستائر زرقاء كبيرة تحمل شعار عشيرة النور. الأعمدة الرخامية العملاقة التي تحمل الطابع الروماني زينت بصور لأباطرة بيزنطة. يشهرون سيوفهم التي تشير إلى مدخل القاعة الملكية الكبيرة حيث يجلس روبن على عرش ذهبي تحمله أربعة وحوش تشبه التنانين ولكن لها رؤوس الأرانب ، على جانبيه اصطف عدد كبير من المقاعد . توقف أراكيس ومن معه ، انحنى محيياً امبراطور بيزنطة الذي نزل عن كرسيه وتقدم ليحتضن رفيق دربه، وما إن انتهيا من الترحيب الحار حتى استدار ليحيى الحضور ، سرعان ما كان الخدم يحملون أباريق من الذهب وراحوا يضيفون الوفود و هي تقدم الهدايا لروبن .

أزال « براق » اللثام عن وجهه، كان يبلغ من العمر أربعين ربيعاً، ها هو يجلس بقصر امبراطور القسطنطينية بل هو أكبر حليف لهم ، «براق محمد جبلي » حفيد بايزيد الصاعقة وقائد عشيرة الخالدين . كانوا آخر ما تبقى من العثمانيين بعد تدمير السلطنة على أيدي تيمور لنك وجيشه الجرار. كان قراره صائبا بتحالفه مع روبن برغم المعارضين من كلا الجانبين إلا أنه وجب ذلك التصالح حتى لا يقضى على ما تبقي من عشيرته وسط التلال والسهول ...

- كيف كانت رحلتكم ؟؟

رد أراكيس قائلاً :

- عظيمة سيدي .....

تنهد أراكيس وهو يكمل : لم تقابلنا أية مشاكل ونحن في طريق الذهاب لم



نرَسوى أمما هلكت ومدنا خاوية سكنتها الأشباح .

قطع روبن حديثه ليختصر ما قد يعكر صفوه من أخبار:

- وكيف هي سمرقند ؟؟

- صامدة أمام جيوش يورشي، ما بين الحين والآخر تأتى كتائبه ، مُحاولة دخول المدينة التي لولا شجاعة عشائرها لكانت الآن بين أيدي أولئك الوحوش .. اضطررنا في رحلة العودة إلى عبور جبال هندوكش لتفادي التصادم مع جيش الموتى التابع لذلك الملعون .

غمغم روبن :

- جيش الموتى ؟؟

فيما تابع أراكيس :

- نعم هكذا يسمونه في سمرقند يقبع هذا الجيش بالسهول القريبة من المدينة ، على الطريق المؤدية لهوتان، هم عبارة عن مومياوات لموتى استحضر أرواحهم ذلك اللعين ...ويقودهم شخص يسمى ياركين ..

كان روبن يصيغ السمع وعقله يحثه على نقل المخطوطة والحجر الرابع فقد كان يعلم أن سمرقند هي القلعة الوحيدة الباقية شرقاً ، خط الدفاع الأول عن القسطنطينية من ناحية الشرق بعد هلاك كل المدن القريبة والبعيدة ، فإن سقطت أصبح الطريق إلى القسطنطينية على مصراعيه .....

أخذ القلق يجول برأسه و أراكيس يكمل حديثه :

- في طريق عودتنا تعرضنا للهجوم من إحدى عشائر اللصوص ولكن بسالة حلفائنا الخالدين كانت سببا رئيسيا للفوز في المعركة والعودة بالقافلة سالمة.



في تلك اللحظة كان بُراق يبتسم في زهو وفخر وهو ينظر بثقة إلى روبن الذي ابتسم بدوره مومئا برأسه لضيفه ممتنا لدوره في قصة العودة .

****

انطلق فرس برونزي اللون يشق الغابة المظلمة متجاوزاً بقفزاته بعض برك المياه الضحلة ، تلاحقت أنفاس ممتطيه الذي راح يلتفت خلفه بين الحين والآخر والعرق يغرق وجه..يمتلكه الخوف والرعب ، كان يحاول أن يرى ملاحقه الذي اختفى فجأة وكأنه تلاشى..زاد خوفه عندها لينقله إلى فرسه ويسرع أكثر فأكثر، لا تمضي ثانية حتى يتلفت ليرى إن عاد مطارده .وفجأة.... وجده يقف أمامه ، بقرونه العظيمة وعيونه الحمراء ووجه يشبه وجوه الماعز، إنه جسد بشري يداه مخالب ذهبية كادت أن تمزقه منذ قليل ، حاول أن يوقف فرسه الذي ما إن رأى ذلك الشيء حتى رفع قائمتيه الأماميتين مطلقا صهيلا عاليا تردد صداه بين الأشجار المتراصة ، ليسقط الفارس أرضاً وينطلق فرسه بعيدا وسط الظلام حاول النهوض مرتكزاً على سيفه وعلى ضوء القمر الذي يحاول جاهداً أن يبرز من خلف الضباب الكثيف ، رآه جيدا حيث يقف وبخار أنفاسه يتصاعد ليضفي المزيد من الرعب عليه تقدم ببطء مطلقاً صوتا غريبا ، جاهد محاولاً الوقوف على قدميه متحاملاً على آلام راحت تغزو جسده المسجى ، و تبادل الإثنان الضربات لكن دون تكافؤ فذلك الشيء الشبه البشري أضخم مرتين منه وذراعاه ذات المخالب الذهبية أقوى من ذلك السيف الذي قُطع كلحاء الشجر تحت وطأة الهجوم المتتابع ، انكسر السيف وقبل أن يتملك الذهول الفارس كان الألم هو البديل، غرست المخالب في صدره لتمزق عضلاته ، سقط أرضا مع تلك الجروح المميتة أدرك حينها أنها النهاية فقد رفع ذلك الشيء وجهه المليء بالشعر للسماء يطلق صوتا يشبه صوت الماعز ثم ينظر بعينيه الحمراوتين وقد تجسد بهما الجحيم ليهوي بمخالبه عليه و.....



استيقظ صارخا ليجد نفسه داخل تلك الغرفة ذات الأثاث العربي وجدرانها التي تحمل النقوش الإسلامية ، فُتح الباب بعنف ليدخل منه هاشم ومن خلفه أحمد شاهرين سيفيهما ، لم يكن بالغرفة سوى بيتو الراقد بالفراش ناقلاً بصره بينهما في فزع .... ينتهي كابوس ليجد نفسه في بيت أحد العرب ... وهو بالنسبة له أ سوأ كابوس ... اتشح وجهه بالهلع بينما كان عقله يريد معرفة كيف وصل إلى هنا .....

****

أختلط صوت الموسيقى بصوت الضحكات والصخب الذي يحدثه رواد الحانة بينما جلس ماردين شارد الذهن، لم يعبأ بتلك الراقصة التي راحت تتلوى أمامه وكأنها حية مجلجلة ولم يعر أي اهتمام لرفاقه الذي أخذ كل منهم يغازل إحدى العاهرات ، كان يفكر في كلام والده ليتركه بعدها يحتسى مرارة الحقد والكره اللذين كبرا معه منذ مجيء ذلك الفتى الصيني المدعو نيها ...امتلك كل شيء حتى أصبح الفتى المدلل لدى أبيه ، لقد عامله دوما أفضل منه وهو ولده، ابنه الحقيقي وليس المتبنى ، تعلم الاثنان على أيدي الفرسان والعلماء، حفظا عن ظهر قلب قسم عشيرة النور ، ولكنه لم يحمل لصاحب العيون الضيقة غير البُغض والكراهية ، كان ماردين يعرف أنه الإمبراطور القادم لأنه الابن الشرعي ولكن ما يقلقه حب الفرسان لنيها وليس الفرسان فقط بل عامة الناس كان يغار على عرش لم يجلس عليه بعد ...

- هل ستظل شارداً هكذا طوال الليل ؟؟!

جاءت الكلمات من شفتي إحدى العاهرات التي كانت تقف أمامه وهى تميل إلى الأمام في دلال لتظهر ما قد سُتر من باقي صدرها النافر، والذي تعلقت عينا ماردين به في شهوة وهو يقول :



- بل سنكتشف سوياً تلك الهضاب .

رددت الجدران ضحكاتها ، قبل أن يحملها ماردين بين ذراعيه وهو يقبلها وسط ضحكات السكارى والساقطات وارتفاع الكؤوس في تحية لولي العهد السكير. ساد الصمت فجأة حينما عبر الباب جنود الإمبراطور يتقدمهم أراكيس ليقف أمام ماردين المنشغل بتقبيل عاهرته أنهى قبلاته وقد لعبت خمر شفاها برأسه ليستدير:

- لماذا صمتم أيها الـ....

ابتلع ما تبقى من جملته وهو ينظر لأراكيس الذي عقد ذراعيه على صدره قائلاً:

- هل انتهيت ؟؟

علم ماردين أنه سيحظى بحصة تأنيب وتوبيخ ولهذا حاول أن يبدأ هو محاولاً إضفاء سلطته على أراكيس أمام الحشد :

- وما دخلك ؟؟

احتقن وجه أراكيس في حنق قبل أن يقول :

- لقد تماديت هذه المرة .

- ماذا ستفعل ؟؟ ستضربني ؟؟ تعتقلني ؟؟ هيا افعلها ...

وتعالت ضحكاته الساخرة وهو يلتفت إلى الوجوه المتابعة للحوار وقبل أن يلتفت مرة أخرى إلى أراكيس استقبل وجهه لكمة قوية أسقطته أرضاً ، صرخ وهو يمسك بفكه في ألم وعيناه تكادان تخرجان من محجريهما ، انحنى أراكيس باتجاهه ، رفع يديه ليحمي وجهه من أراكيس الذي همس في خفوت :

- المرة القادمة لن تشعر بالألم لأنك لن تكون بعالمنا .



أدار أراكيس عيونه بالمكان الذي تراص بتماثيل بشرية قطعت ألسنتها قبل أن يتحرك مغادراً الحانة قائلاً:

- استعد لرحلة دون هانج أيها الأمير.

كانت كلماته مزيجا من التهكم والحزم خرج وتبعه جنوده ، بينما جلس ماردين أرضاً والغضب يفيض من قلبه حاولت رفيقته مسح الدماء التي تسيل من فمه، أشاح بوجهه وهو يزيح يدها جانباً في عنف ، قام بعدها متجهاً لباب الحانة ، لقد أهدرت كرامته على يد ذلك الساموراي الحقير أمام العامة .... خرج و عيناه تحملان بريقا غريبا .

****

في اهتمام كانت أثينا تتابع حديث بيتو الذي راح يقص عليهم ما حدث منذ احتراق طليطلة وكيف أصبحت قرطبة كومة رماد بأيدي تلك المخلوقات الغريبة التي راحت تجوب أرض مملكه قشتالة، تقتل وتحرق كل ما يصادفها، لقد كانوا يبحثون عن شيء ما ... لا يعلم ماذا حدث كل ما يتذكره هو إنقاذ فرسه له ذلك الفرس الأندلسي الذي أهداه له والده فكبرا سوياً، أنقذه صغيراً وها هو يعود وينقذه مرة أخرى .

شبح ابتسامة رآه هاشم على شفتي أثينا لم يلبث أن تبدد، أما هي فقد شعرت بالبرودة تسيطر على أطرافها أوربما شيء آخر قد بدأ يسري في عروقها ، فقد باتت تعرف أنه لا وقت للحديث عن تأمين غرناطة فما هي إلا ساعات وتأتي جيوش الشر..

- أهناك تفسير لما يحدث ؟؟

قالها بيتو وهو يعتدل في جلسته متغلباً على آلامه ..

رمقه هاشم وهو يداعب صقره الذي أصبح يرافقه طوال الوقت :



- يبدو أن الكثير قد فاتك .

نقل بيتو نظره بينهما فى حيرة قبل أن يوجه حديثه إلى أثينا :

- مولاتي أتعرفين شيئا ؟؟

جاء سؤاله لينتزعها من سباتها :

- هاشم يجب أن تغادروا الآن .

عقد « هاشم « حاجبيه مغمغماً :

- نغادر؟؟؟ إلى أين ؟؟

كان يتوقع أن تقول إلى خارج الغرفة عندما سمعها تقول :

- يجب أن ترحلوا الآن غادروا غرناطة ..

لم يفهم بيتو ما يحدث في حين قال أحمد وقد ظن أن أمه قد مسها الجنون :

- أمي ماذا تقولين ؟؟؟

- أحمد نجاتكما تعنى الحياة لغرناطة وغيرها إذا كان هناك غيرها .

استدارت تواجه هاشم وتتأمله قبل أن تكمل :

- هذا قدركما وما أعددتما من أجله .

- أمي ....

لم تبالِ بالدهشة التي اجتاحت ملامحهما مستطردة :

- أحمد ... استمع إلي جيداً عليك أن تعدني بحماية أخيك وأنت أيضاً يا هاشم .... احملا بيتو معكما.

« إلى أين ؟ « قالها بيتو وهو مازال لا يفهم ما يحدث تجاهلته قائلة :



- سيرشدكم هذا الصقر إلى حيث يجب أن تكونوا والآن هيا لا يوجد وقت أكثر لإضاعته تذكروا أن عدوكم سيستغل خوفكم وقوتكم أيضاً ... مصير ما تبقى من البشرية بين أيديكم ....

أنهت كلماتها وعيناها تفيضان بالدموع ... دموع أم تفارق ولديها، احتضنتهما بقوة وهي تبكي ، بينما بيتو ينظر فاغراً فاه في دهشة ،أما هاشم فقد ظل صامتاً لا يفهم ما يحدث ،كان يحاول سبر أغوار أثينا التي كانت قد جهزت لهم مسبقاً كل شيء ... ويبدو أنها حسمت أمرها .

- سنبقى ونقاتل .. اختلطت كلمات أحمد بالدموع بينما احتضنت أثينا وجهه بكفيها :

- ستبقى وتقاتل ولكن ليس الآن وليس هنا ... اهربا إلى حيث يوجد بشر... إلى حيث يوجد أمن ... لا أريد رؤية دموعك .

أنهت حديثها مع أحمد لتمسك بذراع هاشم، أخذته جانباً مربتة على كتفيه :

- يا صغيري انه قدرك فلا تبتئس هكذا، لا تقلق فيوما ما ستصل إلى الحقيقة، يوما ما ستعرف انك من نبحث عنه، إن أردت إنقاذ غرناطة فعليك الذهاب للقسطنطينية و إذا نجحت فستنقذ العالم وليس غرناطة وحدها ....

لم يفهم كلماتها الأخيرة ، تبسمت وهى تلقي نظراتها على أحمد الذي حمل بيتو لتكمل :

- هاشم احمِ أخاك ولا تفترقا أبداً ... هذه القلادة هي تميمة عشيرة النور حافظ عليها ....

وضعتها في يده وهى تغلقها برفق على القلادة ، أومأ هاشم برأسه وأسى الفراق يجتاحه ، كلما طال وقت الوداع كان عذاب الفراق أقوى ... بعد دقائق



من الوداع كان هاشم ورفيقاه يتجاوزان البوابة الشرقية للقلعة اتجاه مالقة، كما أمرتهم أثينا حيث سيركبون البحر إلى القسطنطينية .

طويت الأرض تحت أقدام الخيول الأندلسية.. العاديات قدحا... حاملة هاشما ورفيقيه في رحلة فرضها عليهم القدر. ارتدت أثينا درعها بمساعدة خادماتها في الوقت الذي كان فيه هاشم ورفيقاه يعتلون ربوة عالية يلقون من خلالها نظرة أخيرة على غرناطة المحاصرة في تلك اللحظة من طرف آلاف المخلوقات البشعة الحاملة لنيران مشتعلة ينعكس لهيبها على مخالبها الذهبية ... شاهد بعينيه الدامعتين أبواب المدينة تفتح ويخرج منها فرسان غرناطة رافعين الأعلام الخضراء لينغمسوا في جحيم المعركة، نظرة طويلة رمق بها صقره الذي يقف على ساعده الأيمن :

- الآن كتبت علينا رفي حلة جديدة سوياً يا صديقي ...

قالها وهو يرفع يده لينطلق الصقر محلقاً ...

****

« ستعاني .. أحباؤك سينزفون أنت أيضاً ستنزف»

استيقظ هاشم مع صدى تلك الكلمات المصاحبة للكابوس الذي اعتاد زيارته أثناء نومه ، كان بداخل قارب ليس بالكبير، إلى جانبه بيتو الذي راح يغط في نوم عميق ، تثاءب وهو يبحث بنظراته عن أحمد الجالس على طرف القارب كما تركه بالأمس لم يتحرك ولم ينم ، يومان منذ خروجهم من مالقة...

- أحمد ....لم يتلق هاشم إجابة لينهض متجهاً إليه :

- أحمد ماذا بك ؟؟

- لا شيء .... دون أن يلتفت لهاشم جاءت نبرات صوته الحزين تعبر عما بداخله .



استنشق هاشم هواء البحر النقي وعيناه تبحران في زرقة لا متناهية ، حيث السماء والبحر يتعانقان في أفق حزين.. استطرد قائلاً :

- سنعود ... أعدك يا أخي أننا سنعود وسنراها مجدداً .

ابتسم أحمد في حزن وهو يشير إلى « الباشق» صقر هاشم المحلق عالياً :

- لم يهبط مذ رحلنا عن مالقة تابعته طوال الليل ، يبدو أنه كئيب على فراقها أيضاً، عقد هاشم حاجبيه :

- ألم تنم ؟؟

أجابه أحمد بهدوء :

- لا ،يجب أن يظل أحدنا يقظا ... سنتناوب الحراسة .

- حسناً اذهب أنت لتأخذ قسطاً من الراحة وسأتولى أنا الحراسة.....

أنهى هاشم حديثه بصفير عالٍ، ما هي إلا لحظات حتى كان الباشق يهبط أمامه نافضاً ريشه مراراً ، أرخى أحمد جسده بجانب بيتو مسترجعا كلمات والدته التي لا يعلم مصيرها. كانت تحدثه نفسه أنه سيعود يوماً و سيراها مجدداً كما قال هاشم ، لقد كان من ذلك النوع الذي يرتبط بوالدته فهي كل شيء بالنسبة له:كل ما تقوله صحيح وكل أفعالها حتى وإن كانت توبخه فلمصلحته. كلمات هاشم له كانت بصيص أمل يغمر صدره، الأمل الذي غاب عن الأرض منذ عقود ، ذهب أحمد إلى عالم الأحلام والتثاؤب بعد ليلة طويلة سامر فيها النجوم .....

ليلة ستبقى ليرويها التاريخ .

* * *



الغدر

يولد البشر متساويين وكلما تقدم بهم العمر تغيرت طموحاتهم وأحلامهم فتجد منهم صاحب النفوذ وصاحب الذكاء، تجد من يملك ومن لا يملك تختلف مشاعرهم وأخلاقهم ، تختلف أطماعهم فلا تجد اثنين يتشابهان ، ففي زمن العشائر كان البقاء للأقوى والأذكى ، لذلك فمن يحكم المدن الباقية في العالم هي العشائر القوية ... عشائر تناضل من أجل البقاء على قيد الحياة ... تحمل على عاتقها الدفاع عن آخر مدن البشر.

أحد هذه العشائر كانت عشيرة « الخالدين « الأتراك، أو بالأحرى ما تبقى من العثمانيين، ها هم يعيشون بالقسطنطينية جنبا إلى جنب مع أعدائهم البيزنطيين وغيرهم ممن هاجروا من أوروبا إلى عاصمة العالم الصامدة، كان تواجدهم بالمدينة يثير غضب بعض السكان فلم يجدوا فيهم سوى أعداء قدامى رغم إصرار روبن على التحالف معهم ، لم يرضَ بذلك عدد كبير من فرسان الجيش البيزنطي الذي صار جزءا من عشيرة النور ، وكان على رأس المعارضين ماردين .

كره ماردين الأتراك كما كره أخاه بالتبني وكثيراً ما كان يثير المتاعب والمشاكل معهم ، تحمل بُراق ذلك الفتى بصبر ليس من أجل والده أو تحالفه بل من أجل العرش البيزنطي الذي حاول أجداده على مر العصور الحصول



عليه، حاول الكثيرون قبله فتح المدينة العظيمة، وكاد ينجح جده بايزيد في ذلك لولا خادم الشيطان « تيمور لنك « . كان هناك شيء ما بداخله يخبره أن في هذه المدينة توجد مخطوطة الطقوس وذلك العنصر الرابع، غموض روبن وابنه الصيني يدلان على ذلك، أراد أن يحكم و يقضي على يورشي وجيشه ليظل التاريخ ذاكراً لأمجاده بجانب أمجاد أجداده .

ها هو يقف مودعاً قافلة أراكيس المتجهة إلى « دون هانج « تلك المدينة القابعة على طريق الحرير خلف صحراء تكلا مكان ، كان يرمق ذلك الفتى المتبختر متمنياً ألا يعود مره أخرى، لكم يكره هذا المغرور ماردين ، تبادل الاثنان نظرات تعبر عن مدى ما يكنه الاثنان من كره لبعضهما.... مضى براق بعد رحيل القافلة إلى سوق المدينة حاملاً بداخله أمواجا متضاربة لا تهدأ ولا تتوقف.

****

مضى أكثر من أسبوع على الإبحار ولم يظهر خلالها أي شاطئ ، يعيشون فقط على بعض الماء العذب الذي أوشك على النفاذ وسمك نيء يصطاده صقر هاشم ، يهيمون تحت شمس حارقة وعلى يم منبسط... زرقة سرمدية تدثر كل الاتجاهات كأنهم يطفون بين عوالم برزخية... تسلل الخوف إلى أفئدتهم و أصابهم التوتر تجلى ذلك مع صوت « بيتو « :

- أنتم مضطربون ... أصابكم الجنون جراء تربية تلك الساحرة لكم....

قطعت كلمات بيتو صمت القارب المتهادي فوق المياه في حين نهض أحمد متوجهاً إليه وقد اعتراه الغضب :

- احفظ لسانك يا هذا .



رمقه بيتو بنظرة باردة :

- وإن لم أحفظه ماذا ستفعل ؟؟

- اصمتاااااا .... نحن في مأزق واحد جميعاً ...

ارتفع صوت هاشم ليغلق باب التراشق قبل أن يكمل :

- بيتو لقد قصصت عليك كل شيء والخيار يعود إليك .

- أي خيار؟؟ وسط هذا البحر؟؟؟ الآن تقول هذا ؟؟ وأي يابسة سنصل إليها ؟؟

جاء صوت الباشق من فوقهم في هذه اللحظة ليقطع مشاجرة على وشك البدء، التفت ثلاثتهم إلى الصقر المحلق عالياً.. غمغم هاشم : إنها اليابسة .

أشار بيده إلى الأفق البعيد .....اليابسة نعم إنها الأرض لاحت من بعيد لتعلن عن بدء جولة جديدة، تعلن عن نجاتهم من عاصفة وشيكة قد يكونون بعدها طعاماً للأسماك في قاع البحر الهائج تحت سماء تلبدت بالغيوم .

ساعة من الصمت أعد أحمد خلالها خيولهم، فيما ظل بيتو يرمقه ويداه تتحسسان جروحه التي مازالت مضمدة.. وأخيراً وصلوا إلى الشاطئ الرملي المحاط بالجبال الشاهقة ذات القمم الثلجية ، أخذوا يحزمون بعض ما يحتاجونه على ظهور الخيل .. بعد أن جهز فرسه، اتجه أحمد لمساعدة بيتو ، مازالت جروحه تعيق حركته ، رأى الألم في قسمات وجهه وهو يحاول وضع سرج الحصان ...

- أحمد تقبل اعتذاري

أومأ أحمد برأسه متجهماً :

- لا عليك ... ولكن يجب أن تتأدب في الحديث عن أُمِّنا .



أخذ هاشم يمشط شعر فرسه الناصع البياض ... وصوت أثينا يسرى في أذنه :

هاشم هذا الفرس لك لا يوجد بغرناطة مثله ولا يليق سوى بأمير غرناطة..

تذكر يوم أن أهدته له والدته في اليوم الذي أنقذ أخاه من الغرق .... قطع ذكرياته صوت بيتو:

- هاشم أين نحن ؟؟

رمقه هاشم :

- بيتو ألست تظن أنك تثرثر كثيراً ؟؟

- أؤيدك الرأي يا هاشم ...

نطق بها أحمد الذي كان يعدل من زاوية شراع القارب ليركب الأمواج المرتحلة إلى الشاطئ ،

كان عليهم التأقلم ، فمنذ الآن في تجمعهم قوة وفي تفرقهم ضعف .

****

هوتان - شمال الهند

مدينة النور سابقاً وعاصمة الشر حاضراً، موقعها المميز وسط طريق الحرير جعلها مركزاً للتجارة وتلاقى الحضارات، كان هذا قبل أن يحتلها يورشي وشياطينه جاعلاً منها مركزا لقيادته ، حصنتها الطبيعة بصحراء لا تعرف الشفقة ، شمالها تقع صحراء تكلا مكان حيث يربض جيش « ياركن» الموالي ليروشي ، ويحدها جنوباً جبال الهملايا الشاهقة بقممها الثلجية، إضافة إلى ذلك تحيط أسوارها بحيرات واسعة كانت يوماً متنزها للعامة والخاصة ، تحولت لمستنقعات يجوب سماءها الغربان التي تتغذى على الجثث الطافية



، مخلوقات بشعة تشبه البشر تجوب الغابات والوديان ، أصبحت المدينة قبلة لأصحاب الشرور والسحرة وجيوش الموت ، ما يجعلها قلعة حصينة على أعتى الجيوش وأمهر الفرسان . سكنت ضواحيها مجموعات من اللصوص والطامعين في خدمة ذلك الساحر ليتجنبوا الموت ، البشر أقلية في هوتان الآن ، صاروا عبيدا لمخلوقات بُعثت من الجحيم ، تخدم يورشي الجالس على عرش المدينة، محاطاً بمشعوذين وقادة بحثوا عن الخلود فغَدَوْا عبيدا له ، قريباً سينهي على ما تبقى من المدن المقاومة ليحكم العالم بعد حصوله على الحجر الرابع .

كانت الطرقات الخلفية هادئة خالية من المارة حين عبرها هؤلاء الملثمون المتشحون بالسواد، حاملين أسلحة ودروعا نقش عليها باللونين الأبيض و الأحمر رمزان باللغة التُّخارية لغة سكان حوض تاريم ، كان الرمزان عبارة عن شعار عشيرة النينجا ، عشيرة من اللصوص والقتلة روعت القوافل عبر طريق الحرير وسلبت الأرزاق والعباد، يتاجرون في كل شيء حتى لحوم البشر.

تقدم الملثمون إلى ذلك الباب الصغير الذي يتوسط عددا من المنازل الصغيرة الظاهر عليها شقاء السنين ، توقفوا متلفتين للتأكد إن كان يتبعهم أحد قبل أن يدلفوا عبر تلك الفتحة بالجدار واحدا تلو الآخر.. في الداخل جلست، شقراء وُشم خدها الأيسر بنقش لتنين صغير وكأنه يحمل عينيها الخضراوتين، كانت تحمل كأسا تفيض منه الخمر ترتشف منه في هدوء وهي تنظر للقادمين ، تراصوا أمامها في صفوف داخل ذلك الوكر المضاء بالمشاعل ، انحنوا لها فأنزلت ساقيها المحشورتين في حذاء جلدي طويل عن المنضدة لتضع بعد ذلك كأسها أمامها برفق :

- أريد أن أعرف كيف استطاعت تلك القافلة الهروب منكم ...



قالتها بصوت أشبه بالفحيح وهي تضع نصل خنجرها على شفتيها ، بدت مثيرة رغم الغضب المطل من عينيها ، بينما كانت عيون الملثمين توحي بالقلق والتوتر، تقدم أحدهم ليزيل اللثام عن وجه جالت وصالت به السيوف من قبل ، صلعته أضاءت تحت وهج المشاعل التي امتلأ بها المكان وبصوته الأجش الذي يتوافق تماماً مع جسده الضخم ووجهه المشوه :

- سيدتي لقد كانوا يفوقوننا عدداً و....

قاطعته وهي تضع أصبعها على فمه :

- لا تقل هذا، أنتم أفضل محاربي الصحراء، كم تفوقنا على من هم أكثر عدداً، قل إنك هُزمت يا ناشيك وأنك صرت مجرد كسول فاشل ...

وجهه المليء بالندوب حمل خيبة الأمل ، فقد دخل المكان بعدما رتب أفكاره وكلماته ليبرر بها هزيمته وها هي تحطم كل آماله في التبرير، كان « ناشيك » يقف أمامها وكأنها إحدى ملائكة الموت جاءت لتقبض روحه ، تصبب العرق من جبينه وهى تخطو ببطء ودلال أفعى زاهية الألوان تحمل من السموم ما قد يفتك بمئة مثله ، كان يعلم أنها قد تكافئه على فشله بطعنة خنجر أو تجبره على تجرع سم زعاف ينهي حياته البائسة ، اقتربت منه حتى تلاصق صدراهما وهمست في أذنه :

- أتعرف ما هو عقاب الفاشل ؟؟

ابتلع ناشيك كلماتها في خوف لا يتناسب مع كونه رجلا ضخم الجثة يهابه الجميع، دون أن ينبس بكلمة واحدة ، راحت تسحب خنجره من جانبه بهدوء.. كان يعلم أنها النهاية ، راقبت عيون الرجال ذلك المشهد في ترقب فها هو قائد فرقتهم سيغادر الحياة ، رفعت الخنجر ، وظن الجميع أن ناشيك هالك لا محالة، لكنها في حركة سريعة قذفته ليستقر بصدر أحد الرجال خلف ناشيك



الذي اتسعت عيناه ثم تنهد في ارتياح قبل أن تأتي كلماتها بصوت غاضب :

- سأكتفي بقتل ذلك المرتعد هذه المرة .... لولا أنك المفضل لدي لكنت عشاءا لذئابي الجائعة .

بصوت أجش حاول أن يخفف عنها غضبها :

- مولاتي أعدك بأن لا ...

رمقته بنظره جعلته يصمت لتقول هي :

- لا أريد وعودا أريد رأس ذلك الفتى الذي هزمكم ... انصرفوااا .

خرج الملثمون في سرعة ومن خلفهم ناشيك الذي راح ينفض الضباب عن ذاكرته التي لم تعد تحمل سوى وجه ذلك الفتى قائد القافلة ، وجه نيها.

****

كان بيتو يتفحص ساق فرسه التي جرحت بسبب بعض الشجيرات ذات الأشواك حين أتاه صوت هاشم حاملاً صقره على ساعده :

- هل هو بخير؟؟

رفع بيتو رأسه مبتسماً ابتسامة شاحبة :

- سيكون بخير..

-هل ستتركنا ؟؟ جاء سؤال هاشم مفاجئاً لبيتو الذي آلمته جروحه لتذكره ما حدث له ، اعتدل وهو يمسك بلجام فرسه :

- أترككم . إلى أين يا صديقي ؟؟ فدياري كما دياركم قد صارت أطلالاً، لم يعد لي أي مكان أذهب إليه فطريقنا واحد ومصيرنا واحد، معكم حتى نصل لغايتنا. فكما قالت والدتكم إن استطعنا طلب العون من القسطنطينية سننقذ ما تبقى من بلادنا.



صمت لحظات وكأنه يقنع نفسه بأن بلاده مازالت تقاوم، امتطى فرسه قائلاً بصوت رصين:

- سأنتقم ممن صنع هذا بنا وسنعود يوماً.

أنهى كلماته وهو يحث فرسه على الركض ، تبعه هاشم بنظرات تحمل الامتنان ، هنا تعالى صوت أحمد :

- هاشم هيا بنا لن نبقى هنا طوال اليوم .

قفز هاشم إلى صهوة فرسه، لحق برفيقيه و الباشق يحلق عالياً فوق السهول الممتدة أمامهم ، ثلاثة أسابيع مرت منذ رحيلهم ولم يروا بشرا أو حتى شجرا، مروا بأطلال قرى أحرقت وأبيدت ، تبادلوا نوبات الحراسة في أوقات راحتهم القليلة، و رغم ذلك لم يلحظوا من يراقبهم بين الظلال ، عبر ثلاثتهم الوديان والجبال المكسوة بالثلوج، لا يعرفون وجهتهم، يهتدي أحمد ليلاً بنجوم باتت رفيقة دربهم وفي النهار كان الباشق يستطلع لهم الطريق الوعرة مع تساقط الثلوج على جبال الألب ، بدأت أجسادهم في الوهن والصقيع يمتلك أوصالهم .... ليس لهم من الطعام إلا القليل مما يصطادونه أو مما يأتي به الباشق ، وقف هاشم يرمق الجبال العالية المكتسية بالثلوج والبرد يكاد يُجمد الدماء في عروقه :

- ما رأيكم أن نعسكر هنا الليلة ؟

قالها وهو ينظر لأحمد الذي يتثاءب بينما أجابه بيتو:

- نعم يجب أن نأخذ قسطاً من الراحة

- سنخيم بالأعلى فتلك البقعة ستمنحنا الأفضلية لو هاجمنا شيء.

كان هاشم يشير إلى هضبة صغيرة على مسافة ليست ببعيدة ، على ضوء



النيران الدافئة خلد أحمد إلى النوم بينما جلس بيتو أمام النيران يطهو أرنباً اصطاده منذ قليل، أخذ سكينه وقطع قطعة صغيرة ألقاها لهاشم :

- أطعم طائرك .

التقط هاشم قطعة اللحم وأخذ يطعمها للباشق :

- أتدري .. لم أحلم يوماً بأن يصبح لدي ما أهتم به .... سوى فرسي الذي أهدته لي والدتي ..وهذا الطائر.. أتذكر يوم وجدته فرخاً صغيراً في «برج المتزين » عند الطرف الشمالي من القصر إنه من نوع نسميه نحن العرب « باز» منذ ذلك اليوم وهو يرافقني في كل مكان ...

ضحك بيتو:

- أتعرف أيها الأندلسي أني لم أحلم يوماً أن أرافق أميرين عربيين في رحلة لا أعلم نهايتها ... ولكن هناك ما يدفعني لإكمال هذه الرحلة .

- وما هو؟؟

- لا أعلم ... ربما الانتقام ، المغامرة أو البحث عن الحقيقة سأطلعك على سر...

اعتدل هاشم في جلسته وهو يقول :

- أفشِ سرك أيها الثرثار.

تعالت ضحكات بيتو ، قضم بعدها قطعه من اللحم راح يلوكها بلسانه وهو يتحدث :

- لم أقتنع يوماً بحروبنا ضدكم، حاول أبي أن يجعلني قائداً على إحدى الكتائب المغيرة على ألميريه ولكني رفضت، فحروب الاسترداد ليست من أجل الاسترداد ، كيف نسترد ما هو ليس ملكنا ؟! يضفون القدسية على الحرب



ويقولون إنها باسم الرب، لا أعلم ربا يحث الناس على القتل وإجبار البعض على اعتناق دين آخر....

ابتلع قطعة اللحم ليقضم أخرى في نهم وهو يكمل :

- أتعلم أن مملكة أرغوان يوجد بها أجمل نساء الجزيرة الايبيريه .....

نظر إلى هاشم ليجده قد غط في نوم عميق :

- هاشم .. هاشم !!

لم يتلق إجابة ليكمل في تململ :

- نمت لأتولى أنا نوبة الحراسة صـ....

قطع ما كانت شفتاه على وشك أن تتفوه به و التفت لمصدر صوت انتزعه من استرخائه . دقق النظر في الشجيرات التي تهتز بعنف . فرك عينيه بيده قبل أن ينظر مجدداً لذلك الشيء الذي خرج من بين الأغصان الطويلة ..... غير مصدقٍ ما رآه .

****

خيط رفيع بين الحقيقة والخيال. قد ترى عيناك شيئا ما ولكن عقلك يرفض أن يصدق ما تراه . كان هذا حال « بيتو » وهو يقف فاغراً فاه . عيناه مثبتتان على تلك الفتاة التي خرجت من بين الشجيرات وعلى ضوء نار المخيم . كان وجهها الجميل يحمل ابتسامة مرحة إلى حد ما ، تقدمت خطوات ليتبين ملامحها أكثر: كانت بيضاء ذات شعر أحمر قان منحه ضوء النيران سحرا خاصا ، كانت ترتدي درعا خفيفا يتماشى مع قسمات جسدها ، جعلها مظهرها أقرب إلى محاربة أسطورية جاءت من العصر الروماني ، حذاء جلدي يصل إلى أسفل ركبتها، تحمل بيد خوذة بريش أحمر فيما أمسكت اليد الأخرى عصا ذات جوهرة متلألئة باللونين الأحمر والأصفر. تجمدت أصابع بيتو الذي



عم جسده صقيع لا يعلم مصدره ، في صوت حمل الخوف و الحذر تحركت شفتاه :

- من أنتِ بحق الجحيم .

تقدمت خطوة ولم تجب على سؤاله ، سحب قوسه الصغير بسرعة ليصوبه نحوها وقد وجد الخوف سبيله عبر عروقه لترتجف يداه :

- من أنتِ ؟؟

تقدمت ناحيته أكثر، فما كان منه إلا أن أطلق سهمه القصير باتجاهها ، ولكن ما رآه « بيتو » لم يكن يقل دهشة عما رآه حين خرجت من بين الشجيرات بشعرها الأحمر ، فقد رفعت يدها الممسكة بتلك العصا بنفس التوقيت الذي أطلق هو فيه سهمه ، الذي لم يكمل طريقه نحوها بل ظل معلقاً في الهواء فوق النيران التي تفصل بينهما ، في حين خرجت من عصاها كرة حمراء متوهجة صرطت ذلك السهم ، وسرعان ما أرسلت أخرى نحوه ، لتجعله ثابت الحركة في وضع الإطلاق الذي كان عليه ، أحس بيتو بالهواء البارد يلفح وجهه وقد تجمدت أطرافه فلم يعد يقوَ على الحركة، وكأنه أصبح تمثالا حيا يرى ويسمع ولكن لا يقوى على الحركة ،عجز لسانه عن النطق بكلماته التي رددها داخله « اللعنة عليكِ أيتها الساحرة « .... وجهه الذاهل مازال في حالته وعيناه ترصدانها في نقم وغضب يشوبه الفزع ، تخطت بساقيها الناصعتين البياض النيران قبل أن تتوقف وتلق نظرة على السهم المعلق بالهواء لامسته بأطراف أصابعها وهي تتمتم :

- لماذا فعلت هذا ؟؟ .

استدارت لتواجه بيتو حينما أحست بذلك النصل البارد يلامس عنقها مع صوت هاشم قائلاً بالعربية :



- ماذا فعلتِ به ؟؟

لم تفهم كلمات هاشم، أجابت وهي تلقي عصاها أرضاً :

- اهدأ أنا صديقة ولا أضمر لكم شراً .

جاءت جملتها القصيرة باللاتينية التي يتقنها هاشم ورفيقاه عن ظهر قلب ،كانت تركز عيناها على أحمد الذي كان يقف على مقربه من بيتو حاملاً رمحه متسائلاً :

- ماذا يحدث ؟؟

كان ينظر إلى بيتو المتحجر وتلك الشابة التي وضع هاشم سيفه على رقبتها قائلا لها في حدة:

- وهل يفعل الأصدقاء هذا؟

هذه المرة نطقها هاشم باللاتينية وهو ينظر لبيتو الذي مازال على وضعه ، ابتسمت وهي تحاول الالتفات ولكن سيف هاشم ثبتها في مكانها مرة أخرى :

- هذه اللغة التي أفهمها .... أعتذر... ولكني لم أفهمه.. فقد رماني بسهمه...

كانت تشير لسهم بيتو المعلق في الهواء ، ضغط هاشم على النصل أكثر وصوته يدوى بأذنها :

- ماذا تريدين ؟؟ ولماذا تتبعيننا منذ هبوطنا على الشاطئ ؟؟

ضحكت :

- عظيم كنت أعرف أنك قائدهم وتوقعت أنك تعرف أني أتتبعكم .

قاطعها هاشم بصرامة :

- أجيبي عن أسئلتي .



كانت عيناها تتابع أحمد الذي وقف بالقرب من بيتووراح يتحسس وجهه في حذروذلك الأخيرتكاد عيونه أن تقفزمن محجريهما :

- اسمي إليكترا ... ولا أريد سوى أن أحظى برفقة في رحلتي .

هنا جاء صوت أحمد بالعربية :

- هاشم هل سنترك بيتو هكذا ؟؟

نطق هاشم بصرامة :

- حرريه

أشارت للعصا :

- أحتاج لسلاحي .

نظرهاشم بقلق لتلك العصا الملقاة أرضاً ، ولكنه تغلب على عدم ثقته وكان هناك مبرر لذلك . لوكانت تريد قتلهم لفعلت ذلك حينما سنحت لها الفرصة :

- التقطيها وإياكِ أن تحاولي الغدربنا

في بطء أنثوي التقطت عصاها بينما سيف هاشم مشهراً بوجهها ،تمتمت بكلمات غير مفهومة قبل أن تلوح بعصاها لترسل كرة متوهجة، ارتطمت بجسد بيتو الذي انتفض جراء رياح ساخنة عمت جسده . فسقط السهم في النيران ، وما إن تم فك سحرها عن بيتو حتى صرخ بانفعال وهو يشهر خنجره متقدما نحوها :

« أيتها العاهرة « .

صاح به هاشم :

- بيتو توقف .



توقف بيتو وهو يرميه بنظرة حانقة:

- سأقتلها وسأستمتع بذلك .

ألقت إليكترا عصاها مرة أخرى لتبين لهم أنها لا تضمر لهم شراً ...تدثرت السكينة و أشرق وجهها ببراءة طفل باسم :

- أعرف أن العرب يكرمون الضيف ألا تطعموني من ذلك الشواء..

كانت تشير للأرنب الذي كاد يتفحم ، لم تتلقَ إجابة. نظرت لوجوههم التي طبع عليها عبارة لا نرحب بالغرباء ، علمت أنهم مروا بأوقات عصيبة وأنه لا وجود في قاموسهم لكلمة ثقة ، كل ما عليها الآن هو أن تجعلهم يثقون بها ولكن كيف ؟؟

هذا ما كانت تخمن فيه بجانب ذلك الأرنب الذي احتل جزءا كبيرا من تفكيرها.

****

كثيراً ما كانت تروى القصص والأشعار لتصف جمال مدن الشرق وروعتها..تحكي عن لياليها ، عن السماء وآلاف النجوم والكواكب لا حصر لها ، عن قصور زينتها قباب عملاقة وحدائق ليس لها مثيل بأي مكان على الأرض ، كانت « سمرقند » إحدى تلك المدن وآخرها تواجداً ، صمدت بأسوارها الحجرية وقصورها ذات القباب الزرقاء ، بقيت لتروي بسالة أهلها أمام الجيش الملعون ولتبقى آخر قلعة في الطريق إلى القسطنطينية .... أدانت تلك المدينة إلى روبن بالولاء وأصبحت جزءا من اتحاد العشائر وعقبة في طريق يورشي وجيشه... رغم سقوط ما قبلها وما بعدها .

تسارعت خطوات الملثم وهو يعبر طرقات سمرقند تحت الظلام الدامس حتى وصل إلى تلك الحانة التي أضاء مدخلها أحد المشاعل مع عبارة ترحيب



كتبت بالعربية ، عَبر الباب الخشبي وهو يزيل اللثام عن وجهه ويجول بنظره متصفحا وجوه رواد الحانة التي تعرف بحانة اللصوص ، لم يكن ذلك الرجل سوى ماردين الذي وصلت قافلته للمدينة صباحاً ، ألقى جسده على أحد المقاعد وسط صخب وضوضاء تتخللها موسيقى عربية وضحكات كريهة بينما كانت نظرات البعض له تحمل الفضول ، فهيئته وملابسه يفضحان أمره عيونه الزرقاء وشعره الأصفر المنسدل على كتفيه بجانب وجهه الحليق الذي يفضح أمره كأمير أوروبي ، تقدم رجل ضخم لطخ جسده بوشوم كثيفة متشابكة تخللتها بعض آثار لجروح قديمة. ما إن اقترب من ماردين الذي انهمك في شرب كأس نبيذ حتى قال بصوت أجش أقرب للزئير منه إلى صوت البشر:

- أتريد الفتاة مُرافقا.

أتبعها بضحكات مقيتة ، فيما تعالت ضحكات مشابهة بأرجاء الحانة ، رفع ماردين عينيه في لامبالاة للضخم الذي ظل يرمقه مبتسماً ابتسامة كريهة برزت خلالها أسنانه الصفراء ، مد الضخم يده ليداعب شعر ماردين الأشقر وهو يقول :

- سنقضي وقتا .....

ابتلع باقي جملته مع اثنتين من أسنانه قبل أن تلامس يداه شعر ماردين ، لكمة قوية أرسلها هذا الأخير لوجهه ليتراجع في قوة والدماء تسيل من أنفه وفمه.. تلمس أنفه وهو يصرخ :

- سأقتلك يا ابن العاهرة.

قالها وهو يستل سيفه وينقض على ماردين الذي لازال جالساً في هدوء لا يتناسب مع الوضع، هنا اخترق صوت أنثوي قوي أذان من بالحانة :



- كفى .

توقف الضخم عن هجومه وهو يزمجر، ومن خلفه كانت العيون ترصد تلك الشقراء ذات الزي الجلدي الأسود، كان حولها عدد لا بأس به من الملثمين المتشحين بالسواد ،تدعى « ليليتا » زعيمة عشيرة النينجا: لصوص طريق الحرير. قطعت الصمت بخطواتها نحو ماردين الذي لازال جالساً مبتسماً لترسم هي الأخرى ابتسامة صفراء على وجهها و هي تجلس أمامه :

- عذراً أيها الأمير فهذه طريقتهم للترحاب ..

- لا عليك

قالها بزهو المنتصر ملوحاً بيديه وهو ينظر إلى الضخم الذي جلس يعالج أنفه وهو يرمقه بنظرات غاضبة، أكمل ماردين :

- دعينا ننهي أعمالنا .... في الصباح سأكمل رحلتي إلى دونهانج ولا وقت لدينا لنضيعه.

نظراتها التي تشبه نظرات أفعى سامة تستعد للفتك بفريستها جعلتها تبدو في قمة نشوتها، كانت عيناها تدلان على أن هناك شيئا ما سيحدث. شيء ناتج عن اتحاد أفاعٍ امتلأت عقولها بسموم الشر....

* * *



صحراء الدم

« لا تجعل يقينك شكا.. ولا علمك جهلا ولا ظنك حقا، واعلم أنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت، وإياك أن تضع ثقتك بالغرباء حتى يثبتوا العكس».

ترددت كلمات حفظها هاشم عن ظهر قلب وهو يستمع لرواية إليكترا مع صديقيه ، تبادلت معهما الحديث وراحت تجاوب على أسئلة أحمد وهي تتابع بين الحين والآخر هاشما الذي يجلس واضعاً صقره على يده وعيناه ترصدان حركتها، ينصت لكل كلمة تقولها ، لا يصدقها ولا يكذبها ..تحدثت عن دمار روما الذي أنهكها الطاعون قبل أن يأتي المشعوذون تحت اسم أساقفة الرب ولينهوا حياة الآلاف لتخليصهم من الآثام ، تنقلت عبر البلاد، حتى رأتهم وهي في طريقها إلى البندقية، حيث توجد آخر السفن الراحلة إلى القسطنطينية .

لم يقصوا عليها قصتهم ولم يجيبوا عن وجهتهم إلا عندما سألت إلى أين هم ذاهبون ؟؟

أجاب بيتو بعفوية :

- إلى القسطنطينية ..

تبددت ابتسامتها عندما سألت عن موطنهم فأجاب هاشم نحن رحالة .. قالها وهو يرمق بيتو بشرر ليصمت ويكف عن الثرثرة ، لم تكن تصدقه، فهمت



أنه لا يثق بها . قضى الجميع الليل في الحديث وبعد وقت غط الجميع في نوم عميق إلا هاشما ظل يقظاً.

استيقظت إليكترا غير مبالية بالشمس التي غاب الدفء عن أشعتها ، نظرت حولها لتجد أحمد وبيتو نائمين ولا يوجد أثر لهاشم، كانت إحدى الخيول مفقودة أيضا .. تثاءبت في كسل قبل أن تحملها قدماها نحو البحيرة الصغيرة في الجوار، رأته يقف عاري الصدر على شاطئها يلاعب فرسه البيضاء وهي تنثر المياه الباردة وتركض متوغلة داخل البحيرة . لمح هاشم إليكترا القادمة بوجهها المشرق ومشيتها المثيرة، ما إن اقتربت حتى انفرجت شفتاها قائلة :

- صباح الخير أيها الوسيم .

حاول تجاهلها عندما فاجأته بكلماتها المرحة . أومأ برأسه في صمت . أثار حفيظتها وهي ترميه بنظرة حائرة، خلعت حزام ثوبها وألقت به جانباً:

- ألم تنم ؟

- لا .. أجابها باقتضاب وهو يمسح ظهر فرسه دون أن ينظر إليها . مع صمتها شعر ببرودة تعامله معها وعندما قرر أن يحدثها استدار.. ليجدها قد خلعت كل ثيابها وصارت لا ترتدي شيئاً فأشاح بوجهه في غضب :

- ماذا تفعلين ؟

ردت بضحكة عالية أعقبتها بإلقاء جسدها المرمري في الماء لتغوص ثم تخرج رأسها وشعرها الأحمر يغطى وجهها قائله :

- ماذا ترى أيها الوسيم ؟؟

وتعالت ضحكاتها مرة أخرى . كان أحمد وبيتو استيقظا مع أول ضحكاتها حيث وقف الاثنان وعيونهما معلقه على هاشم الذي امتطى جواده . لم



يسمعا حديثه معها ، رآهما فانطلق بفرسه نحوهما ومن خلفه خرجت إليكترا من الماء بجسدها العاري وشعرها المبلل جحظت عينا أحمد وهو يقول :

- ما هذا ؟

لم يتلق الإجابة من بيتو الذي وقف يتأمل تضاريس جسدها فاغراً فاه مذهولاً ، أفاق بيتو بلكمه أرسلها أحمد إلى كتفه لينتفض قائلاً :

- يبدو أن هاشما فازبالإوزة .

تبعها بضحكة وهو ينحني أمام هاشم الذي مر أمامهما بفرسه بينما وقفت إليكترا ترتدي ثيابها ، وترمقهم بطرف عينيها في غنج ، عاد بيتو ببصره إليها ليجدها قد ارتدت ثيابها ورفعت يدها تمشط شعرها المبلل رأت نظراته الثاقبة تخترقها فتجاهلته ، فرفع يده ملوحاً لها قائلاً:

- أتحتاجين مساعدة؟ .. ..

وخفت صوته وكأنه يحدث نفسه ((أيتها الإوزة البيضاء)).

****

خرجت قافلة أراكيس من سمرقند لتتجه شرقاً إلى دونهانج محاطة بفرقة من الفرسان لحمايتها كما هو معتاد، كان ماردين بين الفرسان، أخذ يصول ويجول بطريق القافلة أمامها مرة وخلفها مرة مما جعل أراكيس يلاحظ هذا التحرك الذي يشوبه التوتر، انتظر حتى مر ماردين بجانبه فصاح منادياً إياه ، أدار ماردين فرسه عائداً لأراكيس قائلاً :

- أمرك سيدي

تعجب أراكيس من لهجة وكلمات ماردين التي لم يسبق وأن تحدث بها من قبل عقد حاجبيه وهو يقول :



- ماذا بك أراك نشطا اليوم ؟

لم ير أراكيس ابتسامة ماردين الصفراء بفضل تلك الخوذة التي لا تظهر سوى عينيه :

- لا شيء بعض القلق من ذلك الطريق فكما تعلم أن جيش لورد ياركن يكمن على بعد أميال .

إجابة أقنعت أراكيس الذي ظن أن ماردين أخيراً أصبح يملك عقلا فقال له :

- نعم سنأخذ طريقنا إلى الجنوب لنعبر الهيمالايا متجاوزين هوتان وحوض تاريم عاجله ماردين :

- أظن أننا بهذا سنسلك طريقا طويلا ولن تتحمل الخيول والإبل برودة وصقيع الهملايا كما أننا لا نعرف ماذا يوجد هناك ..

- إذن ما هو رأيك ؟

قال ماردين الذي راح قلبه يخفق بسرعة :

- نأخذ طريق الشمال عبر جبال تيان شان .. سيختصر ذلك الوقت كما سيسمح لنا برؤية واضحة لصحراء تكلا مكان، حيث معابد الريمناس التي تعسكر بها جنود النايا بقيادة ذلك المدعو ياركين .. مما يعطينا الأفضلية إن حدث أمر ما ..

أعجبت الفكرة أراكيس الذي كان يمني نفسه بأن يكون ذلك الفتى قد رجح عقله، لكن شيئا ما بداخله كان يحدثه بعكس ذلك، بيد أنه سرعان ما نفض عن رأسه تلك الأفكار السيئة الظن قائلاً :

- إذن فأنت قائد فرقة التأمين



تهللت أسارير ماردين الذي كانت خطته تسير كما يريد، فها هو أراكيس ينصبه قائد فرقة تأمين القافلة ، لم يكن أراكيس يعلم ما يسير نحوه فقد ظن أن ربيبه صار يُعتمد عليه وأن سنوات تدريبه لم تذهب سدى .

****

في أصعب لحظات حياتنا نجد ما يدفعنا للأمام، وعندما تفقد حياتنا كل معنى نجد شيئا .. شيئا يجعلنا نستمر في المضي قدماً ، ذلك الشيء هو الذي جعل هاشما يجيب على سؤال إليكترا بأنهم ذاهبون إلى القسطنطينية ، لم يعرف لماذا قال لها هذه الإجابة . فالخوف من المجهول يتربص به دائماً كما هو حال كل البشر يخافون من القادم ودائماً ما يتوقعون الأسوأ ، وليس هناك أسوأ من تركك لديارك وأهلك وأحبابك ..هل هناك أسوأ من أن تهيم في الأرض لا تعرف إلى أين تحملك قدماك وقد منحك القدر رفيقين فُرضت عليهما ا لرحله إلى المجهول مثلك، يعتمدون عليك في كل الأمور أصبحت قائداً رغما عنك وعيناك لا تكاد تبعد عن ذلك الصقر المحلق مُرشدك .. هل تساءلت يوماً إلى ماذا يرشدك ؟؟

مع تلك الرؤيا أو الكابوس أيا كان اسمها، وذلك المخلوق الناري صاحب الرمح المشتعل بالنيران وكلماته التي صارت تلازمك حتى بأوقات صلاتك « ستُعاني، نعم ستُعاني أحباؤك سينزفون وأنت أيضاً ستنزف» . الخوف يحيط بك رغم رباطة جأشك ووجهك المحافظ على هدوئه، كلماتك القوية التي تبرز القائد بداخلك، الخوف على رفيقيك من المعاناة ، الخوف على تلك المجنونة التي لم يمر على معرفتك بها سوى أيام ، نعم أنت لا تثق بها ولكن بداخلك ذلك الشيء يحاول أن يجعلك تضع ثقتك بها بل ويجبرك على ذلك ، نعم أنت تتجاهلها أو تحاول ذلك ليست كلمات أثينا السبب فيما تحاول إظهاره



من عدم ا لثقة بل خوفك من أن تفقدها إذا ما حاولت أن تجعلها جزءا من حياتك .

هاشم إنها الحقيقة فكل شيء تعلق به قلبك فقدته ..والدك .. والدتك .. أثينا .. غرناطة بشوارعها ذات الحدائق الغّناء و الأسواق، البحر والمبارزة بإشبيلية وتلك الفتاة الغجرية التي رأيتها يوماً بمالقه .. لم يعد هناك أحياء لم تعد هناك مدن أو امبراطوريات فقط الدماء والهلاك و الموت .

- يا صاحب الإوزة هل ستظل شارداً طوال الطريق !!

كلسعات قفير نحل جاءت كلمات بيتو لتنتشل هاشما من هواجسه وأطلاله لينظر باستغراب إليه و يلمح ابتسامة إليكترا من خلفه :

- أية إوزة ؟

غمز بيتو هاشما بعينيه وهو يضحك ..هذه الدعابة لم ترق لهاشم فوكز فرسه ليسرع قليلاً بينما كانت إليكترا تقول لأحمد :

- يتصف أخوك بالغرور

ضحك أحمد وهو يشير للنهر قائلاً

- ما اسم هذا النهر؟؟ وأين نحن ؟

أجابته وهي تعدل من وضع إحدى خصلات شعرها الأحمر الذي نثره الهواء :

- نهر البو.. إذا سرنا بمحاذاته سنصل لغايتنا

صمتت لحظة قبل أن تضيف

« البندقية»

****



عبرت قافلة أراكيس العظيمة جبال تيان شان في أمان تام ، لم يروا من البشر أحداً ولم يوقفهم عن مواصلة الطريق الصعب شيء فبرغم وعورة هذه الجبال التي تكاد قممها تلامس الشمس الحارقة، أصر ماردين على عبورها وبعد ذلك يبحثون عن الراحة ، كانت حجته هذه المرة أكثر إقناعاً كسابقتها لأنهم سيتزلون بواحات «بلكاش» حيث المياه والعشب النضر الوفير.

أراح الرجال الإبل بينما شرع الآخرون بنصب بعض الخيام فيما حمل البعض جرار الماء إلى البحيرة التي تتوسط الواحة ، خيم الليل بسكونه على المكان الذي انتشرت به المشاعل إلى جانب ضوء القمر المشرق المرحب بأراكيس الجالس في خيمته يطالع بعض الخرائط في اهتمام .

كان كأس الماء أمامه يهتز اهتزازات طفيفة لفتت انتباهه وراحت هذه الاهتزازات تتزايد بمحيطه وهنا التقطت أذناه أصواتا يعرفها جيداً ، أصوات ضربات أقدام خيول تركض عبر الصحراء الشاسعة.

حمل درعه وخرج ليرى ماذا يحدث، وعلى ضوء القمر كانت الظلال تتقدم أكثر فأكثر، حالة من الهرج عمت المكان استل الجميع سيوفهم ووقفوا بانتظار القادمين.

« كانوا فرسانا تحملهم الخيول السوداء واللون الأسود هو المفضل لديهم، يتشحوُن به لا ترى سوى أعينهم، وقد تكون آخر شيء تراه قبل رحيلك إلى عالم الموتى ، إنهم لصوص طريق الحرير لا يقلون رعباً عن جيش يورشي، إنهم عشيرة النينجا التي قطعت خيولهم القوية تلك المسافة في لحظات خاطفة لتصول سيوفهم بصدور ورقاب فرسان أراكيس ، كان يقفز مسقطاً أحد المهاجمين عن صهوة جواده ليغرس بعدها نصل سيفه بقلبه ، اشتدت المعركة تحت ضوء القمر المكتمل، قاتل فرسان النور بكل ما أوتوا من قوة، سقط الكثير



منهم، فالمهاجمون يفوقُونهم عدداً ولكن لم يمنعهم ذلك من مواصلة القتال الذي بدت نهايته وشيكة ، واصل أراكيس القتال وعيناه تبحث عن شيء ما، راح يسقط هذا ويطعن هذا متفادياً سيلا من الضربات و.... أحس بذلك النصل يخترق ظهره ، كان يعلم أنه هو تغلب على آلامه واستدار ملوحاً بسيفه في الهواء تفادى مهاجمه تلك الضربة العشوائية من أراكيس الذي تلقى ضربة بالسيف في قدمه مُحدثة جرحا جديدا فتناثرت دماؤه ليسقط على ركبتيه وهومازال ممسكاً بسيفه الذي حاول الارتكاز عليه ليقف مرة أخرى، تلقى ضربة أخرى ليسقط وعيناه تجول بين رفاقه الذين راحوا يسقُطون بين جريح وقتيل ، كان مهاجمه يقف أمامه بزيه الأسود وعلى وجهه ابتسامة عريضة، تقدم لأراكيس الذي جلس على ركبتيه مرة أخرى شاهراً سيفه وجروحه تنزف دون توقف :

- كنت أعلم انك ستخوننا

نطقها أراكيس والألم يجتاح جسده المدمى ، بينما وقف ماردين ملوحاً بسيفه في الهواء قائلاً:

- كفاك ثرثرة أيها الأصفر الحقير.

هنا ارتفعت ضحكات أراكيس، ضحكات عالية جعلت القتال يتوقف ويحتل الجمود والذهول أركان ماردين الذي قال في عصبيه :

- ما الذي يضحكك أيها ...

- أنت ..

يبدو أن الإجابة أغضبت ماردين بشدة جعلته يضرب سيف أراكيس بقوة ليطيح به بعيداً قائلا بعدها في عصبية برزت منها عروقه النافرة :

- ما الذي يضحكك ؟؟



كان أراكيس يعلم أنه خسر المعركة وأنها نهايته ، إلا إن حدثت معجزة، وكما يعلم فذلك الخائن لن يتركه إلا جثة هامدة، هنا تعالت ضحكاته مرة أخرى وسط نظرات النينجا هؤلاء القتلة المأجورين الذين لم يتركوا حياً وراءهم وهم يتقدمون باتجاه أراكيس المبتسم وهو يقول بصوت حمل قوة وهدوءا :

- لن تحصل على قافلتي .. ولن تحصل على العرش .

و ارتفعت يداه بخنجر أخرجه من جانبه « ولن تحصل على شرف قتلي « وهوى بخنجره على بطنه ليموت كما يموت الساموراي في عزة وفخر، قتل نفسه ليمنحماردين غضبا يضاهي أعظم براكين العالم قوة وقسوة ، زاد هذا الغضب عشرات المرات عندما جاءه خبر أن ما يوجد بحمولة القافلة ليس سوى جرار مملوءة بالحطب الجاف وقد صدقت كلمات أراكيس الذي راح ماردين يرددها كالمجنون « لن تحصل على قافلتي .. لن تحصل على العرش .. لن تحصل عل شرف قتلي»

حاول التلذذ بقتل معلمه في سادية وبدلاً من هذا، ترك له أراكيس درسا جديدا ليتعلمه درسا لن ينساه ما حيي .

في تلك اللحظات، كانت قافلة أراكيس تعبر جبال كركورام تحت قيادة أحد رجاله « نيوكر التتري « أمهر فرسان سمرقند .

****

حجب الضباب الكثيف الرؤية تماماً مع تلك البرودة الشديدة التي تكاد تتجمد منها أطراف هاشم ورفاقه، اضطرهم ذلك الضباب للسير على ضفاف النهر حيث بعض الرؤيا الواضحة، لم يكن يرى الباشق ولم يكن يسمع سوى خرير النهر وأقدام الخيول على تلك الصخور والأحجار .. خيل له أن هناك من يتبعهم داخل الضباب، برودة سرت في جسده ، حتى حصانه يرتجف متوتراً ..



كم تمنى هطول الأمطار لتكشف النقاب عن تلك الغابة التي يكسوها الضباب.

- لقد ضللنا الطريق

التفت الجميع إلى إليكترا الجالسة خلف أحمد وقد حملت وجوههم علامات الاستفهام

- ماذا ؟؟؟

- نعم يا بيتو ضللنا الطريق بسبب ذلك الضباب. يبدو أننا اتخذنا الرافد الخطأ.

أوقف أحمد فرسه وهو يقول:

- ما الحل إذن ، أليس من المفروض أن نذهب إلى البندقية ؟؟

أجابته إليكترا:

- إذا كنت على صواب فنحن على بعد أميال من البندقية إما أن نُكمل إلى مصب النهر ونسير بعدها بمحاذاة الشاطئ شمالاً أو ..

هنا أكمل هاشم الخيار الثاني :

- أو نَعبر تلك الغابة المكسوة بالضباب .. أليس هذا ما ترمين إليه ؟

- هاشم .. أعرف أنك لا تثق بي حتى الآن ولكن هذا ليس مبررا لنبرتك التي تجعلني خائنة أو أني أقودكم إلى فخ ما .

صاح بيتو وهو يرمق هاشما وإليكترا بنظرات غاضبة:

- كفاكما عبثا ، لن نُخون بعضنا البعض ولنر ما سنفعله الآن .

ولأول مرة يصبح بيتو صوت العقل الذي بدا منطقياً وسط جبال من عدم الثقة التي راحت تنمو بداخل هاشم .

- هاشم ماذا سنفعل ؟؟



لم يجاوبه هاشم وهو يطلق صفيره منادياً الباشق دقائق أخرى من الصمت مرت دون أن يتحدث أحدهم وهاشم لازال منتظراً صقره الذي اختفى وسط الضباب الكثيف ..

- فلنجر تصويتا على الطريق وبهذا نكون حللنا المشكلة ..

كان هذا أحمد الذي نزل عن فرسه تاركاً إليكترا على صهوته ، وهى تنظر لبيتو الذي برقت عيناه بإعجاب للفكرة .

- هاشم .. هاشم

ترك هاشم عالم الشرود وهو ينقل بصره بين رفاقه قائلاً :

- الأمر يعود إليكم ولكنى أفضل طريق الغابة .

تعجب الجميع من اختيار هاشم حيث سيطر ذلك الإحساس بالدهشة المختلطة بقليل من الحيرة عليهم ، فمنذ قليل كان لا يريد هذا والآن قد تغير موقفه تماماً وفي حذر قال أحمد :

- أنا أيضاً سأختار الغابة.

علمت إليكترا أن بيتو سيأخذ نفس اختيار صديقيه ، وكذلك كان ، لتقف هي في موقف لا يحسد عليه ، وهنا جاءت كلماتها بثقة المنتصر:

- سأختار طريق النهر حتى نصل للشاطئ.

لم يكن لاختيارها معنى الآن، فثلاثتهم يريدون الطريق الآخر وهى وحدها اختارت عكسهم ، فَضلت الصمت خلال عبورهم النهر إلى الغابة التي لا يرى منها سوى جذوع الأشجار التي اختفت قممها داخل الضباب .

« بيتو » من الحياة المترفة إلى الهروب والرحيل للمجهول ، كم افتقد فتيات ونساء أراغون بشعرهن الأشقر وعيونهن الزرقاء ، ليالي السهر بقصور



قشتالة التي كانت يوماً ملكا للأندلسيين .. طوال سنوات عمره القصيرة لم يشغل باله بحروب الاسترداد ، كل ما شغل باله هو اللهو والعبث ، الخمر والنساء والصيد ، ولا يختلف عنده صيد غزال من الغابات عن صيد فتاة تعلق بها عقله بإحدى الحفلات يطاردها ويشغل عقله بها يستدرجها ويفترسها في تلك المعركة الأبدية بين الذكر والأنثى ، رحلة صيد تنتهي عادة بوجبة دسمة بفراش النوم وإن كان حظه عاثرا فسيصبح هو طريدة لزوجها أو أخيها .. هكذا كانت حياته قبل أن يأتي ذلك الجيش الغازي بوجوههم التي تشبه وجوه الماعز ومخالبهم الذهبية التي قطعت أوصال أصدقائه و أهل مدينته . خلال رحلته عرف من أحمد الكثير مما هم مقبلون عليه ، المغامرة و الفضول بجانب أمل يبقى داخله : إنهاء هذا الأمر والعودة لبلاده ، كان يشتهي تذوق لحم الإوز الأبيض ولكنه يظن أن هناك من سبقه إلى تذوقها ولهذا كانت محرمة عليه فهي الآن ملك لصديقه العربي .هكذا كان يظن وهو يتأمل جمالها الناري ...

جاء صوت إليكترا التي حملها أحمد خلفه كنغمات قيثارة تشدو وهي تقول :

- بيتو من العجيب أن أرى اسبانياً يرافق العرب .
- إنها قصة طويلة .
- أعرف أنكم لا تثقون بي، أما أنا فأثق بكم فقد أرسلكم القدرلي.

لامست كلماتها قلبه الذي طالما ضعف أمام النساء وخصوصاً الجميلات منهن، لقد صَدقها نعم كان يُصدق كلماتها ، تنهد قبل أن يحرك شفتيه ليقول شيئا ولكنه توقف مع سماعه لذلك الصوت .. أخذ ينظر حوله وهو يقول :

- هل سمع أحدكم هذا ؟؟

عقد هاشم حاجبيه منصتاً بينما قال أحمد :



- عماذا تتحدث .. بيتو هل تتوهم ؟؟

ارتفع صوت إليكترا فجأة :

- انظروا هناك ..

كانت تشير إلى الضباب القادم نحوهم في انسياب وهدوء ، وما هي إلا دقائق حتى راح يحيط بهم من كل جانب، لم يعد أحد منهم يرى الآخر وكأنه تم عزل كل فرد منهم على حدة، حيث أخذ هاشم ينادي على رفاقه وبالمثل يفعل كل منهم ذلك قبل أن يسود الصمت ، فقد بيتو وإليكترا الاتجاهات فقط ذلك البخار يحيط بهم لا أرض تحت قدم الفرس الذي أخذت تصهل في توتر هنا برز صوت أحمد :

- بيتو.. إليكترا .. هل أنتم هنا

تفاجأ بيتو بأحمد الذي أوقف فرسه بجانبه ويده تعتصر حربته في تحفز:

- أين هاشم ؟؟

- لا أعلم .. سمعت صوته ولكن لا أدري من أي اتجاه يأتي .. الـ....

قطع بيتو حديثه وهو يدقق السمع، كانت أصوات تأتي من بعيد، أصوات صيحات بشرية أصوات هادرة تقترب أكثر فأكثر، راحت تعلو مع اقترابها و اختلاطها بصوت الأقدام ، ارتجلت إليكترا عن الفرس ممسكة بعصاها المتوهجة وبيتو يصيح بها :

- أيتها المجنونة ماذا تفعلين ؟؟

جاءت إجابتها عبارة عن كرة حمراء متوهجة أطلقتها لتسقط ذلك الذي خرج من الضباب ، ما إن لامس جسده الأرض، حتى خرج مثله من العدم عشراتٌ، راحوا يهجمون على أحمد وبيتو وتلك المقاتلة البارعة التي أسقطت



العديد منهم بفضل ضرباتها، بدأت تطلق كراتها المتوهجة يميناً ويساراً ، سقط أحمد عن فرسه مع كثرة المهاجمين حاول النهوض بسرعة عندما تلقى إحدى الضربات على رأسه وأفقدته الوعي، ظل بيتو على ظهر فرسه البرونزي يطيح برؤوس تلك المخلوقات التي كانت تبدو من البشر ولكن هناك خطب ما عيونها السوداء مختلفة ولحومها مهترئة ومتآكل بعضها، كلما سقط أحدهم لا يلبث وأن يقف مرة أخرى على قدميه، لم يرَ أحمد أو إليكترا وسط ضجيج المعركة التي كان يعلوفيها صوت السيوف والصياح ، وفي هذه اللحظة سمع صوت بوق يصم الآذان ، انشغل بيتو بهذا الصوت الذي شتت انتباهه فلم يشعر إلا بتلك الهراوة تهوي على صدره لتلقيه بعيداً عن فرسه ، رأى ذلك الزومبي يتقدم نحوه و.. انطلق صوت البوق مرة أخرى لينسحب تاركاً خلفه بيتو ملقى أرضاً وهو يشاهد تلك الجموع تختفي وسط الضباب .

****

استطاع هاشم التغلب على مهاجميه وهو يشق طريقه بينهم ، يقطع الرؤوس بسيفه الحاد علم أنها الطريقة الوحيدة للتغلب على أصحاب اللحم المهترئ والسيوف الصدئة ، عندما جاءت أولى صرخات البوق كان يقضي على آخر خصومه، أخذ ينظر إلى الجثث قبل أن يصيح منادياً أحمد وكما توقع لا إجابة .. امتطى جواده الأبيض الملطخ بالدماء وعندها سمع البوق يدوي مرة أخرى ..

أخذ الضباب في الانقشاع كاشفاً عن مزيد من القتلى ليرتفع معدل القلق والتوتر على وجهه، أخذ يبحث بين القتلى عن أصدقائه، رأى فرس أحمد يقف بين الأشجار ولا أثر لأخيه بين القتلى تلفت مع سماعه صوت صهيل من خلفه لتقع عيناه على فرس بيتو وهو يسحب صاحبه الفاقد للوعي من لباسه



باتجاهه « ها هو ينقذه مرة أخرى ذلك الفرس الذهبي «.

جلس هاشم بجوار بيتو الفاقد الوعي محاولاً إيقاظه ، وما أن فتح عينيه حتى تبسم ابتسامته المميزبها وهاشم يقول :

- أين أحمد وإليكترا ؟؟ اعتدل بيتو في تهالك وهو يتحسس صدره قائلاً :

- لا أعرف فقد عم الضباب الساحة ولم أرهم منذ هجوم هؤلاء الحمقى ..

شرد هاشم بذهنه متسائلا « إن لم يكن أحمد و إليكترا بين القتلى فأين هما الآن ؟؟» .

****

«علمته الرمي فلما اشتد ساعده رماني» .

لو كان سراكيس حياً فسيكون هذا البيت ما ينطق به لسانه ولكن هيهات بين الموتى و الأحياء ، فها هو جسده مسجى في الصحراء التي تحولت رمالها إلى لون أحمر قان، خضبت بدماء فرسان النور، كل هذا ولم يحصل ماردين في النهاية سوى على بعض الإبل والخيول بجانب ذلك الشعور بالهزيمة وذلك الدرس القاسي الذي علمه إياه معلمه الصريع .. لكم كان يبغضه ، فدائماً كان يفضل ذلك الفتى ذا المواهب السحرية نيها، كم تمنى أن يكون نيها هو من تُرك جسده لتنهشه الحيوانات والطيور الجارحة، لم يفُزْ بالقافلة وحمولتها التي وعد بها أنثى الضبع المسماة ليليتا، لقد خسر القافلة وخسر العرش، « لا لم يخسر العرش ولن يخسره» هكذا كان يحدث نفسه وهو في طريقه إلى قصر هوتان حيث ينتظره ذلك العجوز الملعون يورشي ، استيقظ من أحلامه محاولاً تصديق ما يراه أمامه ، ذلك الشيء الذي شتت عقله عند رؤيته



بساحة القصر« تنين يورشي ذو الرأسين» ..

الوقت لم يتعد منتصف اليوم ورغم ذلك يسود القاعة ظلام انتشر بفعل الستائر العملاقة السوداء المزينة بنقوش وطلاسم عجيبة حجبت ضوء النهار فأُشعلت بداخلها عشرات المشاعل، كان يجلس على عرش عجيب مخيف رجل أشعث الشعر، أحمر العينين، يرتدى زيا مرصعا بعظام بشرية،على أحد كتفيه يقف غراب يحرك رأسه يميناً ويساراً ، كما عُلقت تميمة على صدره حوت ثلاثة أحجار ميزها ماردين جيداً، إنها أحجار العناصر الثلاثة التي جعلت عينيه تحملان ذلك البريق قبل أن ينحني أمام يورشي الذي قال بصوت أشبه بصوت الزئير:

- ماذا تريد ؟؟

- لقد أتيت من أجل الرابعة ..

قالها وهو يشير إلى التميمة المعلقة برقبة يورشي الذي راحت عيناه تشعان بالنصر.

****

داخل قفص من العظام، استقر جسدا إليكترا وأحمد وقد بدآ يستردان وعيهما بفعل الرائحة الكريهة التي كانت تزكم الأنوف ، فتح أحمد عينيه في تثاقل، يحاول تجميع ما تبقى له من ذاكرة عندما وقعت عيناه على إليكترا التي كانت تتأوه بجانبه وقد بدأت هي الأخرى تستعيد وعيها ، مد يده ليساعدها على الجلوس :

- أنت بخير؟؟

- نعم .. فقط أشعر ببعض الألم من أثر تلك الضربات ..



أمسكت رأسها ووضعت يدها على موضع الألم لتتذكرت تلك الضربة التي أفقدتها الوعي وتكمل بعدها :

- أين نحن ..؟؟
- لا أعلم ولكن يبدو أننا داخل سفينة ..

كانا بالفعل على ظهر سفينة عملاقة تآكلت أرضيتها اللزجة وزينت صواريها المهترئة بهياكل عظمية ، الدروع المعلقة بجانبها تدل على أن ضحاياها من مختلف الحضارات والبلدان، راحت تتجول على سطحها مجموعات من هؤلاء المحاربين القادمين من الجحيم أو هكذا تبدو ملامحهم ، اخترق صوت أنثوي آذانهم فتسابقت عيونهم لمعرفة مصدره .

كانت تتقدم نحوهم بخطوات ظافرة واثقة، ترتدي زيا يشبه كثيراً زي النبلاء القشتاليين؛ قبعة سوداء تحمل ريشة كبيرة حمراء اللون و زي أسود زُين بخطوط متشابكة ذهبية اللون ترسم في نقطة تجمعها وجها أنثويا تسطع الشمس من داخله، زين خصرها بحزام ذهبي يحمل خنجرين فضيي اللون ، تبدو في العقد الرابع من عمرها أنوثتها مكتملة وجهها يحمل جمالا قاتلاوقد قُسم أحد حاجبيها ليعطيها مزيجا من المكر والشراسة ، توقفت أمامهما وهي تنظر إليهما بعيون حمراء تشبه لون الدم ..

- يا له من صيد ثمين .. منذ وقت لم نتذوق اللحم الطازج ..

أرعبت كلماتها أحمد وإليكترا و خفق قلباهما خوفا عندها ارتفعت ضحكاتها التي رددت صداها الجبال المحيطة بذلك الخليج الصغير.

في تلك اللحظة كان هاشم وبيتو يصلان إلى الشاطئ مقتفين الآثار التي خلفها مهاجموهم ، لم يكن يحتاج عقل هاشم ليبحث عن مصدر تلك الضحكات فأمامه تقبع تلك السفينة القديمة رابضة وكأنها تُركت منذ مئات



السنين لتتعفن داخل ذلك الخليج الضحل ، أوثق هاشم خيولهم الثلاثة بينما استتر بيتو بين جذوع الأشجار وبدأ التسلق في خفة حتى وصل إلى الأعلى وجلس على أحد الفروع الضخمة للشجرة محاولاً رؤية ما يحدث على ظهر تلك السفينة، وعلى ضوء القمر و المشاعل القليلة، لمح ذلك القرصان وهو يتجول آمراً هؤلاء الحمقى من الموتى الأحياء ، وبينما هو متابع لما يجري هناك أحس بحركة خلفه أفزعته وكاد أن يسقط فالتفت في رعب.. « باشق أين كنت لقد أفزعتني» بالطبع لم يتلق إجابة من الباشق الذي فرد جناحيه ونظر له بعينيه اللامعتين وحلق باتجاه السفينة، تابعه بيتو وهو يهبط على أحد صواري السفينة «عظيم إذن هما هناك» ..

****

- هل تظن أنهما مازالا على قيد الحياة ؟؟

سيطر القلق على هاشم عند سماعه سؤال بيتو المباغت لكنه لم يلبث أن أومأ برأسه وهو يخلع درعه ويضعه جانباً ليقول بعدها:

- آثار الأقدام تشير إلى ذلك .. وأتمنى أن يكونا بخير.

في هدوء يشوبه الحذر توغل الاثنان في المياه الباردة متحملين الآلام التي راحت تغزو جسديهما كآلاف الشفرات بسبب برودة المياه وراحا يسبحان في بطء نحو السفينة التي حام حول قاعدتها ضباب كثيف يضفي عليها الرهبة، سبحا حتى وصلا إلى تلك السلسلة الحديدية الضخمة وبدءا في التسلق والصقيع يتملك جسديهما.

تطلع بيتو لحظات للسطح الخالي قبل أن يقفز في رشاقة، تبعه هاشم وهما يتحركان في حذر وعيونهما تستكشفان المكان، همس بيتو :

- هناك اثنان قادمان



استغلا صندوقا عملاقا ليختبئا خلفه. وما أن مر القادمان أمامهما حتى انقضا عليهما في توقيت واحد، وأطاحا برأسيهما ثم حملا الجثتين وأخفياهما داخل الصندوق، قبل أن يتحركا بحذر شديد التفت هاشم إلى بيتو قائلا : كان توقيتك جيدا

البرودة الشديدة تجتاح أجسادهما فتقطع أوصالهما ، برودة سببتها المياه التي تجمدت قطراتها على جسديهما ..برودة قاتلة استحوذت على كل ما يربض حولهما ، زمهرير الموت يتسلل ويطرق باب قلب بيتو الذي ينظر إلى الهياكل العظمية المعلقة بصواري السفينة مذهولاً، فجاءه صوت هاشم :

- إن لم تسرع فستكون صديقهم الجديد ..

بعيون ملأها الخوف نظر بيتو إلى هاشم الذي تابع حديثه :

- هناك ثلاثة عند الحافة تخلص أنت منهم بهدوء .. أما أنا فسأبحث عن أحمد وإليكترا، أمن أنت الطريق ،بيتو تذكر .. بهدوووء .

توقف بيتو ليستجمع قوته وما تبقى من شجاعته وهو يتمتم « موتى أحياء وجثث.. ترى ماذا بعد .. ؟! « أطلق تنهيدة طويلة محاولاً رفع حرارة رئتيه الباردتين ، راح يتخطى الصناديق الفاصلة بينه وبينهم بقفزات متتالية،لكن لسوء حظه التفت أحدهم ورآه قبل أن يفاجئهم كما كان يخطط .

أن يكون رد فعلك سريعاً في بعض المواقف:ليس معناه أن لديك سرعة بديهة بل من الممكن أن يكون الخوف هو المولد لذلك الرد السريع، هذا ما حدث مع بيتو عندما أرسل خنجره في الهواء مع رؤية ذلك المخلوق له، لم ينتظر حتى يسقط أرضاً بل قفز في الهواء راكلاً ظهر آخر ليحلق خارج السفينة طائراً ومع استدارة الثالث لمواجهته كان خنجره يجز عنقه في قوة.

لم يكن يتوقع أن يفعل ذلك وهو ينظر إلى الجسدين تحت قدميه، وفي



حركة مسرحية انحنى يلتقط خنجره وكأنه يحيي جمهوره في زهو و ...فجأة وقعت عيناه على القادمين نحوه ..عيونهم الغائرة تحمل ذلك اللون الأسود... لون الموت الذي بدأ يداعب روحه.

****

في تلك الأثناء كان هاشم يحاول فتح القفص العظمي، بيد أن كل محاولاته باءت بالفشل . أما أحمد وإليكترا فقد زلزل كيانهما التوتر المصاحب لتلك السعادة التي تدهسها أقدام ديناصور عملاق لتوءد قبل أن تولد ،أخذ هاشم يبحث عن أي شيء يصلح لفتح ذلك القفص الغريب الذي يبدو وكأنه بني فوقهم .

- هاشم اذهب أنت .

لم يلقِ هاشم بالاً لجملة إليكترا، تظاهر بأنه لم يسمعها وهو يتسلق أحد الصواري، ما إن بلغ منتصفه حتى تمسك بإحدى يديه متعلقاً ليهوي بالسيف الذي حملته يده اليمنى على ذلك الحبل، ما إن قُطِع حتى سقطت إحدى الأوتاد العملاقة في اتجاه القفص الذي التصق السجينان بجانبه ، دك الوتد الزنزانة محدثاً جلبة سمعها بيتو المنهمك في قتاله ، كانت تلك إشارة لبدء المعركة الحقيقية مع تدافع الكثير من الموتى الأحياء إلى سطح السفينة ، خرج أحمد من تحت كومة العظام ليرى إليكترا تحتضن هاشما الذي وقف خجلاً مندهشاً . لم يستوعب أحمد ذلك الموقف وهو يحدق بهما قبل أن تنتشله صوت الأقدام التي راحت تقترب ليتلفت حوله فى فزع قائلاً:

- هاشم هل نؤجل العناق الحميم لوقتٍ آخر؟

أزاح هاشم إليكترا بهدوء وهو يقول :

- بيتو بالجانب الشمالي من السفينة .



لم ينتظر أحمد إنهاء هاشم لجملته حتى راح يركض في سرعة تبعث الفكاهة في موقف لا يتحمل سوى الجدية ، وقعت عيونهم على بيتو الذي أخذ يقفز ملوحاً بخنجريه في الهواء راكلاً الأول بوجهه غارسا خنجريه في الثاني، بطرف عينيه رأى رفاقه مهرولين باتجاهه وهو يغرس خنجره في رأس الثالث، مع اقترابهم صاح :

- اشتقت لكم يا رفاق.

لم يعره أحمد أي اهتمام وهو يتجاوزه مسرعاً إلى الحافة ومن بعده هاشم و إليكترا وهو يرمقهم في تجهم، انفرجت شفتاه ليقول شيئاً عندما رأى سبب تجاهلهم له :عشرات من الموتى الأحياء كانوا يهرولون باتجاهه، استدار لم يجد رفاقه لكنه سمع صوت الارتطام بالماء انطلق مسرعاً للحافة لتقع عيناه عليهم، كانوا يسبحون في قوة باتجاه الشاطئ، انتشله صوت الأزيز القادم من خلفه ليلتفت وفى سرعة البرق كان الباشق يعبر أمامه ملتقطًا ذلك الخنجر الذهبي الذي كاد أن يستقر بعنقه لولا الصقر ، لم ينتظر بيتو لحظة أخرى ليحلق في الهواء خارج السفينة ومن خلفه أطلقت صرخة عالية لتنزع صمام السكون عن المكان .





شيطانَيْن

دونهانج

« مدينة الصحراء» هكذا تسمى، شيدت عام ٢١٠ق.م على يد الامبراطور كين شين لتكون قاعدة عسكرية لانطلاق جيوشه، امتازت بمعابدها المنحوتة في الجبال بجانب تماثيل « تشانغ إه» إلاهة القمر عند قدامى الصينيين و التي احتلت صورها أرجاء المدينة . تلك المدينة التي لم يفكر يوماً يورشي بغزوها، حيث تركها لتكون طُعماً على طريق الحرير باعتبارها أولى محطات الرحالة القادمين من تشيان جان إلى الغرب .

استقبل نيها قافلة أراكيس القادمة عبر الجنوب وقلبه في قمة الشوق لملاقاة معلمه وأخيه بعد رحلة دامت لأكثر من شهرين عبر جبال آسيا وسهولها، كان يقف محاولاً رؤيتهما والقافلة تعبر بوابات المدينة تتقدمها رايات عشيرة النور . ضم حاجبيه لتضيق عيناه أكثر من طبيعتها وهو يدقق النظر في الوجوه، ما إن رآه قائدها حتى نزل عن فرسه وانحنى أمامه في تحية تقدير لم يعره نيها كثيرا من الاهتمام فعقله كان مشغولا وهو ينظر إلى القافلة ثم سأله :

- أين أراكيس ؟

اعتدل نيوكرو وقد تبدلت قسمات وجهه :



- من المفترض أنه سبقنا عبر جبال تيان شان

قاطعه نيها بحدة وقد ارتسمت علامات الاستفهام على وجهه :

- ماذا ؟؟ وأين الأمير ماردين ؟؟

تلعثم نيوكر أمام حدة صوت نيها :

- م..معه وكان ينبغي أن نلتقي جميعاً هنا .. كما أن حمولتهم فارغة لا يحملون شيئا ، القافلة الأصلية معنا .. والأخرى خاوية إلا من بعض الحطب .

راود نيها إحساس غريب راح يسري في جسده وقد سيطرت عليه المخاوف التي انعكست على كلماته وهو يقول لنيوكر:

- أريدك أن تقص علي كل ما حدث ..

- عند وصولنا إلى سمرقند اختفى الأمير ماردين لساعات، بحثنا عنه ولم نجده ، وعندما عاد سأله القائد أراكيس عن سبب غيابه فقال إنه التقى ببعض الأصدقاء وجلس معهم لبعض الوقت ، وفي غياب الأمير أمرني القائد بإعداد قافلة أخرى خاوية من البضائع .. الغريب في الأمر أن الأمير ماردين لم يلحظ التغيير الذي حدث للقافلة، فقد كان يبدو شارداً طوال الوقت متوتراً في بعض الأحيان وهذا ما لاحظه القائد أراكيس.

أكمل نيوكر حديثه وعيناه تحاولان فك رموز وجه نيها الذي كان يستمع إليه باهتمام وعقله غارق في بحر من التساؤلات، وما إن أنهى حديثه حتى قال له نيها :

- إذن خرجت القافلة الفارغة قبلكم بيوم كان من المفترض أن تصل..!!

سكت نيها لبضع ثوانٍ وهو ينظر إلى نيوكر الذي بدا متوتراً بجانب الإرهاق الذي احتل قسمات وجهه



- اذهب أنت للراحة ..

انحنى نيوكر مؤدياً التحية العسكرية قبل أن يرحل في خطوات واسعة ليترك خلفه نيها وقد انتابته عواصف راحت تجول بداخله دون توقف ، أخذ يقطع غرفته ذهاباً و إياباً ، لم يدرِكم من الوقت مر عندما جاءت تلك الطرقات لتنتشله من تفكيره العميق ..

- سيدي .. لقد أرسلت في طلبي

- نعم .. أريد منك أن تأخذ بعض الفرسان وتذهب إلى سمرقند سالكا طريق جبال تيان شان

- عفواً سيدي ولكن لماذا ؟؟

لم يدرِ زولا هل تلك النظرات الموجهة له من عيني نيها نظرات غضب لمقاطعته أم هي قلق استحوذ على روحه

- سيدي ؟؟؟

- زولا عليك إيجاد القائد أراكيس والأمير ماردين

ألقاها نيها وقد بدأت أشجار الخوف تنمو بداخله ..

****

كَبُرت تلك الطفلة في أحياء روما بين عراقة الماضي ونهضة الحاضر. منذ طفولتها وهي مميزة ، حيث برزت مواهبها في السحر منذ نعومة أظافرها مما دفع بالكنيسة إلى طردها نظر إليها الناس على أنها طفرة قبل أن يأتي الموت الأسود ليحصد أرواح الآلاف. فأصبحت في أعينهم لعنة. رآها البعض شيطانة بشعرها الأحمر القاني، وآخرون اتهموها بالهرطقة والكفر. تنقلت بين المدن الإيطالية بحثاً عن السكينة والاستقرار. ترعرعت وسط نظرات الناس التي



وضعتها في قائمة العاهرات لتحررها وحيويتها ، دائماً كانت تتصدى لمحاولات التحرش بها أو حتى القبض عليها ببعض قدراتها السحرية ، خافها الجميع أصبحت شريدة وحيدة، رغم ذلك استطاعت النجاة حتى وجدتهم ..

يا له من قدر جمعها بثلاثة شباب علمت أن وراءهم سراً، لم تحاول معرفته فقد علمتها الحياة أن الأسرار تنكشف دائماً مهما طال الوقت، الأهم أنها لم تعد وحيدة حتى وإن كانوا لا يثقون بها ، ولأول مرة يَطرق ذلك الشيء المسمى بالإعجاب باب قلبها، لم تعد تستطيع السيطرة على نظراتها نحوه، أصبحت تتمنى اقترابه منها وكلما تحدث إليها كانت تهيم بعينيه ، أسرها بوسامته العربية ، قوته وشهامته، ذكائه وقدرته على القيادة ، كانت تتمنى أن يعاملها مثل ما تعامله ولكنه لم يثق بها وحاولت بشتى الطرق لفت انتباهه إليها، لم تلقِ بالاً لبيتو الذي ينعتها دائماً بالإوزة البيضاء تمنت أن يكون هاشم هو مروض تلك الإوزة ، عقلها مازال يذكرها بدفء صدره العاري حينما احتضنته فوق سطح السفينة رغم بروده الجو.. وكلماته الهادئة «لا تخافي سنكون بخير» ..

- اه كم أحبك أيها العربي المغرور

- إليكترا ما بك ؟

استيقظت على صوت أحمد الذي أخذ يحدق بوجهها، شعرت بالخوف والخجل من أن يكون أحمد قد سمع كلماتها التي غادرت شفتيها دون وعي :

- ماذا ؟؟

- كنتِ تتمتمين بكلمات غير مفهومة .. هل هناك شيء ؟؟

ارتاح قلبها لسماع تلك الكلمة بالتحديد «غير مفهومة» ابتسمت قائلة :

- لا شيء مجرد حلم



ارتسمت على وجهها ابتسامة هادئة قبل أن تسأله :

- أين بيتو وهاشم ؟؟

- لقد ذهبا للصيد

أجابها أحمد وهو يحاول إشعال بعض النيران ، لكن كل محاولاته باءت بالفشل أخذ يتمتم في تململ .. انتفض جسده مع تلك الكرة النارية التي أوقدت الحطب بينما أطلقت إليكترا لضحكتها العنان مع رؤيتها لوجه احمد الفزع الذي قال في غضب :

- أتضحكين

- آسفة ، أحمد أنتم لستم رحالة .. فأنت لا تستطيع إشعال كومة من الحطب الجاف .

هذه المرة لم يكن الفزع هو من يتحكم بأحمد بل الوجوم والصمت قبل أن تكمل هي :

- لقد رأيت تلك القلادة التي يحملها هاشم من قبل وأعرف هذا الشعار جيداً

غمغم أحمد في حذر:

- أي شعار

- ذاك التنين ذو الرأس الشبيه برؤوس الأرانب .. إنه شعار الامبراطور البيزنطي روبن ..

كان أحمد يحاول استيعاب كلماتها، لم يعرف يوماً أن شعار عشيرة النور أصبح شعاراً للامبراطورية التي لم يتبق منها سوى القسطنطينية، راح يبحث عن أي ترابط بين عشيرة النور وذلك المذكور فلم يجد ولم تحدثه والدته عن

ذلك من قبل ..

- أحمد هل أنتم من فرسان النوفا ؟؟

- ماذا؟

قرأت ملامح وجهه جيداً فهو لم يعرف عشائر النوفا وهو الأسم المتدوال لعشيرة النور إذن.. فمن هم ؟؟

كانت تحاول استدراجه في الحديث فهناك شيء ما يخفيه ، ليسوا كما قال لها هاشم، فضولها الأنثوي أخذ يحثها على معرفة المزيد عندما برز بيتو حاملاً غزالا صغيرا على كتفيه وعلى وجهه ابتسامته المعتادة ..

- « صباح الخير أيتها الإوزة البيضاء»

من خلفه جاءت الكلمات ، لم يكن بيتو هو قائل تلك العبارة، بل هاشم الذي ظهر من خلف بيتو حاملاً قوسه ، لم تستطع أن تخفي فرحتها بكلماته التي عكست نبض قلبها في خجل واضح للجميع .. ها هو يداعبها بكلمات طالما نطقها بيتو مغازلا إياها، ولكنها تختلف هذه المرة فهي من بين شفتيه هو..

قضى هاشم ورفاقه معظم الوقت في الحديث عن النوفا وعشيرة النور، حيث أنصتت إليكترا إلى روايتهم عن عشيرة النور بعدما سردت عليهم بعض ما تعرفه عن الامبراطور روبن ملك العشائر، ها هي أخيراً تحظى بثقتهم ويفصحون عن أسرارهم ، كان قد مر على لقائهم مع بتلك القرصانة وبحارتها الحمقى أسبوعان، لم يعد في عقولهم سوى الوصول إلى القسطنطينية، وجهتهم الأساسية وأصبح هدف هاشم ملاقاة روبن وطلب العون منه ومن بني عثمان ..

الطريق ما تزال طويلة ..



والرحلة مستمرة عبر الأراضي البلقانية بعد تدمير آخر أمل لهم في الإبحار ..احترقت البندقية كمثيلتها من المدن البائدة، رأوها تشتعل وتلك السفينة التي سبق أن اقتحموها تقف ساكنة على شاطئها .. لم يعد هناك سوى طريق واحد إلى مبتغاهم .

****

تجمعت عشائر اللصوص في جيش جرار تحت راية عشيرة النينجا التي حولت الصحراء إلى اللون الأسود بفضل أعدادهم ، وقفوا في سكون لا يقطعه سوى صوت الرياح التي راحت تعبث بالرايات السوداء كقلوب حامليها ، وقف ماردين أمام الصفوف وإلى جانبه ليليتا حيث انهمكا في الحديث، إلى أن جاءهم الجنود بجواديهما، امتطى ماردين جواده ليتقدم إلى تلك الربوة المرتفعة، و ما إن اعتلاها حتى بدأ خطبته :

- اليوم بداية عصرٍ جديد .. اليوم سيكون أعظم أيام البشر، لقد حان الوقت لنحكم فلتودعوا حياة اللصوص، حياة الفردون كر، فمنذ اليوم أنتم فرسان النينجا ستملكون سمرقند ومن بعدها العاااالم ..

تعالت صيحات الفرح والحماس المليئة بشهوة السلطة في الصفوف المتراصة وهو يكمل :

- سنغزو سمرقند وسنجعل منها عاصمة لنا، سيشهد التاريخ على مجدنا وقوتنا، قريباً سنوحد العالم مع حلفائنا، وسيكتب الخلود لنا عبر الأزمنة .

ومع آخر حروفه، كانت تقرع طبول قادمة من بعيد، التفتت الرؤوس لرؤية القادمين، ما إن رأت عيونهم ذلك الجيش القادم حتى تملكهم الرعب والخوف، فأمامهم ما كانوا يتحاشون التواجد بمناطق نفوذه،كان يتقدم

باتجاههم ذلك الجيش الملعون، وفي مقدمته كائن عرف بآكل قلوب أعدائه .. إنه « اللورد ياركن « ..

وارتفع صوت ماردين مرة أخرى في قوة :

- فلتحيوا حلفاءنا.

****

تحرك ذلك الظل الأسود في خفة وهو يعتلى سور « القصر القسطنطيني الكبير « مستغلاً انهماك الجنود في حديث ممل لكسر الوقت، لم يشعروا به وهو يتسلق الجدران في رشاقة كعنكبوت عملاق ، تعلق في أحد البروز ليرمي بجسده في الهواء، ثم يدور حول نفسه مرتين قبل أن تستقر قدماه على الشرفة المظلمة، سكن لحظات كأنه تمثال من الجرانيت زينت به الشرفة ليتحرك بعدها في خفة قط إلى غرفة توسطها فراش ملكي، تقدم بهدوء إلى ذلك الراقد على الفراش وما إن صار بجواره حتى همس بخفوت :

- رحلة موفقة إلى الجحيم ..

قطع جملته مع رؤيته لعيون ذلك العجوز التي فُتحت فجأة وراح يحدق به ، لم يترك ذلك المتسلل وقتا كي تتمكن منه المفاجأة ليهوي بسكينه نحو صدر روبن الذي تفاداها ليسقط عن الفراش، قبل أن يقف شاهراً سيفه القصير بينما قفز ذلك المتسلل باتجاهه ليركل روبن بصدره و يتراجع الأخير في قوة مرتطما بأحد التماثيل الذي سقط محدثاً صوتا مدويا ، رغم سن روبن الذي تجاوز الستين ربيعاً إلا أنه حافظ على توازنه وقوته ، كان القاتل يعلم أنها دقائق حتى يأتي الحراس إثر صوت تحطم التمثال، أخذ قراره بالهجوم مرة أخرى متفادياً ضربات روبن الذي راح يضرب الهواء محاولاً إسقاط مهاجمه بينما كان المتسلل يعرف أنها مسألة وقت حتى يقضي على ذلك



العجوز ، فبركلة قوية أطاح بسيف روبن قبل أن يمسك بيد العجوز ساحباً إياه باتجاهه ليُغرس النصل بقلبه، جحظت عيناه في ألم وهمسات القاتل تدوي بأذنه :

- وداعاً روبن ..

انتفض جسد روبن في قوة مع فيضان الدماء التي سببها خروج النصل من صدره ، أرقده القاتل وأخذ يبحث في محتويات الغرفة عن شيء ما ، ومع وصول الحراس وطرقاتهم على الباب كان قد وجد غايته تلك المخطوطة القديمة، فتحها بسرعة ليتأكد أنها هي . تعالت الطرقات مع صوت الحراس وفي خفة أخذ المتسلل القلادة من رقبة روبن قلادة حملت حجرا براقا أزرق اللون.

اقتحم الحراس باب الغرفة ليجدوا ملكهم غارقاً في بحيرة من الدماء انحنى بعضهم يتفحصه بينما ركض أحدهم إلى الشرفة المفتوحة على مصراعيها لمح ذلك الشبح الذي قفز إلى ساحة القصر:

- يا حراس اقبضوا على ذلك القاتل ..

كان صياح الجندي كفيلا بإيقاظ القسطنطينية بأكملها، لتعم حالة من الفوضى في القصر وساحته، صخب أحدثه الجنود الذين راحوا يبحثون عن القاتل الذي تبخر أثره وكأنه لم يكن، ما إن تأكد ذلك الشبح المستتر ببعض الشجيرات أن الطريق أصبح خالياً حتى خرج يعدو باتجاه السور عبر حديقة القصر حينما باغته صوت غاضب :

- أنت توقف

جاءت كلمات بُراق كالصاعقة على ذلك المتسلل الذي لم يعره أي اهتمام وظل يركض متجاوزاً الشجيرات الصغيرة قفزاً . لحق به بُراق لينقض عليه



مسقطاً إياه أرضاً . لم يترك المتسلل بُراق يتمكن منه حيث كال له لكمة قوية أنَّتْ لها ضلوع التركي قبل أن يتبعها المتسلل بلكمة أشد قوة على فكه، قفز بعدها واقفاً وهو ينظر بسخرية إلى بُراق الذي حاول الوقوف مرة أخرى .. ولكنه توقف مع ذلك الخنجر الذي غرس بطرف ملابسه وعيناه تبحثان عن ذلك الشبح الذي اختفى وسط الظلام.

****

الأولمب بقمته الساحرة المكسوة بالثلوج يحتل الأفق البعيد، يقف في شموخ ملقياً ظلاله على السهل الممتد والممتلئ بأطلال معابد إغريقية كانت يوماً تمجد آلهة اعتقد الناس أنها تسكن ذلك الجبل الشاهق، كثيراً ما كانت تروى الأساطير عنها و عن أبنائهم الخارقين وصراعاتهم ، حضارات اندثرت وبقيت أطلالها لتقص على المارة حكاية أقوام كانوا يوماً في قمة التطور والتقدم ولكن أين هم الآن ؟؟

حلق الباشق في دوائر منتظمة فوق معبد جوبيتار الذي عُبد فيه يوماً زوس كبير الآلهة عند الرومان والإغريق ، تفقد هاشم صقره الذي مازال محلقاً في كبد السماء ليلتفت بعد ذلك لرفاقه سائلاً:

- ما رأيكم؟ نخيم هنا الليلة ؟؟

لم يتلقَ إجابة منهم وهم يترجلون عن الخيول، كان ترجلهم هو الإجابة بعد رحلة لم تعرف أجسادهم فيها الراحة خلال أيام ، انهمك كل منهم بتجهيز المخيم بينما أخذ هاشم بالتجول لتأمين المكان عندما قادته قدماه اتجاه أروقة المعبد القديم، أخذ ينظر إلى التماثيل المحطمة وأنصاف الأعمدة البازلتية الضخمة المنتشرة بأرجاء المعبد ، توقف كثيراً أمام ذلك التمثال الضخم وقد فقدت أجزاء منه قبل أن يستدير في سرعة مع سماعه لوقع الأقدام البطيئة



من خلفه ، كانت إليكترا تقترب منه بخطوات هادئة واثقة، مبتسمة بجمالها الناري :

- هل أفزعتك ؟

لوح هاشم بيده في الهواء وهو يبادلها الابتسامة:

- لا ولكن ذلك التمثال أثار فضولي .

- جوبيتار

أومأ برأسه قبل أن ينظر للتمثال مره أخرى . تعلقت عيناها بوجهه وراحت تنظر إليه جاءت كلماتها :

-جوبيتار أو زوس كما كانوا يطلقون عليه كبير الآلهة نُسجت حوله كثير من الأساطير..

قاطعها بهدوئه المعتاد :

- أعرف كل شيء عنه فمربيتي كانت يونانية

- همممم جيد .. إذن لا داعي لكي أكون مرشدتك ..

سكتت لبرهة « لماذا لا يحب تواجدي بقربه « قبل أن تحاول بدء الحديث مرة أخرى :

- كيف هي مدينتك ؟؟؟

داعب السؤال وتر الحنين بقلب هاشم الذي أدار وجهه ناحيتها مبتسماً :

- غرناطة هي دمشق بلاد الأندلس، ومسرح الأبصار، ومطمح الأنفس، لها القصبة المنيعة ذات الأسوار الشامخة، والمباني الرفيعة، وقد اختصت بكون النهر يتوزع على ديارها وحماماتها، وأسواقها الداخلة والخارجة وبساتينها، وزانها الله تعالى بأن جعلها مرتبة على بسيطها الممتد الذي تفرعت



فيه سبائك الأنهار بين زبرجد الأشجار، ولنسيم غاباتها و بهجة منظرها أثر في القلوب والأبصار، استلطاف يروق الطباع، ويحدث فيها ما شاءه الإحسان من الاختراع والابتداع، ولم تخل من أشراف أماثل، وعلماء أكابر، وشعراء أفاضل .. إنها جنه الله في أرضه ..

كان كلماته عن بلاده توشي بما يحمله قلبه من أنين الفراق ولوعة الهجر لحبيبته « غرناطة « ..

- هاشم هل تؤمن بالآلهة؟

ألقتها وهى تقترب منه حتى التصقت بصدره ، تراجع بخطوات واسعة للخلف وهو يعقد حاجبيه في غضب بينما حاولت هي تدارك الموقف قائلة :

- ماذا ؟ أي آلهة ؟؟ زوس .. آمون .. وغيرهم

جلس على طرف قاعدة تمثال وهو يضحك قائلاً:

- ليس هناك سوى إله واحد .. فلو كان هناك أكثر لاتخذوا للعرش سبيلاً ..

- ولماذا تركنا نعاني ؟؟!

جاء سؤالها غريباً مباغتاً تجهم وجهه وقد حمل ملامح الغضب:

- نحن من صنعنا الشر وأوجدناه .. تركنا نعاني لنلجأ إليه وقت الشدائد ليُعلمنا أن نطيعه ولا نشرك به شيئا .. ثم إن البشر هم من يدنسون الحرمات ويسفكون الدماء لأسباب واهية .. أما ما يحدث الآن من دمار وقتل فسببه الباحثون عن الخلود .. الطمع وحب الدنيا هما سبب كل مصائب البشرية ..



سكت لحظات ليكمل بعدها :

- الخلود تلك الكذبة التي أخرج بها الشيطان آدم من الجنة، عن أي خلود زائف يبحثون ؟؟؟ سلطان، نفوذ، قوة و استعباد للناس ؟؟؟ إن ما يحدث يا إليكترا هو نتيجة اتباع الناس للسحروأساليب الشر، نحن في زمن كثرفيه الكذب والقتل والطمع، زمن كثرفيه البغاء وانعدمت الأخلاق والقيم فهل تظنين أننا نعاني أم نحن سبب المعاناة ؟؟؟

وجدت كلماته طريقها إلى عقل إليكترا التي اقتربت لتجلس بجواره وهى تقول في شغف :

- أكمل ..

أحنى رأسه لبضع ثوان وكأنه يفكرفي ما يقول أردف بعدها :

- أتمنى أن نصل إلى القسطنطينية في القريب العاجل .

- لا تقلق سنصل .. ثلاثة ليال أخرى تفصلنا عنها .

- هاشم هل أحببت يوماً ؟

نظر إليها مبتسماً وقد عرف ما يدور بعقلها ..

- نعم

- من ؟؟؟

- عائلتي

لكمته في كتفه بدلال وهى تضحك بينما أكمل هو:

- إليكترا لقد وثقت بك فأتمنى أن تكوني عند ثقتي بك .. فأنا إن وثقت بشخص ما أعطي له وإن كان خلاف ذلك فليتضرع حتى لا آتي إليه .



تأكدت هذه اللحظة أنها أمام أحد أبطال العرب الأسطوريين الذين سمعت قصص انتصاراتهم على جيوش جنوه و البلقان .. أو هؤلاء الذين هزموا الجيوش الصليبية في القدس .

أفاقت من شرودها عندما دخل مسرعاً إلى مكان جلوسهما وهو يلهث صارخاً :

هاشم يجب أن ترى ما بالخارج..

****

توافد ملوك وزعماء العشائر على القصر الملكي وسط تساؤلات عما حدث، ولماذا هذا الاجتماع الطارئ . داخل القاعة الملكية استقبل براق الزعماء في هدوء وهو يرحب بهم برتابة شديدة . أجوبته لم تشفِ صدورهم، ما أن اكتمل عددهم داخل القاعة حتى جلسوا بانتظار روبن الذي لم يعلموا بعد انه يرقد بحجرته صريعاً ، دقائق من الانتظار عرف الملل سبيله إلى قلوبهم حيث تلاقت العيون في تململ قطعها بُراق، خطا إلى منتصف القاعة ليخطف أنظارهم إليه، ليبدأ حديثه في رصانة :

- بهذا الخنجر قتل الامبراطور روبن ..

ألقى الخنجر ذو المقبض الذهبي في الهواء لتتعلق عيون الحاضرين به حتى سقط أرضاً محدثا صوتاً عالياً ليصمت الجميع في وجوم ودهشة .

أخذ براق ينظر إليهم وعيونهم تفحص ذلك الخنجر الملقى أرضاً ليقول بهدوء :

- لقد قُتل الملك .. الملك روبن

بدأت الهمهمات تعلو وبعض الهمسات بين النبلاء الجالسين بالصفوف الخلفية وهو يكمل :



- يحمل ذلك الخنجر نقوش عشيرة النينجا .. ولقد سرقت المخطوطة والعنصر الرابع .

هنا بلغت قلوبهم الحناجر وتجمدت أوصالهم فما يقوله ينبئ بنهايتهم ونهاية وجود البشر في المعمورة ..تابع براق :

- لقد حَفظ الامبراطور أمانته طوال سنوات مدافعاً عن البشرية ليقُتل بعد ذلك على يدي ابنه ماردين .

كلمة واحدة سادت القاعة بعد الصمت الطويل كلمة رددها الحاضرون في استغراب :

- ماذا ؟؟

- نعم إنه ماردين من أرسل ذلك القاتل وماردين من يحاصر سمرقند منذ أيام بمعاونة جيش المومياوات و ياركن الملعون...

قطع حديثه صوت أجش :

- أين الأميرنيها والقائد أراكيس !!

تجاهل براق ذلك المقاطع وهو يكمل :

- ستبقى القسطنطينية تحت وصاية عشيرة « الخالدين «حتى عودة الأمير نيها ، إلى ذلك الحين سنقاتل دفاعاً عن حريتنا.

لم يعجب ذلك الاقتراح قادة العشائر حيث انتفض ذلك المقاطع ليصيح بصوته الأجش مرة أخرى :

- لن تصبح مدينتنا تحت وصاية الأتراك .

- مدينتكم ؟؟ عن أي مدينه تتحدث أيها الجرماني ؟؟ إنها ملكنا جميعاً ألا تذكر أنها آخر حصن يجمع ما تبقى من البشر فليست القسطنطينية حكراً على الأوربيين دون غيرهم ..



كانت كلماته قوية وهو يصيح بوجه شارلكان الذي ظل يرمقه بغضب وهو يكمل :

- سيظل العرش خالياً حتى عودة الأمير نيها ولى عهد السوبر نوفا ، مراسم الدفن بعد غد ننطلق بعدها لسمرقند .. فليستعد الجميع .

أنهى كلماته ليخرج من القاعة معلناً بذلك عن انتهاء الاجتماع الذي حمل الكثير من المفاجآت ، ترك خلفه شارلكان يفيض بالغضب كأنه بركان ثائر، ما إن خرج من بوابه القصر إلى ساحته حتى عرف لماذا يتحدث هذا التركي بثقة وثبات .. فأمامه قد انتشرت فرق تأمين المدينة وكانت من كتائب عشيرة «الخالدين» .

****

اعتلى هاشم كومة من الأحجار بجوار بيتو الذي أخذ يشير إلى تلك الغيوم السوداء القادمة اتجاههم ، تابع هاشم الغيوم بتركيز شديد، أطلق بعدها صفيراً للباشق الذي حلق جهة الغيوم وكأنه فهم ما يقصده هاشم الذي تحدث قائلاً :

- أحمد أنت و إليكترا أدخلا الخيول إلى المعبد و انتظرا إشارتي .

أومأ أحمد برأسه بينما تبعته إليكترا في صمت ، ظل هاشم ساكناً وهو ينظر إلى الغيوم السوداء التي باتت قريبة تفرض ظلامها على ما يقع تحتها .. وتوقف الزمن مع رؤية هاشم لذلك الشيء القادم تحت هذه الغيوم مستظلاً بسوادها القاتم ، بات هاشم يعلم أنه قادم من أجلهم، يحيط به عشرات من الموتى الأحياء التابعين لتلك القرصانة، كانوا يمسكون بسلاسل ضخمة ربطت بعنق أو بالأحرى بأعناق ذلك الشيء ذي الثلاثة رؤوس، تبينها هاشم جيداً مع اقتراب ذلك المخلوق الذي كان عبارة عن كلب ضخم بحجم منزل صغير له



ثلاثة رؤوس سوداء كباقي جسده، سال الزبد من بين أشداقه مع تلك الأنياب البارزة التي برزت بشكل مخيف من أفواهه الثلاثة ، كان يطلق زمجرة مخيفة مع ضربات القراصنة المهترئين له بالسياط الغليظة ...

تمتم بيتوفي جمود :

- ما هذا الشيء بحق المسيح ؟؟

- سيربيروس

كانت إجابة هاشم أكثر جموداً وأكثر ذهولاً من بيتو الذي امتقع وجهه :

- سيرب ..يروس ماذا ؟؟

- حارس بوابة الجحيم في الأساطير الرومانية.. كيف أتى للحياة، وكيف ..

بترباقي تساؤله وهو يقول في سرعة :

- اصعد إلى أعلى نقطة قريبة .

فهم بيتو ما يرمي إليه هاشم، تحرك حاملاً قوسه في خفه إلى بعض الأطلال المرتفعة ليختفي بعدها وسط الأحجار المتراكمة ، ما إن تأكد هاشم من تمركز بيتو حتى تحرك هو الآخر باتجاه المعبد القديم ليختفي بداخله .

- هاشم ماذا هناك ؟!

كان السؤال متوقعاً من أحمد الذي كان يقف بقرب الباب مع دخول هاشم الذي قال وهو متوجهاً إلى فرسه :

- إنهم أتباع تلك القرصانة تتبعونا ومعهم سيربيروس .

جحظت عيون إليكترا لتقول بنفس التوقيت مع أحمد :

- ماذا؟؟



- لا وقت لدينا للحديث الآن فهذا الشيء يتبعنا ولقد سئمت الهروب .. قال لي شخص ذات يوم :

« حين تجتاحك العواصف .. قف وواجهها بكل قوة وحزم .. فقد يظلم ليلك وتتلبد غيومك .. أو تشرق شمسك وتتلاشى همومك .. قد تهزم وتتعلم دروسك من التجارب .. أو قد تقهر خصومك فتستحق استراحة المحارب «

كان يردد كلمات تعلمها بمسجد غرناطة الكبير على أيدي أحد العلماء ، كلمات حان الوقت لترجمتها لواقع .

****

قطعت الخيول صحراء « تكلا مكان « دون توقف باتجاه جبال تيان شان، تقدمهم ذلك الفارس الذي راح يحث فرسه على الركض بسرعة أكبر، كانت مهمة « زولا « أن يجد قافلة أراكيس ، طوال الطريق من دونهانج حتى صحراء تكلا مكان لم يعثر على أي أثر يدل على أن هناك من عبر تلك الصحارى، لم يعد أمامه سوى تلك الواحة الواقعة تحت سفح جبال تيان شان ، قصدها على أمل إيجاد مبتغاه وإن لم يجده فهي أنسب مكان للراحة المفتقدة خلال أيام من السير دون توقف.

تحت أشعة الشمس الحارقة لاحت في الأفق واحة بلكاش، ما إن رآها زولا حتى حث فرسه على الإبطاء قليلاً وهو يرفع يده لرجاله لفعل المثل فلا حاجة للسرعة الآن وأمام عيونهم ملاذ للراحة ..

قضى زولا طوال الطريق في الحديث مع أحد رجاله عن مولودته الجديدة وعن زوجته التي اشتاق إليها ، كان زولا أحد الصينيين القلائل الذين اتخذوا من القسطنطينية ملاذا لهم، فقد وجد بها كل ما يبحث عنه، حتى عند انضمامه لعشيرة النور أو كما تسمى الآن – النوفا -، قرر أن يرتدى الزى البيزنطي على



عكس رفيقه « نيها « الذي تمسك بزيه الصيني وحتى تقاليد وعادات بلادهم البعيدة ، كان زولا ذا جسم ضئيل عوض بذلك لياقته وسرعته حتى أصبح مبارزاً لا يشق له غبار.. اشتهر بين التجار بأمانته وبالدفاع المستميت عن القوافل الذي يحميها ، يذكر يوم زواجه حينما عينه الامبراطور روبن قائد لكتيبة الفرسان ، يذكر تلك المتاعب التي واجهها على يد ذلك المدعو ماردين ، موجة باردة عصرت قلبه لتنتشله من ذكرياته عندما وقعت عيناه على الأجساد المنتشرة بأرجاء الواحة ، قتلى أامتلأ بهم المكان هنا وهناك اختلطت الدماء بالوجوه والأشلاء المتناثرة.

ترجل زولا عن فرسه وهو ممتعض من تلك الرائحة؛ رائحة الموت الذي حصد أكثر من سبعين فارسا من رفاقه ، أخذ يتجول آمراً رجاله بالبحث عن جرحى وهو يعلم علم اليقين أنه لا يوجد أي جريح فلو كان لمات بسبب تلك الرائحة ، توقف أمام الجسد الملقى على وجهه لم يجرؤ على لمسه كان يعرف أنه هو، قائده ومعلمه أراكيس لم يشعر كم من الوقت مضى عندما جاءه صوت أحد رجاله مشيراً أنه لا يوجد أحياء ، و بعينين امتلأتا بالدموع ألقى خطبة مؤثرة عن القصاص لرفاقه و النصر على الأعداء .. وقتل الخائن «ماردين».

***



الملحمة

خلّدت الإلياذة والأوديسة ملاحم أسطورية فلو كان من سطر تلك الملاحم حيا في ذلك الوقت لخلد تلك الملحمة بين السيربيروس وهاشم، في مشهد أسطوري لم يكن له مثيله عبر التاريخ .

تحت الأمطار الغزيرة التي سببتها تلك الغيوم السوداء التي أحالت النهار إلى ظلام، وعلى ضوء النيران المشتعلة بمدخل معبد جوبيتار. وقف هاشم حاملاً سيفه البراق في مواجهة السيربيروس الذي أخذ يزمجر بقوة حتى أفلت من القراصنة بسلاسلة ليتقدم في ثقة وتحدٍ بخطوات بطيئة نحو هاشم الذي التصق شعره المبلل بجبينه وهو يقف هادئاً مبتسماً في سخرية . أثار ذلك المشهد ضحكات كريهة من الأفواه المهترئة للقراصنة الذين تعجبوا من هاشم إذ يواجههم وحده . اقترب الكلب برؤوسه الثلاثة حتى صار يواجه هاشما، بضع خطوات ويصبح بين أنيابه.

دوى هزيم الرعد بقوة تصم الآذان ومع انتهائه سقط أحد الموتى الأحياء بسهم استقر برأسه ليلتفت البقية باتجاه رفيقهم الذي سقط قبل أن يسقط آخر، ومع ذلك الأزيز الذي شق الهواء للمرة الثالثة وسقوط ثالث الضحايا بفضل الأسهم التي لم يعرف أحد مصدرها . ساد الفزع والغضب بالمكان مؤذناً بهجوم السيربيروس الذي انقض على هاشم في الوقت الذي انقض الباشق



من الجو باتجاه القراصنة. انزلق هاشم بين أقدام السيربيروس مستغلاً برك المياه على الأرض ليقف بعد ذلك مطيحاً برأس أحد الموتى الأحياء الذين بدأوا يهجمون في عنف وتوتر باحثين عن ذلك الذي راح يحصد أرواحهم بسهامه .

شق هاشم طريقه وسط القراصنة وذلك الكلب يركض خلفه مطيحاً بكل ما يقف في طريقه من أجسادهم وهدفه الوحيد هو هاشم الذي كان يقاتل ببسالة وشجاعة حتى وصل إلى جدار مهدم، ارتقاه بسرعة قافزاً إلى أعلاه ومازال ذلك الشيء يقترب أكثر فأكثر، هنا صاح هاشم :

- الآن .من خلف إحدى التماثيل العملاقة خرجت إليكترا تطلق كراتها المتوهجة تنهي بها حياة بعض المهاجمين.. عندما رأت السيربيروس أصبح على مقربه من الجدار الذي يعتليه هاشم أطلقت إحدى لعناتها لتفقد الكلب ذا الرؤوس الثلاثة توازنه ويرتطم بقوة بالجدار الحجري الذي أخذ يتساقط عليه ، قفز هاشم باتجاه إليكترا وهو يحصد ما تبقى من رؤوس القراصنة مع أسهم بيتو التي لم تتوقف لحظة ، تساقطت الرؤوس الشاحبة بعيونها الغائرة أرضاً بينما راح السيربيروس ينفض عنه تلك الأحجار عندما عبر ذلك السهم بجوار أذن إليكترا التي انتفضت في فزع وهى تنظر خلفها لتجد سهما آخر من سهام بيتو يصيب ذلك الكائن الذي كاد أن يرسلها إلى الجحيم ، صرخت :

- بيتو كدت أن تقتلني أيها الأحمق ..

لم تتلق إجابة وعيناها تنظر باتجاه صاحب الرؤوس الثلاثة، عاد يتقدم مره أخرى اتجاههم في غضب .

- إليكترا شتتيه بإحدى لعناتك .

قالها هاشم وهو يركض باتجاه السيربيروس ، لم تنتظر إليكترا كثيراً فقد أرسلت إحدى كراتها التي تزامنت مع أحمد الذي قفز في الهواء ملوحاً بحربته



قبل أن يغرسها بظهر السيربيروس الذي أطلق أنينا غاضبا، ومع ارتطام لعنة إليكترا بجسده أخذ يترنح فأرسل بيتو أسهمه لتستقر بأحد رؤوسه الثلاثة .قفز هاشم على ظهره وغرس سيفه برأسه الوسط حيث يوجد قلبه ،إلا أنه فاجأ هاشما وضربه بقوائمه الأمامية مطيحاً به بعيداً ليسقط الاثنان معاً غارقين في دمائهما .

****

«ستعاني.. أحباؤك سينزفون و أنت أيضاً ستنزف »

رُددت تلك الكلمات وسط الظلام الدامس.. تجمدت قدماه مع اقتراب ذلك المشتعل باتجاهه ..لهيب نيرانه لفحت وجه ..»أنت من يحمل مصباح الأمل وسط الظلام ..» كان ذلك المشتعل يحدثه دون أن تتحرك شفتاه كان يحدثه بطريقة ما .

- من أنت ؟؟

- لم اعد أذكر من أنا.. هاشم عليك أن تبقى حياً قاوم من أجل النور .. اقتنص الفرص لتنتصر. وتذكر لتقتل الأفعى عليك أن تقطع رأسها .

أنهى كلماته وهو يضع يداه المشتعلة على صدر هاشم الذي صرخ من شدة الاحتراق في ألم . فتح عينيه في بطء ليجد إليكترا جالسة بجواره تنظر إليه وقد حمل وجهها ابتسامة هادئة لا تخفي التوتر الذي اجتاح قلبها :

- كيف حالك الآن؟

أومأ هاشم برأسه قبل أن يلتفت إلى بيتو الذي كان يصيح فرحاً :

- كنت اعلم انك ستنجو.

نقل بصره إلى إليكترا قائلاً في تهالك :



- أين احمد ؟؟

لقد ذهب لصيد شيء نأكله.. لقد مضى على فقدانك الوعي يوم كامل اضطررنا إلى ترك المخيم وانتقلنا شرقاً ..

قطع بيتو حديثها مازحا:

- هيا أيها الكسول فأمامنا مسيرة يوم حتى نصل لمبتغانا ..

****

هل تعرف ذلك الشعور الذي يروادك حين تفقد أحدهم ؟؟

ذلك الشعور الذي يغرس أنياب الحزن بداخلك ويبدأ في تمزيق أحلامك عندما تعلم أنهم لن يعودوا مرة أخرى للحياة، رحلوا وتركوك وحيداً تحمل الألم المصاحب لفقدانهم، تظل ذكراهم تؤرق لياليك، لتنمو بداخلك أشجار البغض لمن كان السبب في فقدانهم.. وتثمر ثمار الانتقام ، انتابت تلك المشاعر نيها الذي أمر رجاله بالبحث عن كل الفرسان الذين يريدون الانضمام لعشيرة النوفا .

فمنذ أن قص عليه زولا ما حدث وكيف وجد أراكيس لم يعد يحمل بقلبه سوى الانتقام من ماردين واللحاق به قبل أن يصل القسطنطينية. لم يكن نيها يعلم ما آلت إليه سمرقند ومصير روبن الذي لحق بأراكيس.

يومان هما ما تبقى له بدونهانج، حالما يعود نيوكر من تشيان جان سيتحركون باتجاه الغرب في رحلة العودة..

لماذا تكافئه الدنيا هكذا؟ فعندما زار تشيان جان لأول مرة بعد خروجه منها استقبله حاكمها بترحاب و استقبال يليق بالملوك ، زار قبر جده واضعاً إكليلا من الزهور وبعض البخور الطيبة الرائحة.. كان يحلُم بملاقاة أراكيس هناك،



ليشرف ذلك الأخير على إنشاء نصب تذكاري يمجد فرسان النوفا المعروفين سابقاً باسم عشيرة النور.. ولكن أراكيس رحل دون عودة ..

وكيف يعود لعالم تنهش الناس لحوم بعضها البعض.. ما تبقى من البشر ومن يحاول منهم البقاء ينصاعون لأوامر ملوك العشائر الباحثين عن المجد و السلطة متناسيين ذلك الشر المتربص بهم ، ماذا استفاد ذلك الساحر من قتل كل من يحبه نيها ؟؟؟

هكذا تردد ذلك السؤال بعقله، تمنى لو يراه يوماً ليقطع رأسه ورؤوس تنينه القبيح .

****

لم تفارق تلك الرؤيا عقل هاشم ، ذلك الرجل المشتعل وكلماته التي أتت هذه المرة كنصائح ، ليس شراً، نعم ليس شراً ، وإن كانت هيئته تدل على عكس ذلك ، فهذا الشيء يساعده بطريقة ما.. لم يتحدث مع رفاقه بل ظل في شروده منذ تحركهم .

أبحر عقله في بحار مظلمة بحثاً عن إجابات لأسئلته المتلاحقة « لماذا أنا» يا له من سؤال ملح، كم تمنى ألا يكون هو ذلك الشخص الذي تحدثت عنه النبوءة، تمنى حياه هادئة ، زوجة.. أطفالا.. تبددت تلك الأحلام تحت أقدام تلك المخلوقات البشعة.. كان يعلم أن يورشي يملك ثلاثة أحجارولن يستحضر سيده قبل أن يحصل على الحجر الرابع ..

استرجع بعض أحاديث أثينا المهمة وكأنه يراها أمامه عبر السحب الكثيفة ، كم يفتقدها ويفتقد قصصها وأحاديثها عن التاريخ ..

« قبل بدء التاريخ كانت هناك معركة بين النور والظلام ، استطاع النور أن يقهر قوات الظلام ودحرها وتم إرسال قائد الظلام إلى غياهب الأرض حيث



سجن بفضل العناصر الأربعة الماء.. الهواء.. النار.. التراب ، ساد السلام لسنوات كثيرة ولكن ذلك الشيء استطاع إغواء بعض الزعماء الباحثين عن الخلود سمم أفكارهم وجعلهم يبحثون عن العناصر الأربعة ومخطوطة الطقوس مستغلاً أحقاد وشرور البشر، قيل عنه إنه ابن الشيطان ويدعى ((ديابلوس)) عاث في الأرض فسادا، كل ما أراده هو أن يحكم العالم وينهي حياة بني آدم ..» مرت كلمات أثينا أمام عيني هاشم كالوميض لم ينتشله منها سوى صوت بيتو الذي ارتفع مرحاً :

- إنها القسطنطينية .

ألقاها وهو يطلق العنان لفرسه باتجاه المدينة التي أضاف بزوغ الفجر إلى أسوارها البعيدة بعداً آخر من الروعة مع ذلك الضوء الباهت الذي زينت به السماء في الأفق .

****

ألقى يورشي بعض الأشلاء الآدمية إلى حيوانه الأليف التنين ذي الرأسين ، فالتقطت كل رأس منهما قطعة من اللحم ، وعيون يورشي ترمقانه في حنان وكأنه يتأمل طفله الصغير تنهد وهو يداعب رأس ذلك الوحش قائلاً:

- ما هي إلا أيام يا صغيري ونحصل على ما حاربنا من أجله ..

لحظات قضاها برفقة تنينه الذهبي ، تحرك بعدها إلى قصر هوتان الذي أصبح ملكا له كما هو حال المدينة التي جعلها مركزاً لحكمه ، رغم سنوات عمره التي تجاوزت الثمانين عقداً ظل يورشي محافظاً على قوته بفضل أسحاره ، من يراه الآن بشعره الأشعث وعيونه التي تحمل شرور الأرض لن يصدق أنه كان يوماً أحد رهبان عشيرة النور ..



ظل لسنوات يحافظ على أسرار عشيرة النور.. محارباً قوى الظلام التي تجسدت عبر العصور في ملوك ينفذون مخطط كائن واحد، يبحثون عن الخلود والقوة يقتلون ويسفكون الدماء من أجل إرضائه ليمُن عليهم بالأبدية المزعومة. لم يكن عليه سوى أن ينقذ أحد أحجار العناصر من مقبرة أحد ملوك الفراعنة ... هناك تغير كل شيء .....

****

داخل ممر ضيق اكتسى بالظلام أخذ ذلك الشاب يركض في سرعة لم تتحملها رئتاه اللتان راحتا تحثانه على التوقف مرسلة ذلك السعال الحاد كإشارة تنبيه لما سيحدث بعد ذلك.. وتحت وطأة الألم توقف بعد أن تلفت محاولاً رؤية مطارده الذي اختفى وسط الظلام الدامس ، استند على الحائط البازلتي محتضناً ذلك الصندوق وهو يلهث من فرط الإعياء. لامست قلبه فجأة تلك البرودة التي يعرفها جيداً.. برودة حصدت أرواح أصدقائه بقبو المقبرة الفرعونية المتواجد هو بقربها .

- ليس هناك فائدة من الهروب

مع سماعه لتلك الكلمات كاد قلبه يقفز خارج قفصه الصدري الذي احتجزه وكأنه سجين يحاول جاهداً الهروب، كانت حباله الصوتية تجاهد أيضاً لإخراج صرخات ضلت طريقها للتسلل من حلقه الذي عانى جفافا يضاهي سنوات عزيز مصر العجاف .

- لا تخف فأنا أريدك حياً

مرة أخرى تعالى ذلك الصوت ليغرق الشاب بأنهار من العرق، وبصوت حمل حشرجة الفزع أخرج كلماته بصعوبة قائلاً :

- ليس لي دخل بالأمر أقسم لك .



قاطعه صاحب الصوت الأشبه بالفحيح منه إلى صوت البشر:

- تقسم ؟؟؟ لا داعي لذلك ..فأنا أعدك بحكم عالم الفانين .

كان يورشي الشاب يحاول سبر أغوار الظلام الدامس لرؤية محدثه بينما أكمل ذلك الصوت :

- تحمل بين يدك الآن العنصر الأول.. عنصر النار، بقيت ثلاثة أخرى وأنت تعرف أين ستجدها.. كل ما عليك هو إحضارها وتلاوة الطقوس لتحصل بعد ذلك على مكافأتك ..

دقائق من الصمت مرت وكأنها قرون طويلة عاد بعدها ذلك الصوت ليكمل :

- ليس هناك مجال للرفض ستحظى بكل ما تريده من نفوذ وقوة .

أيقن يورشي أنه لا يوجد خيار آخر أمامه سوى القبول للنجاة بحياته، تمثل ما يمكن أن يحدث له إن رفض ، أحس بتلك الأنفاس الباردة تلفح وجهه مما جعله يرتعد بقوة في خوف مشيحاً بوجه وهو يتمتم بصعوبة :

- س..سأفعل ما.. تريد.. أعدك بذلك .

انتهت كلماته مع تلك القبضة الباردة التي اخترقت صدره وراحت تتعمق أكثر فأكثر باتجاه قلبه ، شعر بآلام قوية لا يتحملها أي بشر، كادت عيناه تخرجان من محجريهما عندما أمسكت تلك اليد الباردة قلبه لتسري في نبضاته تلك البرودة التي اجتاحت جسده مع كل نبضه يطلقها اتجاه عروقه وشرايينه لم يتحمل يورشي الألم الناتج عن تلك المعاناة فأغمي عليه.

فتح يورشي عينيه ببطء متحاشياً ضوء الشمس الساطعة ، استجمع قواه وهو يقف مذهولاً محدقاً بما حوله ، كان يقف وسط صحراء قاحلة انتشرت



بها بعض نباتات الصبار على استحياء دارت عيناه بالمكان كثيراً راوده ذلك الشعور بأن محدثه أرسله لهلاكه وسط الصحراء ليموت ظمأً تحت الشمس الحارقة ألقى بجسده أرضاً في تهالك.. عندما باغته ذلك الفحيح مرة أخرى :

- لا تدع اليأس يتملك منك ، فأنت ستكون صانعه في قلوبهم .

- أين أنا ؟؟

- أنت في صحراء تاريم، مقبرة الطموح، ليس عليك الآن سوى الحصول على عناصري الثلاثة الأخرى بأي ثمن وبأية طريقة

- كيف جئت بي إلى هنا ؟؟

قاطعه ذلك الصوت مرة أخرى :

- هكذا .

أحس يورشي بآلاف الشفرات تغزو جسده ، راح ينتفض بقوة؛ فبداخله بدأ شيء ينمو مواصلاً طريقه إلى صدره عبر المريء كرة صغيرة أخذت تعلو عبر حنجرته.. حلقه ثم لفظها بقوة وهو يسعل أمسك صدره في ألم وهو ينظر إلى قطعة اللحم التي بدأت تكبر أمامه وتتخذ شكلاً ما ، إنها ثعبان

لا بل ثعبانين بجسد واحد.. صرخ يورشي :

- ماذا فعلت بي ؟؟

لم يتلق إجابة وهو ينظر إلى ذلك الشيء الذي أخذ ينمو متخذاً شكله فأمامه كان يقف تنين ذو رأسين أخذت كل رأس منهما تحدق به قبل أن يتقدم ويلعق بلسانه المشقوق وجه يورشي وكأنه يقبل والده ..

ارتحل بجيشه مدمراً الأخضر واليابس تاركاً وراءه الخراب والفوضى سنوات أخذ يورشي فيها بتحقيق ما أمره به سيده مستغلاً قدرات السحر



الأسود التي مُنحت له كلما حصل على حجر من أحجار العناصر . قاتل أمما بأكملها مستغلاً ضعف نفوس ملوك يبحثون عن المجد والسلطان استطاع أن ينهي حياة ملايين البشر بلعناته وتلك المخلوقات التي أحضرها بفضل سحره مستغلاً أساطير البشر ليجسدها لهم.. من أجل خدمة الشر والظلام .

****

الحزن صار حاكم المدينة فاضت به الوجوه الشاحبة ، أصبحت القسطنطينية تجسيدا للأسى والحزن فقدت الطرقات البازلتية بريقها و أغلقت الحوانيت أبوابها لم يكن هناك سوى تلك الأجساد الهائمة التي تعبر الطرقات باتجاه القصر الملكي . اجتاز هاشم ورفاقه بوابات المدينة ليلفت انتباههم تلك الوجوه البائسة والرايات السوداء التي رفعت فوق الأبراج الضخمة إلى جانب أعلام العشائر وذلك العلم الأزرق الذي يحمل شعارا صار في الآونة الأخيرة رمزاً يعرفه الجميع، الشعار الذي كان معلقاً برقبته في قلادة منحته إذن الدخول للمدينة فور ما أن رآها الجنود ظناً منهم أنه أحد قادة سرايا النوفا .

حملتهم خيولهم التي بدت كقوارب وسط نهر البشر المتدفق باتجاه القصر الامبراطوري ،راحت عيونهم تنظر بانبهار إلى المكان الذي كثيراً ما سمعوا عنه.. بينما كانت التساؤلات تدق طبولها بداخلهم عن تلك الحشود.. لتأتي الإجابة.. عند رؤيتهم لما يحدث ..

اصطف جنود النوفا بدروعهم وخوذاتهم الفضية التي عكست أشعة الشمس في بريق يغشى العيون تتوسطهم عربة حربية تجرها ستة خيول سوداء، زينت بالريش الأسود والحلي الذهبية . حملت تلك العربة تابوتاً أخذ الطابع الروماني بينما نقش على غطائه الذهبي ذاك التنين المجنح بجناحي



نسر وحمل جسده رأس أرنب ضخم اختلف قليلاً عن شبيهه الذي نقش على الرايات الزرقاء .

شيء واحد سلب عقل هاشم بين الجموع التي بدأت في التحرك مرة أخرى باتجاه كنيسة آيا صوفيا.. لم يكن يتخيل ما رآه أمامه، حدثته نفسه كثيراً بأنه يهذي وأن ذلك ليس بواقع فقد كان عقله يحاول النجاة وسط الأمواج المتلاطمة بداخله، تلك الأمواج التي راحت تتلاحق في سرعة كلما خفقت الرايات ذات الألوان الحمراء والخضراء رايات حملت رسما لهلال كبير بجانب كلمات كتبت بالعربية كلمات حفظها عن ظهر قلب ..

- إنها مراسم تشييع الامبراطور روبن .

كالصاعقة جاءت كلمات إليكترا التي حمل وجهها الأسى ، كان هذا آخر ما ينتظره هاشم ورفاقه ، لقد حفر سوء الحظ خنادقه داخل قلوبهم، فها هو الذي أتوا لمقابلته يخلد داخل تابوته دقائق وسيواريه التراب ليترك لهم الحيرة تقطع أوصالهم مرة أخرى.

****

داخل مقر « عشيرة الجيرمان « بإحدى ضواحي القسطنطينية جلس شارلكان عاقداً حاجبيه الكثيفين حيث أخذ يبحث مع نفسه سبيل التخلص من ذلك التركي ، كان يعلم أنه من المستحيل إزالة براق من الطريق، ذلك التركى الذي نصب نفسه وصياً على العرش حتى عودة نيها و الذي بدوره ليس له الحق في آخر عرش أوروبي .

بات من المستحيل سحق وتدمير الأتراك العثمانيين المنتشرين بكتائبهم داخل وخارج المدينة.. لن يحاول استمالة أحد الأتراك للإطاحة بقائدهم الذي جمع شملهم بعد التشرذم الذي حدث بعد مقتل « بايزيدا الصاعقه « ..



كان شارلكان يريد الحصول على العرش الأوروبي لنفسه ،القسطنطينية كانت رمزاً للمسيحية وقبلتها لن يتركها لقمة سائغة يلوكها الأتراك العثمانيون ..

في تلك اللحظات دخل إلى غرفته الكابتن « سبورتك فيلوز « القائد المعين لعشيرة النوفا من قبل براق، حمل وجه سبورتك ابتسامة صفراء وهو ينتشل شارلكان من جموده :

- لقد استسلمت سمرقند .

تبدلت ملامح شارلكان ليتصارع الفضول والاستغراب لاحتلال قسمات وجهه :

- متى حدث ذلك ؟

لقد وصلت الرسالة منذ قليل إلى براق الذي أمر بتجهيز جيش العشائر لاسترداد المدينة من قبضة الأمير ماردين

تعالى صوت شارلكان الأجش في غضب :

- لن أقف إلى جانب هؤلاء الأتراك في الميدان .

مرة أخرى وجدت ابتسامة سبورتك الصفراء طريقها إلى شفتيه وهو يقول:

- ومن يريد ذلك ؟؟

فهم شارلكان العجوز ما يرمى إليه ذلك الشيطان الصغير المسمى سبورتك ورددت القاعة ضحكات تحمل الحقد والبغض للعثمانيين .

****

انتهى السلطان براق كما يحب أن يناديه الناس من مقابلة الوفود التي جاءت لتقديم التعازي ، ليشرع بعد ذلك في قراءة رسالة سمرقند التي حملت



استغاثة من أهلها وعشائرها استنجاداً بجيش العشائر، رسالة ذيلت بكلمات تدمي القلب و تعلن استسلام سمرقند لجيش ماردين واللورد ياركن .

حمل براق مسؤولية الدفاع عن القسطنطينية و سمرقند في إرث ثقيل تركه روبن الذي قتل بمؤامرة خطط لها ابنه ماردين.. كما أن سرقة الحجر الرابع تبعث الخوف في قلبه كلما تذكرها ، فما هي إلا أيام ويستطيع « يورشي « أن يسيطر على العالم الذي أصبح على حافة الهاوية، كان يعلم بضرورة استرجاع سمرقند قبل أن يصل الحجر الرابع ليورشي القابع بهوتان، لذا فلا بد من التحرك السريع باتجاه الشرق.

كان « بُراق « يحث عقله على نسيان أمر القسطنطينية فمن يعلم ما قد يأتي به القدر، كان عليه الدفاع أولاً عن سمرقند وإذا كُتب له النصر هناك فستخضع كل المدن الباقية لسلطته.سيكون هو» المنتصر الظافر«.. وعندها يتخلص من أي معارض قد يقف في طريقه ، لهذا قرر الاستعانة بدرع آخر يحميه ويقف إلى جانبه .

تحرك براق إلى غرفته حيث خط رسالة ، ما إن انتهى حتى أعطاها لأحد جنوده آمراً إياه بالتوجه لجهة لم يتخيل يوماً أنه سيطلب منهم العون.. أصبحوا هم أمله إذا كانوا على قيد الحياة ..

****

ساعات قضاها هاشم في التجوال داخل المدينة حاملاً صقره، يستمع إلى قصص الباعة والجنود الذين تفحصوه جيداً مع القلادة المعلقة على صدره ، ملامحه ليست أوروبية، على الأغلب تركي هكذا اعتقدوا.. حملته قدماه إلى البسفور متأملاً الأطفال الذين امتلأت وجوههم حيوية ومرحا، اكتست ملابسهم برمال الشاطئ.. لم يكن يوما مثلهم.. يلعب ويمرح.. وسط حروب



الاسترداد والمكائد الاسبانية، وسط خوف أثينا عليه ، لم تتركه يوماً يلعب مثل باقي الأطفال في سنه ، زرعت بداخله بذور العلوم والمعرفة أصبح فارسا لا يشق له غبار.. لم يختلف كثيراً هاشم ذو الست سنوات عن هاشم الشاب الناضج ..لم يترك هاشم عقله ينهارتحت وطأة قذائف اليأس الذي بدأ يتسلل إليه بعد موت روبن ، ترك الشاطئ خلفه وهؤلاء الصبية مازال ضجيجهم يطارده ، ليتجه إلى القصر الامبراطورى كان عليه مقابلة الوصي على العرش كان عليه معرفة المزيد ..

أراد هاشم أن يعرف تطورات الأمور فهناك الكثيروالكثيرفاته منذ انقطاع الأخبارعن الشرق وحتى وصوله القسطنطينية.. أخذ يسترجع كل ما مر به عندما قطع أحبال أفكاره صوت بيتو:

- أين كنت لقد بحثنا عنك في كل مكان ؟

- تجولت بالمدينة لبعض الوقت

إجابة مبهمة لم ترق لبيتو الذي أكمل :

- إلى أين أنت ذاهب.. فالخان ليس بهذا الاتجاه ؟!

أجابه بحزم وهو يمضي في طريقه :

- علينا مقابلة السلطان .

****

استقبل براق الضيفين بمزيج من الشك والريبة حيث أخذ يتفحصهم لحظات قبل أن يقول بالعربية :

- ما قصتكم ؟؟

أجاب هاشم في ثقة :



- هاشم الأول ولي عهد غرناطة، وهذا صديقي بيتو فرناندو دوق قشتالة ..

كانت الكلمات غير متوقعة لبراق الذي فغر فاه في ذهول ، فأمامه يقف شاب أندلسي وآخر قشتالي يدعون أنهم أمراء من تلك الأراضي البعيدة.. من الأندلس .

برغم ثيابهم الرثة وملامح التعب البادية على وجوههم إلا أن شيئا ما بداخله كان يدفعه إلى تصديقهم لم يكن هناك بد من أن يترك نفسه للفضول الذي انساب من عينيه وهو يسأل هاشما :

- هل مازالت هناك حضارة وبشر؟؟ ومدن ؟؟

- لقد خرجنا بعد تدمير مدننا.. وجئنا لمقابلة الامبراطور روبن فنحن من فرسان عشيرة النور.. جئنا لطلب العون لننقذ ما يمكن إنقاذه من أهلنا ..

- عفواً أيها الأمير فأنت تعلم أن ما يحدث الآن في عالمنا يفوق قدرة العقل على تصديقه.. وكما أعتقد فقد رأيتم من الأهوال ما يكفي.. وتعلم ما نحن مقبلون عليه .

أومأ هشام برأسه في إشارة لفهمه الأمور وبُراق يكمل قائلاً:

- لن أستطيع أن ألقي بجنود العشائر في مواجهة بعيدة ومجهولة لا يعلم نتائجها إلا الله ..

ظهرت خيبه الأمل على وجه بيتو فالتفت إلى هاشم فرآه بدوره قد امتقع وجهه.. وبُراق مازال يكمل :

- لكن أعدكم أني سأساعدكم بمجرد انتهاء حملتنا على سمرقند واستردادها من جيوش الظلام..



سكت لحظة ليتقدم واضعاً يده على كتف هاشم ناظراً في عينيه :

- لن أجد من يحمي ظهري سواك أيها الأميرهاشم ..

لم يفهم هاشم ما قاله بُراق الذي أكمل بهدوء وهو يمسك بقلادة هاشم المعلقة بصدره :

- ستكون قائد جُند النوفا.. والآن قصا علي رحلتكما ..

أخذ هاشم وبيتو يقصان ما مروا به خلال رحلتهم ، بينما برقت عينا براق وهو يستمع لقصة هاشم و بيتو ورحلتهم الطويلة إلى القسطنطينية ، وجود تلك القلادة الفريدة جعلت براق يسبح في بحر طموحاته فها هو القدر يمنحه قائدا لعشيرة النوفا قائدا شرعيا يحمل قلادة مثل التي يحملها نيها وروبن وأراكيس ، استمع لقصة هاشم وعقله يحدثه « أن هذا الفتى سيمنحه عرش القسطنطينية.. هذا الفتى سيبقي النوفا تحت قبضته ..»

* * *



صيد الذئاب

((أفضل طريقه لصيد الذئب هو أن تجعله يأتي إليك))..

هذا ما تعلمه نيها على مر سنوات على أيدي روبن وخلال رحلات صيده ، كان عليه أن يطبق تلك النظرية في الصيد.. فقد كان على دراية بمن يتبعه منذ خروجه من «دونهانج» ، قطع نيها وفرقته الصغيرة جبال تيان شان طوال أيام لم تعرف أعينهم لذة النوم والراحة ، كان أمامه هدف واحد « القسطنطينية « ولكن أولاً عليه التخلص من ذلك الذئب المدعو « ناشيك « ..

ليس هناك أمهر من الذئاب في اقتفاء الأثر قد تظل خلف فريستها طوال أيام دون كلل أو ملل ، كان ناشيك أحد ذئاب طريق الحرير عرفته كل المدن البائدة والتي مازالت قائمة.. لم يمتلك أحد ما يمتلكه من موهبة وقدرة عالية على اقتفاء الأثر وتتبع القوافل ، حصل على لقب ملك الذئاب لانتصاراته المتتالية التي منحته مكانة مرموقة وسط عشائر اللصوص وليصبح بفضل كفاءته المساعد الأول لملكة اللصوص وزعيمة عشائرها « ليليتا «.. فقد أصبح أسطورة الموت المؤكد بمجرد ظهوره بطرق الرحالة ، الآن يريد أن تبقى سيرته المهنية مشرفة، ولتظل كذلك كان عليه التخلص من ذلك الشاب الذي ألحق به هزيمة موجعة منذ عدة أشهر ، هزيمة جعلت منه أضحوكة وسط مجتمع اللصوص.. أصبح ما يحركه هو ذلك الغضب الذي ينبض به قلبه



وتلك الندبة التي تركها نصل ذلك الصيني بوجهه لتذكره دوماً بمرارة الهزيمة ولترسم في مخيلته ما ينتظره إذا هُزم مره أخرى ..

ليس هناك سوى خياروا‌حد فقط ..

النصروالظفربرأس ذلك المقاتل الصيني ..

أسدل الليل ستائره السوداء المرصعة بآلاف النجوم فوق صحراء « تكلامكان» التي شهدت نشاطا في تلك الواحة الصغيرة ، حيث انهمك زولا في إشعال النيران ، بينما أخذ نها وبقية رجاله في وضع اللمسات الأخيرة للمخيم الذي سيؤويهم .

كانت ترصدهم عيون من أعلى هضبة صغيرة بالقرب منهم.. عيون ذئب اشتهى الدماء :

- سننتظر خلودهم للنوم وعندها سنمحو ذكراهم من الوجود ..

قالها ناشيك وهو يتابع كل حركة بالمخيم الصغير.. أكمل حديثه الموجه لفرقته قائلاً:

- لا خيول لا همسات .... لا أحياء .

كانت تُذيل كلماته ابتسامة صفراء زادته قبحاً ..

ابتسامة ذئب ظفر أخيراً بطريدته .

****

توقف الزمن داخل غرفة ماردين الذي كان يقف والى جواره خليلته وقد جحظت عيناهما لعدم تصديق ما يرونه..

آلاف المشاعل أضاءت ظلمة الليل.. صفوف منتظمة تسير باتجاه سمرقند.. جيش جراريتقدم في ثبات مطلقاً أبواق اختلطت بقرع الطبول، كان جيش العشائر قد وصل إلى صحراء سمرقند..



أخذ بيتو يصيح فرحاً بين صفوف الجند :

- إنها سمرقند ..

فعلى بعد كانت تبرز أبراج وأسوار وقد زينتها مشاعل عملاقة ، لم يتخيل بيتو يوماً أن يجد نفسه بتلك الأراضي البعيدة كل البعد عن دياره، لم تستطع أكبر أحلامه أن تصل به إلى هذا الحد.. فها هو يسير وسط خمسين ألف مقاتل من شتى أنحاء المعمورة أو ما تبقى منها .

في تلك الأثناء كانت إليكترا تتابع بنظراتها «هاشم « الذي كان يتقدم الصفوف إلى جانب قادة العشائر مرتدياً درعا ليس له قرين بين رفاقه.. درعا حمل نقوشا عربية وزخارف إسلامية.. زي اشتهر به المحاربون من جنوب غرب أوروبا.. زي أندلسي .

- وسيم أليس كذلك ؟؟

انتزعها صوت بيتو من أحلام يقظتها لترمقه بغضب واضح وهي تقول :

- هل أصبحت تهتم بأمور الفتيات؟؟

ضحك وهو يحاول تقليد تجهمها :

- وأين هن الفتيات ؟؟؟

لم تكد تفتح شفتيها لتنطق بشيء ما حتى فاجأها هو مسرعاً :

- ألقاك في سمرقند أيتها الإوزة .

انطلق بعدها بفرسه تاركاً إليكترا خلفه وقد امتزجت مشاعرها بين الخجل والدهشة وذلك الشعور بالغضب منه.. بينما كانت تتابعه بنظرها كان هناك شخص آخر يرمق ذلك الشاب المرح بمزيج من البغض والكره .

كانت عيون شارلكان تتابع بيتو المنطلق متخطياً الصفوف الأمامية ، إنه



عقبة في طريقه . ذلك المهرج القشتالي استطاع أن يُفشل محاولة اغتيال هاشم الأول لينتهي الأمربرأس « سبورتك فيلوز » معلقاً على إحدى الرماح.. كم كان يتمنى إنقاذه ، كان من الأفضل أن ينتهي أمره سريعاً قبل أن يشي به إلى السلطان بُراق.. لتصبح رأسه هو الآخر معلقة بجانب تلميذه القتيل .

- لكم أكره هؤلاء الأتراك .

- سيدي هل هناك شيء ؟؟!.

انتبه شارلكان فجأة وهو ينظر لمساعده في تساؤل.. فقد كان صوت أفكاره قد تجاوز حلقه أخذ يتلفت في ذعر ليتأكد أن أحداً لم يسمع ما تمتم به :

- لا شيء .

أطبق فمه في غل وصمت وهو ينظر إلى رايات الخالدين التي ارتفعت خفاقة لتعطي الأمر ببدء الحصار على سمرقند .

****

في تلك الأثناء وعلى بعد آلاف الأميال كان ناشيك ومجموعته تتسل إلى مُخيم نيها ، تحركت الظلال في خفة ورشاقة حول الخيام المتناثرة في انتظار إشارة ناشيك. ما إن أعطى الأمر لرجاله ببدء الهجوم حتى شرعت مجموعة منهم في الدخول إلى الخيام. لكن لم يكن أحد بالداخل ..

أما في الخارج فقد فهم ناشيك ما حدث. كانت إشارته هي نقطة البدء لحصاره هو ورجاله . ليصبحوا محاصرين من جميع الجهات برجال نيها . لقد أصبح الصياد الطريدة وسقط بعض من رجاله بفضل أسهم انطلقت تحصد أرواحهم.. بينما حل الفزع في قلوب البقية الذين صاروا يتراجعون وناشيك يصرخ فيهم :



- اثبتوا أيها الجبناء يـ..

ابتلع ناشيك ما تبقى من جملته وهو يحدق بنيها الذي وقف أمامه وكأنه ظهر من العدم ، رأى في عينيه الموت رأى نهايته المحتومة ، لكن هيهات ليس هو من يستسلم للموت كالخراف بل هو من يقبل على الموت كالأبطال ..

‹ رغم أن الذئب سقط في الفخ وبرغم أنه محاصر إلا أنه لا يزال شرساً وخطراً ›

« لن يستسلم الذئب »

هذا ما قرأه نيها في عيني ناشيك الذي وشحت وجهه ابتسامة صفراء توحي بالظفر. لقد قرر الذئب الهجوم وليس الدفاع وهذا ما ترجمته ضحكة ناشيك الساخرة التي أطلقها لتكسر صمت المكان :

- هل تظن أن ناشيك يخسر بهذه السهولة ؟؟؟ يبدو أنك مازلت صغيراً يا هذا ..

في تلك اللحظة التي ختم فيها كلماته الساخرة كانت هناك فرقة أخرى من فرق ناشيك تحيط بنيها ورفاقه . ليصبح محاصراً بين ناشيك وما تبقى من رجاله وتلك الفرقة الثانية التي أحاطت بهم جميعاً .

توقف المشهد إلا من تراقص النيران التي كانت تشبه مثيلتها بقلب نيها الذي وقف يتأمل ناشيك المبتسم في زهو. كان يعتقد قبل قليل أنه المنتصر وأن ما خطط له يسير على النحو السليم ولكن لم يكن يعلم أن عدوه محارب بارز لا يشق له غبار« تأتي الذئاب من حيث لا يتوقع الصياد» .

قطع صوت ناشيك الأجش سكون الموقف :

- ألقوا أسلحتكم و أعدكم بأن الرحلة إلى الجحيم لن تؤلمكم .



لم يبالِ زولا بكلمات ناشيك فقد كانت عيناه تتجولان بوجوه محاصريهم، ما إن التقت عيناه بعيني نيوكر حتى قال هذا الأخير:

- إذن فلنذهب جميعاً للجحيم .

كانت كلماته إذنا ببدء المعركة الغير المتكافئة . في سرعة كانت الفوضى هي من يسيطر على المكان، قتال دموي ارتفع فيه صوت السيوف وصيحات الألم بين الجميع ، أخذ نيها يبحث عن هدف واحد « ناشيك »، كان يتحرك مطيحاً بالرجال بين قتيل وجريح ويصيح بصوته الأجش :

- اذبحوهم جميعاً.. لا أسرى لا أحياء .

لم تكن المعركة بحاجه لصياحه فقد كانت معركة حياة أو موت ..

انقض نيوكر على ناشيك ضارباً درع الأخير عدة ضربات متتالية دون جدوى فقد ركله ناشيك بصدره ليسقطه أرضاً، هم بالانقضاض عليه عندما جاءه زولا قافزاً ليحول بينه وبين نيوكر الذي استغل الموقف و وقف مرة أخرى على قدميه متحدياً ناشيك، هذا الأخير حرك رأسه يميناً ويساراً لتصدر قرقعة قوية قبل أن ينطلق لمهاجمتهم .

ما حدث بعد ذلك قد يكون أنقذ الجميع من موت محتم.. أو أنه هو الموت الذي سئم المبارزات الطويلة بين الطرفين ، فقد اهتزت الأرض بشدة تحت أقدام الجميع و راحت سحابة من الغبار ترتفع وسط صيحات الألم وأنين الجرحى.. صهيل الخيول الفارة من داخل تلك العاصفة الهوجاء.. بعد ذلك صمت مطبق.. وسرعان ما خمد ذلك الغبار ليكشف عن أرض خالية من الأحياء و الأموات .

****



حلق الباشق باسطاً جناحيه فوق سماء سمرقند، أخذ يدور فوق المدينة المحاصرة بجيش العشائر الذي راحت كتائبه تنتشر لتحكم الحصار، استغرق الأمر ساعات؛ منذ قدومهم فجراً وحتى الظهيرة كان الفرسان يتممون الحصار حول المدينة العملاقة ، كانت سمرقند تشبه الحلقة، حصن دائري عملاق تزينه ثمانية أبراج ، بكل بوابة برجين عملاقين يحملان قبابا زرقاء تمركز بداخلها الرماة وبعض الجنود ، أما ما يحيط بالمدينة فهي الصحراء شمالاً وجنوباً وغرباً أما الشرق فكانت فيه المراعي الخاصة بالمدينة .

تحرك هاشم متفقداً الجنود وسط ملاحقة الأعين له ، تبدو عليه الهيبة في زيه الأندلسي لم يبالِ بالوجوه التي كانت تتفقده في صمت حمل بعضها المقت والآخر الفضول، فهو من قطع رأس قائدهم الأسبق « سبورتك فيلوز « لتمرده ومحاولة قتله ، كان يعلم ما يدور بعقولهم وأن السواد الأعظم منهم يرفض أن يكون تحت إمرة قائد عربي.. تمنى البعض عودة نيها والبعض كانوا يفكرون بالانضمام لماردين بل اقتنع أكثرهم بأن ما يصنعه ماردين هو الفعل الصائب .

بخطوات واثقة دخل هاشم ومن خلفه أحمد وإليكترا إلى خيمة القيادة حيث كان ينتظرهم « بُراق « الذي استقبلهم بابتسامة عريضة :

- كيف صارت الأمور ؟؟

خلع هاشم خوذته الفضية لينساب شعره الأسود الفاحم وهو يقول :

- أتممنا الحصار حول المدينة.. وقد بدأت عشيرة المجريين بنصب ا لمنجنيقا ت .

- عظيم.. والنوفا ؟؟!

أجاب هاشم وقد فهم ما يرمي إليه براق :



- لا تقلق النوفا سوف يتقبلون الأمر ولكن ليس سريعاً فكما تعلم إنهم بيزنطيون ولا يحبون كل ما يَمت للعرب أو المسلمين بصلة .

أومأ بُراق برأسه قائلاً :

- أتمنى أن يصبح كل شيء على ما يرام ..

نهض عن كرسيه وهو يكمل :

- دع الجنود تأخذ قسطاً من الراحة فأمامنا أيام شاقة م.....

بتر حديثه مع دخول أحد الحراس إلى الخيمة وقد أثمرت أشجار الفزع بوجهه قائلاً في توتر :

- سيدي

بحذر يملأه الفضول قال بُراق :

- ماذا هناك ؟؟!!

تلعثم الحارس وهو ينظر في وجوه الحاضرين ليقول :

- عشـ..يره الجيرمان .

صاح فيه بُراق بغضب :

- ماذا بها أيها الأحمق ..

- إنهم يرحلون .

أطبق الصمت فكيه على عقول الحاضرين فلم يكن أحدهم يتخيل ما يحدث . لحظات قبل أن يخرج الجميع من الخيمة لتقع أعينهم على كتائب الجيرمان التي راحت تتقدم باتجاه أسوار سمرقند وأعلامهم البرتقالية تخفق عالياً .

****

رددت جدران القلعة ضحكات ماردين الشيطانية اخذ يطلق العنان لفرحته التي غمرت قسمات وجهه ، فها هو يسقي عدوه كأس الهزيمة قبل أن تبدأ المعركة ، لقد تقلص عدد محاصريه بانضمام عشيرة الجيرمان لجيشه المدافع عن المدينة.. وليصنع ثغرة في الحصار الذي لم يكتمل بفضل خطته الشيطانية .

ما إن اقتربت كتائب عشيرة الجيرمان من البوابة الغربية العملاقة حتى أشارت ليليتا للجنود بفتحها ، كانت تنقل بصرها بين البوابة التي راحت تفتح في بطء وبين ماردين الذي كان يضحك بهيستيرية قائلا :

- ألم أقل لكِ إن هناك مفاجأة .

تبسمت مجاملة إياه وقد زادت يقيناً أن ذلك الشخص أكثر أهل الأرض جنوناً ، رجل تفوق دهاؤه على الشيطان نفسه ، كانت ترمقه بنظرة أنثى أعجبت بذلك المجنون فقد تفوق عليها شراً وجنوناً . اعتلى ماردين السور بحركة مسرحية وهو يلوح لشارلكان الذي كان يعبر البوابة متقدماً جنده .

وقف ماردين ينظر باتجاه الأعناق المشرئبة على الجهة المقابلة وعيناه تحاولان رصد شيء واحد.. بُراق الذي كان يقف والى جانبه قادة جيشه.. ابتسم ماردين وهو يتمتم :

- مرحباً بك في جحيمي أيها التركي .

****

اختلطت الأصوات داخل خيمة القيادة بعضها بالصياح والآخر ينهال بالسُباب على شارلكان وما فعله. وسط ذلك الصخب ظل هاشم صامتا يجوب الوجوه في هدوء، عندما قرر إنهاء تلك الفوضى وتلك المحادثات التي لا طائل منها ، نهض عن كرسيه قائلاً بصوت قوي :



- هل انتهيتم ؟!

تحولت الوجوه إليه في استغراب وحاول البعض أن يقول شيئا لكن هاشم عاجلهم :

- أضعنا الكثيرمن الوقت بالعويل وإطلاق اللعنات والوعيد على شارلكان، ألا تظنون أن هذا ما يريده عدونا ؟؟ نعم يريد أن نُشتت ونبكي على لبن قد سكب، يا سادة نحن الآن في حصارقد يدوم لأشهر، وكل ما يدور بخلدهم الآن هو أن نظل هكذا وأن تمنعنا أسوار المدينة فنفقد الأرواح والأمل وعندها تأتي الإمدادات لهم ونكون نحن قد أصبحنا لقمة سائغة تلوكها أسنانهم وتدهسنا خيولهم.. كفاكم عبثاً ولنفتح المدينة .

إذا تحدثنا عن الانهيارفهو ذلك الشيء الذي سيطرعلى أجساد الحاضرين فأمامهم شاب لم يتجاوز عمره نصف أعمارهم يخطب فيهم بمحاضرة عن الثبات والنصر، أما بُراق فقد جلس والفخريملأ وجدانه فهو من جعل ذلك الفتى قائداً مؤقتاً لعشيرة النوفا ..

كان هاشم يكمل في حزم :

- الحصارلا يزال ناقصاً ببقاء الجهة الجنوبية خالية.. سنتركها كما هي ولن ندفع بأي من كتائبنا إلى هناك فلنجعلها ثغرة لنا وليس علينا .

عقد « شاندوين» قائد عشيرة المجريين حاجبيه محاولاً فهم ما يرمي إليه هاشم :

- كيف ذلك أيها الشاب ؟

تابع هاشم وهو يستدير لمواجهه شاندوين :

- سنجعلهم يظنون أن تلك الثغرة هي نقطة ضعفنا، فيأتون إلينا عبرها، عندها نمطرهم بسهامنا من الجانبين ..



لم ترق الخطة إلى شاندوين أو بالأحرى لم يفهمها ، فتح شفتيه ليقول شيئا ما عندما أكمل هاشم :

- كل ما علينا فعله هو إجبارهم على الخروج عبر البوابة الجنوبية ولن يتم ذلك إلا بتكثيف هجومنا شرقاً وغرباً ..

- وإن لم يخرجوا ؟؟؟

ألقاها بُراق وهو يلوح لهاشم الذي فهم ما يرمي إليه السلطان التركي « فقد كان بُراق يريد منه أن يشرح باقي خطته.. »

أخذ هاشم يتحدث وقد تعلقت به عيون قادة العشائر فأمامهم شاب يرفع معنوياتهم ويشد أزرهم يبشرهم بالنصر إن صبروا ..

****

وسط الخيام المتناثرة بالمعسكر الشرقي لجيش العشائر، أخذت الإشاعات في الانتشار كما تنتشر النار بالهشيم.. الإحباط واليأس يحاولان طمس الوجوه، كان هذا ما يراه بيتو بوجوه الجنود لم ينزع عنه قبعة الشرود سوى صوت إليكترا الناعم :

- ترى ماذا يدور الآن بخيمة القيادة !!

لم يجبها وهو يلقي قطعة لحم إلى الباشق الذي تلقفها وأخذ يقطعها بمخالبه و يلتقم منها.. في حين تابعت إليكترا :

- يبدو أننا أتينا لهذه البلاد لندفن بها .

ابتسم بيتو وقد علم أن ذلك الشبح المسمى اليأس بدأ بالتسلل لقلوب رفاقه فقال محاولاً شد أزرها:

- سنعود إلى ديارنا أيتها الإوزة .



لم يكن هذا بيتو الذي تعرفه ، ليس هو ذلك الشخص الذي يملأ المكان مرحاً ، حاولت سبر أغواره وهو يداعب صقر هاشم عندما جاء صوت أحمد :

- كيف الحال يا رفاق ؟

قالت إليكترا التي كانت تنتظر سماع ما حدث في اجتماع القادة :

- ماذا حدث هناك ..

- لا شيء

- كل هذا الوقت وتقول لا شيء !!

خلع أحمد درعه وهو يقول :

- غداً سيبدأ الهجوم على سمرقند .

اتسعت عيناها وراح قلبها يخفق بقوة كانت تعلم أن الحرب آتية ولكن هذه المرة ستكون هي بداخلها . لم تنتبه لصوت بيتو الذي كان يخاطب أحمد الغارق في بحر من التفكير. اشتاق لوالدته. فها هو مُقبل على حرب ضروس لم تكن بحسبانه يوماً ، أخذ يتذكر تلك الصرخة التي أعقبت هروبهم من السفينة الملعونة.. ميزها ولكنه كذب عقله يومها..

صرخة حاول أن يطرد فكرة من صاحبها من رأسه ولكنها مازالت تطارده .

****

قد يأتي عليك وقت ما لا تشعر فيه بالزمن. تستيقظ لتجد نفسك بمكان لا تعرف كيف ومتى جئت إليه ولوهلة يحدثك عقلك بأنك في العالم الآخر قبل أن يبدأ في نسج شِباك الوهم والتخيلات.. هذا ما حدث لنيها .

في تثاقل فتح عينيه محدقاً في السماء.. ولكنها ليست مثل أي سماء يعرفها ليست زرقاء ونجومها تحمل مزيجا من الألوان البراقة ...



« ليست الجنة ولا تشبه الجحيم «

حاول النهوض متحاملاً على آلام جسده، اللعنة على تلك المعركة الأخيرة يبدو أن الموت أكثر صعوبة مما تخيلت، نعم إنه العالم الآخر، لا شيء سواه، لا رفاق، لا حياة، لا أعداء .

« أين الجميع ؟؟؟»

فقط أشجار ذات جذوع زجاجية تشع ضوءًا خافتا بدد ظلمة المكان، تحت أقدامه تربة رطبة.. انحنى ليقبض على حفنة من الثرى الأحمر..

- أين أنا ؟؟؟؟

آخر ما يذكره هي تلك الهزة الأرضية التي صاحبتها عاصفة الرمال ..

- زولاااااا ..

أجابه صدى صوته الذي أخذ يتردد لبضع ثوان.. ترى أين الجميع ؟؟؟

لم يكن أمامه سوى البحث عن أي شيء قد يجيب عن تساؤلاته ، بعد وقت من المسير، توقف أمام ذلك الممر الضيق الذي يتشعب مكوناً ثلاث طرق منفصلة ، لم تدم حيرته طويلاً وهو يتقدم إلى الطريق الأوسط في حذر، كان عليه المضي قدماً، شيء ما حدثه بذلك حثه على الولوج في ذلك الطريق وعلى الضوء الخافت أخذ يشق طريقه بحذر نحو المجهول .

لم يدرِكم من الوقت سار عبر ذلك الممر الضيق، بيد أن اليأس تبدد رويداً مع رؤيته لذلك الضوء الساطع في نهاية الممر، سرعان ما تلاشى الأمل بداخله فها هو يعود مرة أخرى إلى نقطة البداية.. أو أنها تشبهها ..

« يا إلهي ماذا تفعل بي «

يبدو أنها متاهة صنعت خصيصاً لتفقدني الصواب ..



ما هذا الصوت ؟؟ ..

نعم إنها صوت أقدام.. هناك من هو قادم ..

استترنيها بين الجذوع المضيئة وهو ينتظر رؤية القادم الذي ما إن وقعت عيناه عليه حتى تهللت أساريره فقد كان نيوكر أخذ يخطو بحذر وقد كسيت ملابسه بلون الدماء ، خرج نيها من مخبأه قائلاً:

- نيوكر أين كنت وماذا حل بك يا صديقي ؟؟

بعيون شاردة ووجه مخضب بالدماء قال نيوكر في تهالك :

- إنه الجحيم يا نيها ..

أرقده نيها وهو يمسح الدماء عن وجهه.. محاولاً طمأنة رفيقه الذي كانت هيئته توحي بأنه رأى من الأهوال ما يكفي :

- قص علي ما حدث

وبصوت خافت بدأ نيوكر:

- هناك شيء ما يطاردنا لم أرَ سوى لهيبه ونيرانه لقد ذبح ما تبقى من رجال النينجا دون هوادة.. ألقيت بجسدي وسط الأشلاء والجثث حتى رحل .

- وأين هو الآن ؟

لم يجب نيوكر على سؤاله فقد كان بعالم آخر، فقد الوعي من فرط الأهوال التي رآها.. ليترك نيها مرة أخرى بين جبال القلق والغموض .

****

داخل غرفة زينت جدرانها بشتى أنواع الأسلحة وبعض رؤوس الحيوانات، احتل أحد أركانها تمثال ذهبي كبير« لتيمور لنك « . جلس ماردين رافعاً قدميه على طاولة خشبية في غرور غير مبالٍ بشارلكان الذي كان يقف أمامه في



تململ واضح.. كان شارلكان يراوده الإحساس بأنه لا شيء مجرد خائن لجيش العشائر، ألقى بنفسه في أحضان ذلك المغرور ماردين الذي لا يعطيه من الاهتمام سوى قدم رفعت في وجهه .

ألقى ماردين بكأسه بعدما تجرعها دفعة واحدة قام بعدها متجهاً إلى إحدى النوافذ قائلاً :

- أستطيع أن أرى النصر من هنا .

التفت إلى شارلكان و هو ينظر إليه في اهتمام مصطنع وهو يكمل :

- أستطيع أن أرى وجه ذلك التركي الآن.. أيام وستصل المخطوطة إلى حليفنا و سيأتي بعدها النصر.. وحتى هذا الوقت ليس علينا سوى الصمود ..

هنا قرر شارلكان الحديث بصوته الأجش وفم لا يكاد يرى من كثافة شاربه ولحيته :

- وماذا عن ذلك الفتى العربي ؟؟

عقد ماردين حاجبيه وهو يتقدم باتجاهه :

- ماذا به ؟!.. لا تقلق فوالدتنا قالت إنها ستتولى أمره .

سكت قليلاً وهو يدقق النظر بعيني شارلكان ليقول في صوت أشبه بالهمس:

- هل تخاف منه .؟!

حاول شارلكان قول شيء ولكنه فوجئ بيد ماردين توضع على فمه وهو يقول :

- لولا غباء تلك الملعونة إيفى لكان أمره منتهٍ منذ زمن بعيد، ولكن، إن لم يمت بيد الوالدة فستكون نهايته على يدي .



أنهى كلماته وهو يتجاوز شارلكان الذي وقف فاغراً فاه في محاوله لفهم ما قاله ماردين، يبدو أن الكثيرقد فاته ، لم ينتبه لماردين الذي خرج من الغرفة ليتسللها صوت الموسيقى الصاخبة وضحكات السكارى.. جاءه صوت ماردين :

- هيا لنحتفل بالنصر القادم .

انصاع شارلكان إلى ما قاله ماردين، انضم للحفل ومازال عقله يبحث عن مخرج مما صنعت يداه ، فالموت المحتم بانتظاره إذا ما هُزم جيش ماردين، ليس عليه سوى القتال والقتال حتى النصر.

قضى شارلكان وقته في الحفل الصاخب جسداً بين السكارى والراقصات التي راحت تتلوى كأفاعٍ تنثر سمومها بالعقول ، أما عقله هو فقد كان يراجع كل حرف قاله ماردين ..

عن تلك التي تسمى الوالدة.. لقد ذكرها ماردين أكثرمن مرة هي و خادمتها التي تدعى إيفى ترى من هم ؟؟؟

كيف سأحارب إلى جوار تلك الأجساد البالية والمومياوات ذات اللحوم المهترئة، جنوده يخافون من ذلك المدعو ياركن وجيش الموتى الذي يملكه والذي يتخذ من بوابة الحصن الجنوبيه مركزاً له « ليتني لم أتخلَّ عن جيش العشائر».

لقد فات وقت الرجوع والندم كم أنا غبي.. يبدو أنني سأدفع ثمن ما اقترفت يداي ..

قطع صوت ليليتا أفكاره وهي تميل عليه فى دلال قاتل :

- لماذا لا تحتفل بالنصر؟؟

ضحك وهو يرفع كأسه أمام وجهها :



- ومن قال هذا ؟؟؟ اليوم نحتفل وغداً ننتصر.

لم يكن على يقين من تلك الكلمة الأخيرة فقد كان يقول بداخله « غداً نموت».

****

لا يبدو أن هذا المكان يعرف ما يسمي بالوقت أو الزمن . فقد نها الإحساس بالوقت، فلا شيء يدل عليه لا شمس لا قمر لا شيء ، عدم مرصع بمزيج من الألوان البراقة ، كان عليه أن يبحث عن مخرج ولكن كيف ونيوكر مازال فاقدا الوعي ..

حمل نيها جسد نيوكر وراح يخطو عبر ممرات ذلك المكان المجهول «كم أنت ثقيل».. مر وقت منذ أن استراح آخر مرة.. « إنها نهاية الطريق « حدثته نفسه بذلك عند رؤيته لذلك الضوء الغريب المشع، عبر نيها إلى دائرة الضوء ليجد نفسه في مكان يشبه كثيراً الغرفة الكبيرة التي كان بها. لكنه مضاء أكثر من سابقه، نفس الأشجار ذات الجذوع المضيئة إضافة لبركة من المياه تتوسطها شجيرات صغيرة اختلفت ألوانها ، أرقد نيوكر الذي بدأ في استعاده وعيه ، تقدم باتجاه حافة البركة ماداً يديه ليشرب و..

- توقف لا تشرب .

كان ذلك صوت نيوكر الذي حاول النهوض في تهالك وهو يكمل :

- لا تلمس تلك المياه فهي أسيد قاتل .

التفت نيها مرة أخرى لبركة المياه مدققاً النظر فيها فرأى ما لم يلاحظه من قبل ، كان يرقد بقاعها عظام بشرية ..

نعم عظام بشرية ترقد بالقاع وبجانبها سيف راح يعكس الضوء.. سيف حمل نقوش عشيرة النينجا ، هنا جاء صوت نيوكر:



- رأيت بعيني ما حدث لذلك الشخص الراقد بالقاع

سكت لحظات وهو يقول» لا سبيل للخروج من هنا « عاد نيها إلى حيث يجلس نيوكر:

- بل هناك طريق للخروج فنحن لسنا في الجحيم فليس الجحيم بهذه الروعة .

- نيها لقد انتهى أمرنا و..

ابتلع باقي جملته وقد تحول وجهه إلى لوحة من الفزع والرعب مما جعل نيها يلتفت في سرعة ليرى سبب فزع رفيقه.. وحينما وقعت عيناه على ذلك الشيء كان حاله يماثل حال نيوكر الذي نهض ساحباً سيفه من غمده.. ليواجه أسوأ كوابيسهم رعباً .

* * *



المواجهة

هل رأيت يوماً.. أهل الجحيم ؟؟

هل خطر بعقلك.. كيف يكونون ؟؟

وقف نيها محملقاً في ذلك الشيء أو بالأحرى ذلك الشخص الذي يقف أمامهم.. مشتعلاً ، جسد اجتاحه اللهيب الموقد، عيناه تشعان باللون الأحمر القاني، انساب على يديه شيء يشبه الحديد المصهور يتحرك كحمم بركان حول ذراعيه، حتى ملابسه كانت وكأنها صنعت من النيران ، كان يتفحصهم في فضول محركاً رأسه يميناً ويساراً ، كادت حرارة نيرانه تلفح وجوههم برغم المسافة التي تفصلهم عنه..

« إننا بداخل حلم.. «

- لا بل إنه الواقع .

فوجئ نيها بتلك الكلمات التي كانت رداً على ما حدث به نفسه ، انتفض جسده أكثر مع اقتراب ذلك الشخص الذي بدا وكأنه خرج لتوه من الدرك الأسفل للنار، أخذ يلوح برمحه، لم يكن يقل لهيبا عن باقي جسده وهو يقترب أكثر فأكثر قائلاً :

- مروقت منذ أن حظيت برفقة ..



كان صوته هذه المرة أقرب للهمسات، الأغرب من ذلك أنه لم يكن يفتح شفتيه حين يتكلم ، أخذ يدور حولهم لحظات قبل أن يغرس رمحه الناري في الأرض قائلاً :

- عادة لا أسأل من أنتم ؟؟؟ ولكن هذه حالة استثنائية، رأيتك تنقذ صديقك فأثرت فضولي.. كنت أظن أنه لم تعد هناك صداقة في هذا الزمن .

كان يوجه حديثه إلى نيها، اختلج قلب هذا الأخير بين الذعر وبين عدم تصديق ما يراه ويسمعه فتوترت أصابعه على مقبض سيفه بشكل ملاحظ ..

- لم أنتم هنا ؟؟؟

حاول نيها جاهداً إخراج الكلمات من حلقه وهو ينقل بصره بين نيوكر الذي بدأ الإعياء يظهر على وجهه وبين المشتعل الذي اقترب منه حتى أحس بلهيب أنفاسه يلفح وجهه ، استجمع نيها قواه أخيرا وهو يقول :

- لا نعلم أين نحن و..

بتر كلماته وهو يتابع عيني ذلك الشيء اللتين كانتا تتفحصان شيئا ما بصدره.. كانت قلادة عشيرة النور الخاصة بنيها هي ما يأخذ عقل ذلك المشتعل، شيء ما حدثه بالطمأنينة عندما تلاقت عيناهما وذلك الشيء يقول:

- من أين لك بهذه القلادة ؟؟

عند اللحظة التي أنهى فيها سؤاله قبض بأصابعه المشتعلة على قلادة نيها والتي ما إن لامسها حتى سطع ضوء أغشى العيون وانتفض بفضله كل ما هو ساكن بذلك الكهف ، أخذ المشتعل يتوهج بفضل موجات الضوء الصادرة عن تلك القلادة ، خمدت النيران وظهر ذلك الشخص بهيئته الطبيعية ..

ما إن وقعت عينا نيها عليه حتى اهتز كيانه ..

****



احتل اللون الوردي السماء معلناً قدوم الفجر فوق ساحة معركة تراصت فيها فيالق جيش العشائر في انتظام مستعدة لبدء الهجوم الأول على سمرقند ، كان بُراق يعلم أن الشمس ستكون عدوتهم في ساعات النهار الأولى، فما هي إلا دقائق وترتفع لترتقي فوق الجدار الغربي و تكون في مرمى عيونهم ، اختياره للبوابة الغربية كان بناءًا على خطة هاشم الذي تمركز مع جنوده شرقاً محاصراً البوابة الشرقية للمدينة،حيث ستكون الشمس في تلك المنطقة حليفتهم .

اختلف الأمر داخل سمرقند، خلت الشوارع من أهل المدينة و أخذت فرق الموت تبحث عن أي شخص قادر على حمل السلاح، أجبروا الكثير على حمله عنوة، أخرجوا الفتيان من منازلهم ليحملوا أقدار الزيت إلى الأسوار حيث انتشرت جنود النينجا في الجانب الغربي لمواجهة كتائب الخالدين وعلى الجانب الشرقي كان شارلكان يقف حاملاً فأسه مدققا النظر في معسكر العشائر الذي لم يستعد للمعركة بعد وهو ما أثار قلقه وريبته ، أما خلف البوابة الجنوبية فتمركز ياركن ومومياواته .

مع ارتقاء شمس الصباح على الأسوار، أعطى بُراق الأمر ببدء الهجوم لتنطلق قذائف المنجنيق تشق السماء باتجاه أسوار المدينة ، حالة من الذعر سببتها القذائف حينما ارتطمت بالجدران الحجرية ، توالت القذائف على الأسوار مطيحة بالجنود المدافعين وسط صرخات القتلى وتساقط البرج الأول الذي انهار محدثاً سحابة من الرمال راحت ترتفع إلى عنان السماء .

اختلف الأمر في الجانب الشرقي حيث ظل مخيم الجيش هادئا ولا شيء يوحي بأن ذلك الجيش المخيم هناك ينوي القتال ، وهذا ما أثار عاصفة القلق



بداخل شارلكان الذي أخذ يقطع السور ذهاباً وإياباً في توتر وأذنه تلتقط الصرخات وأصوات القذائف التي راحت تمطر الجانب الغربي ، توقف بغتة عند سماعه لذلك الصوت الهادر الذي راح يأتي من بعيد ..

كان ذلك الصوت هو صوت صيحات جنود جيش العشائر التي كانت تزلزل أرض المعركة وهم يتقدمون باتجاه البوابة الغربية مع سيل السهام التي راحت تتساقط عليهم من داخل المدينة . لم تتوقف الأمواج الهادرة التي راحت تتقدم مغطاة بالدروع للتصدي لوابل الأسهم المنهمرة عليهم، حاملة في رؤوسها الموت .

جاء دور المهاجمين ليمطروا الأسوار بوابل من السهام النارية التي حصدت أرواح الكثير من الجند، مما سهل تقدم الأبراج الخشبية الضخمة، وأخيراً وصلت السلالم والأبراج إلى أسوار الجانب الغربي الذي استبسلت ليليتا وجنودها في الدفاع عنه مع الأمواج المتلاحقة لجيش العشائر، راحت تعتلي الأسوار في خطوة هي الأولى للسيطرة على الجانب الغربي .

****

« الجانب الشرقي»

هناك كان شارلكان يقف وسط جنوده وقد تحول انتظاره إلى قلق و خوف يزلزل كيانه فأمامه جيش رابض لا يتحرك و من خلفه تأتي أصوات المعركة المشتعلة.. كان يقف متوقعا هجوم هاشم و كتائبه ولكن لم يأتِ الهجوم كما توقع بل جاء من خلفه.. انفجار ضخم أطاح بمئات من جنوده محدثا فجوة بسور المدينة ..

حدث هذا عندما أعطى براق الأمر بإرسال الإشارة لبدء الهجوم من الشرق.. حيث أطلق المجري شاندوين أكبر المنجنيقات عن طريق إرسال كرة



عظيمة من الأحجار و النيران مرت عبر قُطر المدينة كأنها كوكب قرر فجأة الهبوط إلى ساحة المعركة.

كانت لتلك القذيفة وصوتها الرهيب دور كبير في إيقاع الرعب بقلوب جنود ماردين الذين انتابتهم حالة من الذعر بفعل صيحات جيش العشائر، الذين ارتفعت معنويات جنوده لتصل إلى عنان السماء ..

انقض هاشم ورفاقه على الثغرة التي أحدثتها القذيفة بينما صمد شارلكان ورجاله صمودا بطوليا ، كان الهجوم على الجانب الآخر مستمراً دون هوادة، حيث أظهر جنود الخالدين شجاعة فائقة وبسالة نادرة، كانوا يَقدمُون على الموت دون خوف وأمامهم استمات المدافعون بقيادة ليليتا التي راحت ترسل كل من قابلته في طريقها إلى العالم الآخر في سرعة وكأنها سفيرة الموت ..

ومن إحدى أبراج القصر تابع ماردين المعركة وهو يتمتم « علينا الصمود حتى تصل الوالدة بالمخطوطة إلى هوتان»

و ارتسمت على شفتيه شبح ابتسامة تعني الكثير.

****

هل تخيلت مظهرك بعد سنوات وكيف ستكون ؟

هل تخيلت وجهك بعد سنين وقد غزته التجاعيد و احتل الشيب خصلات شعرك ؟؟

كان ذلك ما رآه نيها.. وكأنه يقف أمام مرآة تعكس صورته أو أن تلك نسخة منه في المستقبل ، لم يعد عقله يستوعب ما يحدث له، بدأ الأمر بمكان غريب وشخص مشتعل يحدثهم وفي النهاية كان يقف أمام نفسه أو هكذا خُيل إليه .

كان الشخص الآخر ممسكاً بقلادة نيها يتأملها في صمت ويرفع عينيه بين



الحين والآخر ليرمقه في صمت ، أخذ يقلب القلادة بيديه قبل أن يضغط على نقش ذلك التنين ، وبالتحديد على صدر التنين الذي ما إن لامست أنامله ذلك الجزء حتى دوى صوت قرقعة فتح بعدها صدر التنين ليكشف عن نقش بالصينية يعرفه نيها جيداً.. اسم آخر رجل يتوقع نيها رؤيته في هذا العالم ..

« شين مو «

والده.. الذي فقده منذ نعومه أظافره .

اغرورقت عينا نيها بالدموع وهو ينظر إلى والده الذي مازال يتفحص القلادة بنهم شديد قائلاً :

- من أين لك بهذ..

بتر كلماته عندما التقت عينه بعيني نيها الدامعتين ، هنا فقط تأمل « شين مو « قسمات وجهه ووكز قلبه ذلك الإحساس الدافئ المسمى بالحنين.. إنه يرى فلذة كبده بعد سنوات لا يحصى عددها ولأول مرة منذ سنين ينبض قلبه عندما ارتمى نيها بين ذراعي والده الملعون وسط ذهول « نيوكر « الذي لم يعد يفهم ما يدور حوله .

« خرجت للبحث عن مقبرة الامبراطور كين شين التي كانت تحتوي على أحد أحجار العناصر الأربعة.. وبعد بحث دام لسنوات وجدتها ولكن ما ينتظرني هناك لم يكن بالحسبان . كانت تتعبني منذ البداية وكانت تعلم بما أفعله ، انتظرتني حتى حصلت على الحجر، لتفاجئني بظهورها ، أوهمتني بأنها إلى جانبي، فوثقت بها، كانت تحمل قلادة عشيرة النور أيضاً ، لم أستوعب ما حدث حينما ألقت بي إلى أتباعها ولكني نجحت في الهروب الذي لم يدم طويلاً ، فقد عثرت علي مرة أخرى لتلقي علي إحدى لعناتها لأصبح كما رأيتماني، صرت أسير هذه المقبرة الملعونة ..»



قطع نيوكر حديث شين مو:

- و من هي تلك المرأة التي تتحدث عنها ؟؟

شَرد شين مو لحظات يتذكر فيها ماحدث ليكمل :

« لقد كانت تضاهي القمر سطوعاً وجمالاً، عيناها بحور زرقاء لا شطآن فيها وشعرها الذهبي ألمع من أشعة الشمس، كانت هادئة . لكن خلف ذلك الهدوء يكمن شرور لا طاقه لبني البشر بها ، كانوا ينادونها بـ « الوالدة « برغم حداثة سنها.. كان يرافقها ذلك الامبراطور « تيمور لنك « وشخص آخر يمتطي تنينا ذا رأسين.. آخر ما سمعته من حديثها معهم أنها استنفذت قواها أو فقدت الكثير منها « .

لم يكد ينهي كلماته حتى قال نيوكر:

- يبدو أنك لم تغادر كهفك منذ سنين .

تجاهل شين مو جملة نيوكر وهو يقول لنيها :

- الآن قص علي ما يحدث بالخارج وماالذي أتى بكم إلى هنا ؟؟؟؟؟

كان ذلك إذنا بأن يشرع نيها و نيوكر في قص ما حدث منذ البداية.. وحتى تلك اللحظة .

****

استمر القتال على أسوار سمرقند حتى مغيب الشمس ، حيث استطاعت قوات شارلكان التصدي لهجوم جيش العشائر على البوابة الشرقية و استطاعوا بفضل مساعدة ياركن أن يغلقوا تلك الفجوة بالسور رغم إصرار هاشم وجنوده على محاوله اقتحامها ، أما في الجانب الغربي فقد كانت الخسائر فادحة بين صفوف جيش العشائر أزهقت أرواح الكثيرين من الفرسان تحت



أسوار سمرقند لم يتبقَّ منهم سوى قصص تروي بطولاتهم بين الأحياء .

تفاوتت المعنويات بالجانبين بين فرح المدافعين و إصرار المهاجمين الذي بدا واضحا مع بدء الهجوم الثاني في مساء اليوم ذاته ..

كان ماردين في تلك الأثناء يناقش مع رجاله أمور المعركة عندما فاجأه صوت قذائف المنجنيق ، دوى صدى الارتطام و الانفجارات في كل مكان ، راحت تمطر حجارتها المسومة على المدينة مرة أخرى، مما جعله يقطع اجتماعه وهو يصرخ في جنون:

- ألا يَكل هؤلاء الأتراك.. انتبهوااااا جيدااااا

« دائماً ما نختزل أعداءنا في من نحمل لهم أكثر قدر من الكراهية »

ترك ماردين اجتماعه وانطلق بفرسه يستدعي جند ياركن للدفع بهم إلى الجانب الغربي التي بدأت أسواره تتهاوى أمام جيش العشائر، داخل المدينة زاغت الأبصار مع رؤيتهم لتلك الأمطار المشتعلة أو هكذا بدا لهم،فالسماء ترسل لعناتها عليهم ، آلاف الأسهم النارية راحت تتساقط على المدينة كسيل منهمر أشد من أعتى ليالي الشتاء مطراً..

كانت خطه بُراق تقضي إنهاك المدافعين وغرس رماح الخوف في قلوبهم، كان يريد إنهاء تلك المعركة بأسرع وقت قبل أن تصل قوات إضافية للدفاع عن المدينة .

وهناك، في الجانب الغربي، داخل فسطاط هاشم، كان يرقد هذا الأخير كاشفاً عن صدره تاركاً المجال للطبيب الذي يعالج بعض الجروح التي أصابته خلال المعركة ، دخل إلى الخيمة أحمد وبصحبته إليكترا التي حمل وجهها لوعة وخوفا على هاشم، ما إن رآهم حتى ابتسم بتهالك.. اقترب أحمد من مضجع هاشم متأملاً جسده الدامي :

- كيف حالك الآن يا أخي ؟؟

كتم هاشم صرخة حاولت الخروج عنوة وذلك الطبيب يضمد آخر الجروح.. بينما تقدمت إليكترا لتجلس على طرف الفراش عند رأس هاشم قائله :

- الجميع يتحدث عنك وعما صنعته في المعركة.. أتدري أن البعض يقول إنه لم يرَ محارباً مثلك من قبل و..

قطع أحمد حديثها موجهاً كلماته لهاشم :

- لا تلقِ بالاً لما يقولون وإلا أصبحت صريع الغرور..

ألقت إليكترا خوذتها على صدر أحمد الذي تلقفها ضاحكاً وهي تقول في غضب:

- إنها الحقيقة فأنا لم أرَ مثيلا له من قبل ..

لاحظت أن الجميع ينظر إلى عينيها الهائمتين بهاشم فاحمر وجهها خجلاً، و اعتدلت في جلستها وهي تقول في حذر محاولة تغيير الموضوع :

- هل رأيتم بيتو اليوم ؟؟؟

لم تفلح محاولتها في تغيير الموضوع فقد كان الجميع يرمقها وابتسامتهم تلاحقها.. مما جعلها ترفع خصلات شعرها في توتر وهي تقول :

- ماذا هناك .؟؟؟

- لا شيء.. ولكنك جميلة اليوم .

هوت كلمات هاشم على قلبها كآلاف المطارق السريعة.. لم تصدق ما سمعته هل هو من قال هذا.. كان وجهها يستعر خجلاً من كلماته التي زلزلت



كيانها ، لم ينقذها من ذلك الموقف سوى بيتو الذي دخل رافعاً صوته المرح :

- هااااشم أسد عشيرة النور.. لقد أصبحت بطلاً يا صديقي .

حاول هاشم أن يعتدل في جلسته ولكن الطبيب أوقفه برفق مع نظرة تؤنبه على فعل هذا.. لم يبالِ بالطبيب ليقول :

- لا داعي لتلك الكلمات يا بيتو فأنا لست سوى جندي مثل بقية الجنود ، لقد أظهر الجميع اليوم بسالة في القتال ..

أنهى هاشم كلماته بإشارة للطبيب الذي أخذ يرتب قواريره بأحد الصناديق.. انتظر هاشم حتى خرج الطبيب ليبدأ الحديث مرة أخرى :

- بيتو طمئني على الجنود .

في حركة لم تَرق لهاشم وقف بيتو مؤدياً تحية عسكرية قائلاً:

- سيدي القائد لقد تم دفن الموتى ونقل الجرحى إلى الجانب الغربي، ولكن هناك بعضاً من ضعفاء النفوس يشككون في قدرتنا على النصر، ولولا تواجدك بالصفوف الأمامية لكان هناك الكثير من الفارين .

أخذت إليكترا في مساعدة هاشم الذي كان يحاول ارتداء درعه بينما أكمل بيتو:

- هاشم أتريد رأي ..

أومأ هاشم برأسه معطياً الإذن لبيتو باستكمال حديثه :

- إذا ظلت الأمور على هذا النحو فسوف نخسر الكثير من الرجال وقد نُهزم.

- لا تتعجل النصر يا بيتو فأمامنا طريق طويل.. صبراً.. فإن يوم الحسم آت لا محالة والحمد لله الذي ثبت أقدامنا اليوم ولم يجعلنا من الجبناء .

- ولكن ..



- بيتوكل ما أريده منك غداً أن تقود الرماة إلى الجنوب ..

تحولت رؤوس الجميع إلى هاشم محاولين فهم ما يرمي إليه في حين أكمل بثقة :

- اختفِ أنت وجنودك خلف التلة الجنوبية وانتظر إشارتي..

كانت الثقة تفوح من عينيه التي أخذ الجميع في النظر إليها.. عينان تحملان مزيجا من الثقة والاستبشار .

****

ساعات قضاها كلٌ من نيها ووالده في سرد قصصهم وسط أسئلة نيوكر التي لا تتوقف.. والذي كاد الفضول أن يقتل عقله المليء:

- كيف نقضي على تلك المرأة قبل أن تخرج وليدها المسمى ((ديابلوس)) ؟؟

أجاب نيها في سرعة :

- لا تقلقوا فالمخطوطة محفوظة مع آخر الأحجار عند الإمبراطور روبن ..

لم يكن يعلم ما حدث لروبن وما يحدث الآن في سمرقند ، لم يكن يعلم أن قافلة الوالدة قد اقتربت من الوصول إلى هوتان حاملة معها مخطوطة الطقوس وآخر حجر. لم يعرف سوى ما حدث لأراكيس وهو ما دفعه للعودة إلى القسطنطينية ليصل به الحال إلى هنا .

لم يبالِ شين مو بما يعرفه نيها أو ما لم يعرفه، فقد شرع في حديثه مرة أخرى للإجابة على سؤال نيوكر:

- إذا اجتمعت الأحجار الأربعة مع المخطوطة لا قيمة لها دون دماء نقية.. قطرة واحدة على اللوحة تسلب روح الضحية لتحتجزها بداخل الجحيم فيسيطر على جسده روح الشر الذي يدعى ((ديابلوس)) .



سكت شين مو لحظات أكمل بعدها:

- لقد تم السيطرة عليه منذ آلاف السنين ولكن مازالت والدته طليقة عبر العصور، اتخذت كل السبل لتعيد ابنها مرة أخرى، فقدت الكثير من قدراتها ولكنها مازالت قوية بما يكفى لصنع حروب قد تقضي على البشر من أجل عودة وليدها ...

ارتفع في تلك اللحظة صوت قطع حديث شين مو الذي التفت في سرعة إلى مصدر الصوت..

كان صاحب الصوت « زولا « الذي كان يركض باتجاههم في سرور لم يدم طويلاً مع رؤيته لرمح شين مو الناري المشهر بوجهه ، استدرك نيها الموقف قائلاً:

- إنه صديق..

أنزل شين مو رمحه وسط نظرات الذهول من زولا الذي احتضنه نيها قائلاً:

- كنت أعلم أنك مازلت حياً يا صديقي .

تقدم زولا إلى نيوكر الجالس أرضاً وعيناه لا تفارق شين موو الذي أخذ يراقبه بدوره..

- أين كنت أيها الجبان ؟؟؟

قالها نيوكر وهو يضحك فرحاً برؤية رفيقه الذي حول وجهه إلى نيها قائلاً:

- علينا الرحيل فمازال ذلك القاتل حياً .

تمتم نيها فى خفوت :

- من ؟؟

- ذلك المدعو « ناشيك «

- ناشيك ؟؟؟

نطقها نيها وعيناه معلقتان بشيء يقف عند مدخل القبو، كان ناشيك يقف شاهراً سيفه البراق وإلى جانبه ثلاثة من رجاله، خيم الصمت لفترة من الزمن والكل يرصد الآخر، لم يدم ذلك السكون طويلاً ، فقد ألقى شين مو القلادة إلى نيها ليتحول مرة أخرى وقد اشتعلت النيران بجسده وراح يتوهج في قوة وسط ذهول زولا الذي لم يكن أقل ذهولاً من ناشيك ورفيقيه ..

- أهرب يا بني

كانت كلمات شين موصادمة لنيها الذي وقف محاولاً قول شيء ما.. عندما صاح أبوه مرة أخرى :

- اهرب يا نيها.. جد الفتى صاحب الصقر.

- لن أفقدك مرة أخرى يا أبي، سأبقي وأقاتل إلى جانبك حت.....

- يا بني أنصت إلي فأنا لا أستطيع أن أغادرهذه المقبرة، اذهب وابحث عن تلك العاهرة، اقتلها وحرر روحي،عليك الذهاب الآن، ستجد إحدى برك المياه ذات اللون الأحمر إنها طريقك للخروج ،هيا اذهب .

أنهى حديثه وهو يركض باتجاه ناشيك الذي قرر هو الآخر الهجوم، انتشل نيوكر نيها من سباته وهو يمسك بكتفه قائلاً:

- هيا ..

وقف ثلاثتهم على حافة بركة المياه ليقفز زولا تلاه نيوكر بينما وقف نيها ينظر إلى أبيه الذي كان يقفز ملوحاً بحربته في الهواء ..

- وداعاً يا أبي .



ما إن لامس جسد نيها المياه حتى دوى انفجار عظيم كاد أن يخرق أذنه وسط دوامات المياه التي بدت سرمدية .

****

أشرقت الشمس لتلقي بأشعتها على أسوار سمرقند الصامدة . تصاعدت أعمده الدخان من أرجاء المدينة التي كانت تعاني من أرق ليلة طويلة كان مطرُها قذائف المنجنيق التي أسقطت بعض الأبراج و تحولت إلى تلال من الحجارة، وقف ماردين متابعاً تحركات جيش العشائر الذي بدأت كتائبه في الاصطفاف خلف بُراق .

- « اللعنة «

عقدت ليليتا حاجبيها وهي ترتقي إلى جانبه قائلة :

- ماذا هناك ؟؟

أجابها ماردين في هدوء :

- يتلون صلاتهم .

تجاهلت ليليتا إجابته وهي تلقي نظرة سريعة على الأبراج المهدمة، انتابتها نوبة من التوتر حينما رأت تلك الأجزاء من السور وقد علتها تصدعات كبيرة لتقول :

- لن تصمد الأسوار.. علينا مواجهتهم خارج المدينة .

لم يكن ماردين في حاجة لإرشادها فقد كانت عيناه ترصد ذلك الجندي الذي كان يركض عبر الساحة قادماً باتجاههم ، ما إن وصل حتى قال وهو يلهث :

- مولاي انسحب جزء كبير من القوات الشرقية .



جحظت عينا ماردين في دهشة وهو يحث الجندي على مواصله حديثه :

- إلى أين ..

- لا أعلم ولكنهم اختفوا في الصحراء ..

في ذلك الوقت كان بيتو يرحل ومعه نصف كتائب عشيرة النور أمام أعين شارلكان وجنده كان ذلك الأخير يضحك في هيستيرية وهو يتابع انسحاب الجنود باتجاه الجنوب الشرقي ..

****

ما إن تأكد ماردين من رحيل جزء من قوات هاشم حتى أعطى أوامره إلى اللورد ياركن بالخروج عبر البوابة الجنوبية والالتفاف حول ما تبقى من عشيرة النور والقضاء عليهم ..

تراصت الخيول الحربية حاملة فرسان عشيرة النور يتقدمهم هاشم ممتطياً جواده الأبيض المزين بالفضة حاملاً صقره ، أخذ ينظر إلى وجوه الفرسان.. لحظات استرجع عقله كل ما مر به.. وبدأ خطبته :

- « لم أعلم يوماً أني سأكون هنا وسط صحراء تطأها قدماي لأول مرة، لم أعلم يوماً أني سأكون قائداً للمدافعين عن البشرية محارباً الشر وسطوته، جئتكم من بلاد بعيدة اختارني القدر أن أكون وسط أشجع الفرسان، وأن أكون فرداً من زمرة الأسود وليس قائداً للنعام. إن النصر ليس ببعيد والحرية مرهونة بصمودنا وإصرارنا على تحقيق النصر، لقد كُتب علينا أن ندافع عن آدميتنا، اجتمعنا من كل صوب من أجل حريتنا، فقدنا كل عزيزٍ وغالٍ لدينا



وبقينا نحن، بقينا ليروي التاريخ عن أمجادنا وبطولاتنا، ستبقى تضحياتنا لتروي القصص عنا.. اليوم يومكم.. اصبروا و اصمدوا.. فالنصر حليفكم.. إلى النصر.. إلى الحرية «

مع آخر حروفه انطلقت من حناجر الرجال صيحات قوية تحمل تفاؤلا و أملا ، أطلق هاشم صقره ليحلق عالياً وسط الصيحات التي صمت آذان من كان يراقبهم من فوق الأسوار.. وبدأ الهجوم .

****

« أثبت التاريخ أن من يحمل عقيدة يبقى وينتصر.. من يحمل عقيدة يظل ثابتا وسط البراكين»

****

« الجانب الغربي»

بدأ هجوم جيش العشائر، طوفان من البشر يتقدم نحو الأسوار، حاملين في صدورهم النصر ولا شيء غيره.. كانوا يقدمون على الموت دون خوف.. حاملين رايات العشائر التي كلما خفقت تداعت أمامها قلوب جنود « ماردين »، لم يكن أمام هؤلاء سوى الدفاع عن المدينة وعن حياتهم .

****

« البوابة الجنوبية»

فُتحت البوابة الجنوبية للمدينة ليخرج منها جيش اللورد ياركن، عشرة آلاف مقاتل من الموتى الأحياء يرتدون دروعاً ذهبية غطت أجسادهم العظمية، لم تظهر من خوذاتهم الذهبية سوى تلك العيون الحمراء، تقدمتهم ليليتا بزيها



الأسود وفرسها الجامح، إلى جانبها كان شارلكان الذي أخذ يرمق ذلك القبيح المتآكل المدعو ياركن في نظرات مشمئزة .

تزامن انطلاق هاشم ورجاله إلى البوابة الجنوبية مع سقوط آخر الأبراج بالجانب الغربي، لم تتوقف المنجنيقات عن دك تحصيناته التي تهاوت لتجثم على عقول وقلوب المدافعين . و أصبحت إمكانية اقتحام المدينة أمرا وشيكا .

أخذ الفرس الأندلسي الأبيض يطوي الأرض تحت أقدامه، و من فوقه كان يحلق الباشق مطلقاً عقيقه و يلُهب الفرسان المتسابقين إلى المجد ، ثوان و التقى الجمعان مع صوت انفجار زلزل الأرض تحت أقدام الجميع ، انفجار أفزع الخيول وألقى الرعب في قلوب جيش ماردين.. لقد فتحت البوابة الجنوبية بفضل رجال شاندوين .

كان صوت الانفجار هو الإشارة التي اتفق عليها هاشم و بيتو الذي أعطى الأمر للرماة بأن ترسل برقيات الموت إلى صدور الخطوط الخلفية من رجال « ياركن»، و مع رؤية شارلكان للأسهم التي كانت تسبح في الفضاء اتجاههم، فهم الفخ الذي وقعوا فيه .

على الجانب الغربي كانت أمواج بشرية تتلاحق على الأسوار المهدمة دون الحاجة إلى سلالم أو أبراج خشبية، ومع استبسال ماردين وجنوده أمام شجاعة فرسان العشائر كانت الخسائر مهولة من الجانبين .

أخذ هاشم يصول ويجول وسط المعركة الغير المتكافئة، فعدد عدوه أكثر ثلاثة أضعاف رجاله ، لم يثبط هذا عزيمته ولا قدرة فرسانه على القتال، بل راح يقاتل في شجاعة و ضراوة لم يُرَلها مثيل، كان كل ما يدور بخلده إعطاء فرصة لبُراق وجيش العشائر لدخول المدينة و السيطرة عليها حتى لو اقتضى الأمر أن يموت هو وفرسانه .



كانت إليكترا تحث فرسها على التقدم وسط جحافل الموتى الأحياء الذين راحوا يحيطون بها من كل جانب فأطلقت لسيفها العنان ليطيح بالرؤوس دون كلل أو ملل ، سقطت عن فرسها بفعل ضربة قويه من ليليتا التي انقضت عليها عندما حاولت النهوض مجدداً . تفادت إليكترا الضربة التي كادت أن تلقي برأسها بعيداً عن جسدها ، بحفنة من التراب شتت إليكترا مهاجمتها حتى وقفت مرة أخرى وهي تلوح بسيفها في وجه ليليتا التي أخذت وضع الاستعداد للهجوم معلنة بدء صراع أنثوي من نوع خاص، صراع محاربتين فريدتين .

أما أحمد فقد أخذ يتقافز فوق الرؤوس مقطعاً أوصال مهاجميه في بسالة منقطعة النظير.. لم يتوقف لحظة عن القتال إلا عندما اصطدم بدرع ياركن الذي بدأ في مهاجمته بقوة وشراسة ..

إذا تحدثنا عمن يراقب المعركة الحامية فقد كانوا ثلاثة ..

بيتو الذي صاح في رجاله « هيا إلى رفاقنا «..

شارلكان الذي كان يبحث بين الجموع عن هاشم ..

أما الثالثة فكانت عيون جامدة تحدق في إحدى المرايا التي ظهر على وجهها هاشم وسط المعركة .

****

واصل جيش العشائر هجومه على الجانب الغربي حتى تمكن من اقتحام الأسوار والاستيلاء على بعض الحصون لترتفع رايات العشائر فوق الجانب الغربي.. بينما خرج فوج من فرسان الجيرمان لمساندة قائدهم شارلكان عند البوابة الجنوبية ، ترافق ذلك مع وصول بيتو وفرقته حاملين رايات عشيرة النور الخفاقة ..



لم يكن الأمر داخل المعركة بالشيء السهل فقد كان الجميع يقاتلون بكل ضراوة في معركة شعارها « القتل من أجل الحياة « ، كانت ليليتا تعاني في صراعها مع تلك الفتاة المستميتة في القتال، فتاة لم يعد لها أي شيء لتخسره.. فتاة كانت نداً قوياً لملكة اللصوص.. فتاة تدعى « إليكترا « .

أما هاشم فقد أخذ يتحرك بفرسه الأبيض الملطخ بالدماء باتجاه شارلكان الذي حث فرسه هو الآخر للانقضاض على هدفه الذي يبغضه ، ذلك الشاب الذي قطع رأس تلميذه النجيب « سبورتك فيلوز « أمام عينيه .

تحولت ساحة المعركة إلى تلال من القتلى والجرحى، بحيرات من الدماء والأشلاء ، تعثرت الخيول وراحت تُذبح على أيدي الموتى الأحياء، ما جعل هاشم يقفز مترجلاً عن فرسه ليواجه ذلك الخائن شارلكان .

*ذكر أحد المؤرخين أن المبارزة بين هاشم وشارلكان كانت الأعنف والأروع في التاريخ ، معركة جمعت بين الشباب والقوة وبين الخبرة والدهاء .

كان شارلكان نداً قوياً برغم سنه المتقدم ، أما هاشم فقد كان إصراره على النصروقود المعركة التي اشتدت مع صوت شارلكان الساخر:

- لا داعي للمقاومة أيها الصغير.. فستدفن هنا .

دفعه هاشم بقوة ليأخذ دوره في الهجوم على شارلكان الذي أخذ درعه يئن تحت وطأة الهجوم وهو يقول :

- لست بالسوء الذي توقعته أيها العربي .

انحنى هاشم متفادياً مرور سيف شارلكان من فوق رأسه وهو يقول :

- من الجيد أنك تعرف بأنني عربي.. وكما تعلم فالعرب لا يستسلمون .



قالها وهو يركل شارلكان الذي تراجع من أثر الضربة القوية وقد سيطر عليه الغضب، أخذ يزمجر مع هجومه الهيستيري الذي أسفر عن جرح بكتف هاشم الأيسر. لم يعد للألم مرجع في قاموس هاشم الذي تناسى الجرح النازف وأخذ يكمل قتاله العنيف في إصرارعندما عاجله شارلكان بضربة أخرى سقط عندها هاشم أرضاً في حين علت ابتسامة بغيضة وجه شارلكان الذي قال في سخرية :

- ليس هناك من يحميك هذه المرة أيها العربي ..

وأرسل سيفه في قوه إلى صدر هاشم .

****

في اللحظة التي كاد أن يلمس فيها نصل شارلكان صدر هاشم حدث شيء لم يتوقعه « شارلكان.. وهو أنه يطير.

نعم يطير فقد حلق في الهواء بفعل ركلة قوية من أقدام فرس بيتو الذهبي ، ركلة أطاحت به في الهواء لأمتار قبل أن يسقط بين القتلى وأشلاء الموتى الأحياء ، حدق هاشم ذاهلاً في بيتو الذي أنقذه من الموت للمرة الثانية ، كان يتوقع أن حياته قد انتهت مع اقتراب نصل شارلكان من صدره . انتزعه صوت بيتو من ذهوله وهو يترجل عن فرسه قائلاً:

- لقد سئمت إنقاذك أيها القائد .

مد بيتو يده ليساعد هاشم على النهوض وما إن أمسك هاشم بيد بيتو حتى تحول وجه ذلك الأخير إلى لوحه من الألم والشحوب ومن خلفه كان شارلكان يقف مبتسماً ، وما إن سقط بيتو حتى تبين لهاشم ما صنعه ذلك الخائن فقد استقر في ظهر بيتو سيف شارلكان الذي أرهبته نظرة هاشم الغاضبة فقرر الهروب ، ركض محاولاً النجاة من براثن هاشم الذي التقط إحدى الفؤوس



في غضب وأرسلها فى الهواء لتستقر بظهر شارلكان الذي جحظت عيناه وسقط صريعاً هو الآخر.

لم ينتظر هاشم رؤية شارلكان وهو يخر قتيلاً بل انحنى محتضنا بيتو محاولاً نزع ذلك السيف المغروس بظهره فأمسك بيتو بيديه في ألم وقد انسابت الدماء من شفتيه قائلاً بتهدج :

- إنها النهاية يا صديقي .

خلع هاشم خوذته وقد ملأت عينيه سحابة من الدموع :

- لا يا بيتو ليست النهاية.. لن ترحل

حاول بيتو الابتسام ووجهه يزداد شحوباً :

- لن تجد من يحمي مؤخرتك بعد الآن ..

- بيتو لا تتركني يا أخي.. ستعيش وسنعود إلى بلادنا .

سعل بيتو في قوة وقد تملك الموت من روحه ليتمتم في خفوت بالإسبانية :

- وداعاً أيها العربي.. وداعاً يا صديقي .

وتعلقت عيناه بالسماء لتعلن عن صعود الروح إلى بارئها..

- بيتووووو..

كانت صرخة هاشم قوية وكافية ليسمعها كل من بأرض المعركة التي أوشكت على الانتهاء، فإليكترا توقفت عن القتال مصغية السمع لتستغل ليليتا تلك اللحظة فتركض هاربة من براثنها، أما أحمد الذي كان ينزع رمحه من صدر ياركن أخذه الوجوم إلى حيث يرقد جثمان بيتو، وما إن رأت مومياوات ياركن قلبه معلقا برمح أحمد حتى راحوا يفرون من ساحة الموت ..

لتقابلهم وتفاجئهم كما فاجأت الجميع، تلك الجموع التي ظهرت بالأفق،



قوات جاءت تحت الخطا على ظهور الإبل حاملين رايات من وصلتهم رسالة بُراق ..

إنهم مماليك مصر.. أو ما تبقى منهم .

****

« ارقد في سلام أيها الشجاع.. ولتبقَ دماؤك لعنة على من سفكها.. ستبقى روحك نبع الصمود لمن يكملون الطريق .. سننتصر لتبقى سعيداً بجنان الخلد بين الشجعان سيكون مقامك على ضفافها..»

شدت شمس ذلك اليوم رحالها حاملة معها أرواح آلاف المحاربين الذين سقطوا خلال تحريرهم مدينه القباب الزرقاء « سمرقند »، انتشرت حول الأسوار فرق المسعفين تبحث عن الجرحى وآخرون راحوا يحملون جثث القتلى إلى مثواهم الأخير. داخل المدينة تراصت كتائب جيش العشائر في استقبال مهيب للسلطان بُراق الذي عبر البوابات في زهو وفخر وإلى جانبه قادة العشائر ومن خلفهم عبرت فرق المماليك يتقدمهم « المظفر ناصر الدين » قائد عشيرة المماليك..

لم يكن سكان سمرقند يتوقعون أن تتحرر رقابهم من ذلك الطاغية ماردين الذي أذاقهم خلال شهور قليلة ويلات العذاب ، كان جيش العشائر هو المنقذ وتناقلت الألسن أسطورة الفارس الأندلسي هاشم ذلك الشاب الذي تصدى بفرقته الصغيرة لجيش ياركن فيما سمي بـ»ملحمة النصر« ..

قال البعض إن ذلك الفتى هو المقصود بـ« نبوءة عشيرة النور» إنه صاحب الصقر من سيخلصهم من الظلام.. من سيأتي بالنصر الذي غاب وسط دروب الهزيمة الموجعة خلال سنوات مضت ..

****



« لن تجد من يحمي مؤخرتك من بعدي»

أخذ عقل هاشم يردد كلمات بيتو الأخيرة ، كان يقف صامتاً جامداً أمام قبر رفيق رحلته وإلى جانبه استندت إليكترا إلى كتف أحمد الذي امتلأت عيناه بالحزن والألم. القاسم المشترك بين ثلاثتهم هي ذكريات قريبة لذلك الباسم الذي كان يضفي البهجة على صحبتهم، لم يعد بينهم الآن فقد واروه الثرى لتبقى ذكراه خالدة في عقولنا، إنها سنن الحياة أن نفقد من نحب وتحمله أيدينا إلى القبر.. نتركه وحيداً ونرحل، حتى يأتي ذلك اليوم الذي نلحق به و نتوارى فيه تحت التراب ، يتذكر يوم رآه لأول مرة كان فاقداً للوعي إنه الصديق الذي أرسله القدر ليحمي ظهره .

« الشر يُولد الألم»

الألم الذي استقر بقلب هاشم مولداً موجة من الشعور بالذنب فبيتو هو من أنقذه في المرة الأولى عندما حاول سبورتك قتله وهو أيضاً من أنقذه من ذلك النصل الذي كاد أن يشق صدره ، لقد أصبح مَدينا لصديقه الراحل، مَدين له بالانتقام ولا شيء سواه.. ممن هم سبب معاناتهم.

الانتقام ممن تسببوا في خراب العالم.. ممن تسببوا في قتل والديه ..

سيقاتلهم أينما كانوا.. سينتصر عليهم ويعلق رؤوسهم على سنان الرماح .

سينهي معاناته ومعاناة ما تبقى من البشر.. وسيعود إلى غرناطة حاملاً جثمان رفيقه .

انحنى هاشم ليكتب شيئاً على قبر بيتو قبل أن يرحل، ترك شاهد قبر كتب عليه بالعربية

(سننتصر.. من أجل الشهداء) .

* * *



الوالدة

ارتفعت درجات الحرارة بتلك المنطقة الجبلية الوعرة مع ارتفاع قرص الشمس ليتوسط السماء في هيمنة وسطوع جاعلا من المكان جحيما مستعرا لم يصمد تحت لهيبها سوى بعض شجيرات من الصبار تقاوم الهجير الحارق ، تحت أحد الصخور الكبيرة جلس نيها مستظلاً بينما رقد زولا في عياء يلوك بفمه إحدى الأحجار محاولاً سد عطشه الذي يحاول الفتك بهم ، الشيء الوحيد المشترك بهم هو وجوههم المرهقة الشاحبة وقد تملكت منها الأتربة، أصبحوا أقرب إلى المشردين منهم إلى أمراء حرب ، كان قد مر على خروجهم من ذلك الكهف الغريب ثلاثة أيام ، لم يعرفوا أين هم بالتحديد ولم يروا أي مخلوق حي على مر أيامهم الثلاثة بين تلك الجبال الشاهقة ..

مر أمام نيها كل ما قصه عليه والده الذي ما إن وجده حتى رحل مرة أخرى رغماً عنه ، يالها من حياة قاسية تلقي بك إلى حيث لا تريد، تأخذ منك كل ما تحب وتبقى وحيداً حتى وإن كنت بين جموع البشر، يبقى قلبك معلقا بأشخاص قد ذهبوا عنوة لا تعلم إن كنت ستراهم مرة أخرى أم أنها النهاية المحتومة بفراق أبدي ، أخذ يفكر في تلك المرأة التي تدعى الوالدة وذلك الفتى صاحب الصقر، ترك له والده لغزاً آخر لكي يجد له حلاً فقد قضى عمره



في حماية المخطوطة والحجر الرابع حتى ظن أنها ستحفظ أبد الدهر ، كان يعلم أن المواجهة قد تأتي ولكن ليس الآن، هناك خطأ في توقعاته فالأمر أسرع من جريان نهر غاضب ،أزاح عن رأسه كل الأفكار المتعلقة بالفتى والوالدة « فليذهبوا جميعاً إلى غياهب الجحيم » فليس عليه التفكير بما هو قادم بل كان عليه النجاة وهو الأهم الآن .

- إنها هوتان ..

أفزعه صوت نيوكر الذي كان يتقافز في الهواء مهللاً « هوتان إنها هوتان » ظن رفيقاه أن الصحراء قد سلبت منه عقله وأن السراب أخذ يلوح له في الأفق ولكن تلاشت استنتاجاتهم عن صحة عقل نيوكر مع رؤيتهم لتلك الأبنية البعيدة والتي تحاول جاهدة أن تبرز من خلف هجير الصحراء .

- هل نهذي جميعاً أم أنها علامات الجنون قد أصابتنا ؟؟

قالها زولا وهو يفرك عينيه محاولاً تصديق ما يراه بينما نظر نيها إلى السماء في نظرة طويلة بعض الشيء . إنه القدر يحرك ويكتب كل شيء يبدو أنه كتب لهم النجاة لسبب ما ، ليس عليهم الآن سوى السير نحو تلك المدينة متغالبين على تهالكهم وضعفهم .مع مرور الوقت بدت لهم الواحة الخضراء تقترب أكثر فأكثر.

****

انهمك جنود جيش العشائر بمساعدة العمال في رفع الأنقاض داخل سمرقند التي تحولت إلى خلية نحل عاملة الكل يساعد والكل يعمل ، يعيدون بناء المدينة المهدمة التي تقبل أهلها جيش العشائر في رحابة. كيف لا وهم الذين حرروهم من هذا الملعون المدعو ماردين ، كان يسقيهم العذاب، أجبرهم على فعل كل شيء، حتى المحاربة في صفوف جيشه عنوة، ومن كان يرفض



يُصلب حتى يكون عبرة لمن تسول له نفسه أن يرفض أمراً أصدره الملك « ماردين بن روبن البيزنطي »، رحل عن المدينة على عجل تاركاً خلفه كل ما يتعلق به من متاع ومقتنيات كان جنود « الخالدين » يجمعونها ليوضع إلى جانب غنائم المعركة .

كان أحمد يقود إحدى فرق تفتيش القصر عندما وصل إلى تلك الغرفة التي كان بابها مميزا عن أي باب آخر فقد كان يحمل زخارف ونقوشا غريبة وذات طابع روماني قديم ، اقترب من الغرفة ليجد هاشما يقف بمنتصفها مولياً ظهره إلى الباب الذي كان يقف أحمد على عتبته قائلاً :

- أخيراً وجدتك.. ماذا تفعل هنا ؟؟

جحظت عيناه عندما استدار هاشم حاملاً بين يديه ذلك الشيء الذي يعرفه ويحفظ كل تفاصيله.. تبادل الإثنان النظرات وأحمد يقول محاولاً إزاحة شيء ثقيل جثم على صدره :

« لعله يشبهه»

هنا فتح هاشم الصندوق الصغير كاشفاً عن خاتم ذهبي يحمل حجرا يسطع بمزيج من الألوان البراقة التي أخذت تغزو قلب أحمد وهو يخفق بقوة..

حاول تكذيب ما يراه وهو يتمتم « من الممكن أن يكون مشابها له»

- إنه هو يا أحمد انظر لتلك الحروف العربية إنها تحمل اسم « أثينا » فأنا من نقشتها» قالها وهو يلقي لأحمد بالخاتم .. الذي سَلب عقله .

قضى هاشم وأحمد ساعات النهار في استجواب خادمات القصر وبعض الأسرى لم يجدا سوى إجابات مبهمة أوصلتهم إلى شيئين :

الأول « أن صاحبة الغرفة لم يرها أحد مطلقاً مع ذلك الوشاح الذي كانت



تستتربه.. بينما كان ماردين يبجلها وينحني أمامها وكان يلقبها باسم « الوالدة» الأمر الثاني « أنها رحلت إلى هوتان قبل أيام من قدوم جيش العشائر ومعها امرأة أخرى تدعى « كابتن إيفى»

لم تتوضح الأمور بعد فكل منهما ذهب إلى استنتاج ف» هاشم « قال :

- إن تلك المقتنيات الخاصة بأمهم والتي تركوها في غرناطة قد تكون إحدى غنائم تلك القرصانة الملعونة أتت بها من غرناطة .

أما أحمد الذي سيطر عليه الحنين إلى أمه قال :

- قد تكون أمنا على قيد الحياة أسيرة بمكان ما وعلى الأرجح أنها حُملت إلى هوتان .

أما إليكترا الجالسة بجوارهما صامتة فكان عقلها يحدثها بشيء آخر لن ولم يتوقعه هاشم وأحمد ، شيء قد يكون مُحال حدوثه ولكن هكذا استنتجت .

****

«هوتان»

لم يبالِ أحد بهذين المشردين اللذين راحا يتجولان بسوق المدينة مرتديين ثيابًا رثة غطت رأسيهما ، بينما كانت عيونهما تسجل وترصد كل ما يدور بتلك المدينة، سارا وسط مخلوقات غريبة أغلبها من الموتى الأحياء وآخرون لم يريا مثيلا لهم من قبل . كان المشردان هما « نيها » و« نيوكر » انصهرا داخل الزحام بسوق المدينة عندما ارتطم شخص بعنف بكتف نيها فاستدار في توتر ولم يكد يلتفت حتى أمسك ذلك الشخص بيده هامساً :

- إنه أنا زولا لا تقلق .



تلفت نيها حوله قبل أن يقول له :

- أين كنت ؟؟

- لقد شاهدت منذ قليل موكباً عظيماً في طريقه إلى القصروسجد له كل من بالطرقات .

- وماذا في ذلك ؟؟

صمت زولا وهويأخذ بيد نيها إلى أحد الأزقة الضيقة. وما أن تأكد من خلو المكان حتى رفع ذلك الغطاء عن رأسه قائلاً:

- لقد كان موكب الوالدة .

زلزلت الكلمات كيان نيها الذي تجمدت الدماء بعروقه ووقف محدقاً في وجه زولا الذي تابع :

- ولقد سمعت أيضاً أن جيش العشائريحاصر سمرقند الآن .

هنا قطع صوت نيوكر حديثهم :

- علينا الرحيل الآن فبوابات المدينة تغلق والقوات بحالة استنفار.

لم يجِبْ نيها فقد كان يبحث في ذاكرته عن طريقة لقتل من تسببت في تلك اللعنات المتلاحقة على أسرته وعالمه .

****

استقبل يورشي تلك المسماة الوالدة في تبجيل ساجداً , مما جعل بعض رجاله يندهشون مما يحدث ، بينما تقدمت هي دون أن تبالي به لتصعد درجات العرش بثقة و تستقر جالسة بقناعها الفضي وتلك الملابس البيضاء ذات النقوش الذهبية ، وبصوت هادئ يتناسب مع وقارها :

- يورشي صغيري.. أين أحجاري الثلاثة ؟؟؟

اعتدل يورشي واقفاً وهو يخرج من صدره ثلاث قلادات اختلفت ألوانها وتقدم بثبات ليعطيها إياها، جاءت من خلفه إيفى لتأخذها وتصعد لتقف على يمين الوالدة التي قالت بنفس الهدوء :

- مهمتك الآن أصبحت القبض على المُخلص فبدون دمائه لن نحصل على ما نريد .

حاول يورشي أن يقول شيئا، لكن الوالدة قاطعته بحدة :

- لولا غباء تلك الملعونة لكنا انتهينا .

كانت تقصد بكلماتها إيفى التي أحنت رأسها وهي تتذكر هروب هاشم ورفاقه . غادر يورشي القاعة في غضب تاركاً خلفه إيفى التي وقفت مطأطئة الرأس أمام الوالدة التي انتظرت حتى أغلق الباب خلف يورشي لتقول :

- أريد منكِ أن تضعي من يراقب ذلك الحقير يورشي فيبدو أن طموحاته الخاصة تجاوزت ما وكلته به ..

- سيدتي يجب أن نتخلص منه فلم نعد بحاجه إليه .

- ليس الآن فالحراس الذهبيون لا يأخذون أوامرهم إلا منه ولن يخونوه فهو من يسيطر عليهم ..

في تلك الأثناء دخل إلى القاعة أحد جنود إيفى وقد اضطربت قسمات وجهه، انحنى أمام الوالدة قائلاً :

- مولاتي.. نرصد تحركات لبعض الغرباء خارج القصر..

مالت الوالدة إلى الأمام وهي تقول :

- غرباء !!!

أجاب الجندي وهو مازال منحنياً :



- ثلاثة يحمل أحدهم قلادة عشيرة النور ..

كالصاعقة هوت الكلمات على الوالدة التي أخذت تحدق في الجندي وعيناها تحملان بريقاً مميتا .

****

« سأرحل»

كانت المفاجأة صادمة لبراق وقادة العشائر عند سماع كلمة هاشم ، الذي وقف أمامهم مرتديا زي العامة وليس درعه الأندلسي وبراق يقول :

- كيف ؟ وأنت من أتيت لنا بالنصر، أنت تحاول هدم الجيش .

- لا ولكن لدى معاركي الخاصة و....

- ولمن ستترك قيادة عشيرتك ؟؟؟؟

قالها براق وقد راوده ذلك الشعور بفقدان عرش القسطنطينية فهاهو القائد الموكل بقيادة عشيرة النور يرحل محطما كل آماله وطموحاته .

- إنها تحت قيادة القائد شاندوين لقد أوكلت له هذه المهمة حتى عودة الأمير نيها

حول براق نظره إلى شاندوين الجالس بقربه في صمت وهاشم يكمل :

- سيدي سأسبقكم إلى هوتان هذا كل ما في الأمر فإما أن يقضي علي يورشي أو أقضي عليه و أجنبكم حربا ضروسا

وهنا سمع صوت عربي يشق هدوء القاعة :

- و أنا سأرافقك أيها الفارس

صوبت الأنظار إلى صاحب الصوت العربى « ناصر الدين « قائد عشيرة المماليك الذي تقدم حتى وقف بجوار هاشم وهو يكمل :



- معركتنا واحدة وهدفنا واحد حتى و إن تعددت السبل، سنسبقكم إلى هوتان .

****

اجتاز يورشي إحدى ممرات قصره المظلمة في سرعة وما إن وصل إلى منتصف الممر حتى توقف ملتفتا يمينا ويسارا يتأكد من خلو المكان قبل أن يخرج سيفه ويدس طرفه في إحدى الثقوب في الجدار. لحظات وانزاح الجدار جانبا ليكشف عن درج يؤدي إلى أسفل، التقط أحد المشاعل وأخذ ينزل عبر الدرج المظلم ، كان يبحث عن شيء ما وسط توابيت اكتظ بها المكان ، توابيت تحمل أجساد ملوك كانوا يوما يحكمون العالم ، ملوك بحثوا عن الخلود وانتهى بهم الحال قرابين للوالدة بعد فشلهم ، بين تلك التوابيت كان هناك تابوت غريب الشكل ذو غطاء يحمل نقوشا بمختلف اللغات وجوانبه منحوتة برسومات لصاحبه مع كلمات لاتينية كتبت بالدماء .

أخذ يورشي يردد بعض الكلمات غير المفهومة و....

- ماذا تفعل هنا ؟

جحظت عيناه في فزع إثر سماعه لصوت إيفى الأشبه بفحيح الافاعي ..

- كيف عرفتِ بوجودي هنا ؟

- ليس من الصعب تتبع عجوز مثلك

نطقتها وهى ترمق ذلك التابوت الذي أخذت تتفحصه بعناية لتكمل وهى تشير إلى التابوت

- يبدو أنني قاطعت صلواتك

غمغم يورشي فى توتر:



- لقد تعودت على أن أزور قبور المحاربين القدماء فأرواحهم تغذيني وتمنحني القوة .

حاولت أن تتظاهر بأنها تصدقه ولكنه كان يعلم أن كذبته رديئة للغاية ، انتشلته مرة أخرى من شروده قائلة :

- لقد تم القبض على بعض الأشخاص القادمين من « تشيان جان « .

- حسنا وماذا بعد ؟ فكل يوم يتم القبض على بعض المتطفلين والمشردين .

- الغريب في الأمر أن من بينهم أمير من عشيرة النور يدعى « نيها « .

ما إن نطقت الاسم حتى تجهم وجهه واعتصر الألم قلبه فذلك المسمى نيها هو من قتل فلذة كبده بغابات « شيان جان « ، ها قد أتى بقدميه لكي يأخذ يورشي بثأره ، مرة أخرى انتزعته ايفى من شروده وهي تقول :

- يا هذا الوالدة تنتظرك .

هنا اعتصر الخوف عقله فمحدثته قد تشي به عند الوالدة التي صارت تعامله وكأنه أحد كلابها مذ أتت .

****

استيقظت الأميرة الحمراء إليكترا لتجد بجوارها رسالة مطوية وضعت بعناية وإلى جانبها زهرة زرقاء ، في استغراب و وجه يملؤه النعاس التقطت الرسالة لتفتحها في هدوء وتبدأ في قراءة ما بها :

« إليكترا لقد رحلت أنا وأحمد إلى هوتان.. أعلم أنك ستغضبين لذلك.. ولكن تأكدي أني فعلت ما فعلت حتى أبقيك بأمان.. فرحلتنا طويلة والطريق قد يكون خطراً ....»



توقفت عن القراءة وهي تمسح الدموع التي انسابت على وجهها لتعود و تكمل

«.. لا تقلقي فإن كتبت لي الحياة سأكون إلى جانبك.. في القريب سيلحق بنا جيش العشائر إلى هوتان.. اجعلي من حبك لي نبراساً يضيء ظلمة الليالي.. فإن لم نلتقِ اعلمي أني.. أحبك ..»

خفق قلبها في قوة وراحت تذرف دموعها فرحاً وألماً ، ارتدت ملابسها على عجل و حملت عصاها مغادرة الغرفة في سرعة إلى الحظيرة حيث يوجد فرس « بيتو » لتنطلق عابرة بوابات سمرقند في سرعة خاطفة وسط نظرات الدهشة و الاستغراب من الجنود والمارة .

كان هدفها اللحاق بحبيبها الذي خجل من أن يعترف بحبه لها وجهاً لوجه.. تركها خلفه خوفاً عليها من مصير قد يكون مظلما ، كانت تحث الفرس الذهبي على الإسراع فوق الرمال الساخنة ودت لو كان له جناحان فتُحلق إلى ذلك العربي الوسيم « حبيبها هاشم»

****

« لا تترك من تحب وسط دوامات الفراق.. تشبث به حتى تصلا إلى بر الأمان.. كن بجانبه حتى وإن كان يريد البقاء بعيداً ليحافظ عليك.. كن إلى جانبه ولا تبتعد عنه «

****

لماذا اختفى ذلك المُشتعل ؟؟

لم يعد يزين كوابيسه المظلمة.. أين هو ؟؟؟

سيطرت التساؤلات على عقل هاشم الذي كان أحد ثلاثة حملتهم خيولهم القوية عبر الصحراء الشاسعة.. « ترى كيف هو حال إليكترا الآن ؟»



أجاب أحمد عن السؤال الذي داربعقل هاشم :

- هاشم يبدو أن إليكترا قد استطاعت اللحاق بنا ..

نظر هاشم إلى الفرس الذي يقترب مسرعاً نحوهم وقد حمل على ظهره أحد الملثمين ، والذي مع اقترابه تبين لهم أنها بالفعل إليكترا .. كانت ترتدي ملابس تشبه ملابس الرجال مع لثام مخملي زاد عينيها جمالاُ ..

أزالت اليكترا اللثام عن وجهها وهي تنزل غاضبة عن فرسها الذهبي الذي كان يوما ملكا للباسم بيتو ، تقدمت نحو هاشم الذي تملكته الدهشة مع الخجل وحمل وجهه ابتسامة خافتة لأول مرة منذ رحيل رفيقه .

- كنت أعلم أنك ستأتين .

- هاشم لن أغفر لك ذلك.. كيف تتركني بسمرقند وترحل هكذا ؟

- كان عليكِ البقاء هناك فما هي إلا أيام و يلحق بنا جيش العشائر إلى هوتان .

استعر وجهها بالغضب وارتفعت نبرات صوتها :

- لقد فرض علينا البقاء معا.. قاتلنا سويا.. وجابهنا المخاطر سويا.. ولم يعد لي سواكم انتم عائلتي.. هل تعتقد أن صداقتنا بتلك السهولة لتتركني خلفك وتمضي بطريقك وترحل .

و امتلأت عيناها بالدموع وهى تقول في حزن :

- ليس لي بهذا العالم سواكم فإما أن أعيش بجانبكم أو أذهب كما ذهب بيتو.

أجهشت بالبكاء فلم يكن من هاشم سوى أن احتضنها برفق وضمها إلى صدره هامسا :



- لا داعي للبكاء أيتها الإوزة .

ابتسمت رغما عنها فلم تكن تتوقع يوما أن تكون يوما بين ذراعيه و الأجمل الذي رقص قلبها طربا منه أنه يناديها بما كان يلقبها به بيتو، وعلى مقربة منه وقف ناصر الدين وأحمد ينظران لهما وناصر يتمتم :

- إنه يحبها .

رد أحمد في سرعة :

- بل هي من تذوب عشقا فيه .

تبادل الاثنان الضحكات ليصيح بعدها ناصر:

- هل نكمل طريقنا أيها العاشقان أم أننا سنقضي اليوم في المغازلة؟؟

أفاق هاشم في خجل على كلمات ناصر الدين فأزاح اليكترا برفق وهو يلتفت إليهم :

- عماذا كنا نتحدث ؟؟

ابتسم أحمد بينما أطلق الجميع ضحكات لم تر وجوههم منذ وقت ، ضحكات لا تتناسب مع من يقدمون على الموت .

****

داخل قاعة زينت أرجاؤها بتماثيل أباطرة الحروب، وقفت الوالدة بقناعها الفضي العاكس لضوء المشاعل ترمق الشابين المعلقين على أحد الجدران وقد أحاطت بهما سلاسل ضخمه تقيدهما إلى الحائط ، كانا فاقدا الوعي ، لحظات من الصمت قطعها صوت خطوات يورشي ومن خلفه ايفى ، عبرا باب القاعة في خطوات واسعة، ما إن توقفا خلفها حتى قالت دون أن تلتفت إليهم :

- أين كنت ؟



تلعثم يورشي وتصبب العرق أنهارا على جبينه قبل أن يقول بصوت خافت يملؤه الخوف :

- كنت أطمئن على تحصينات المدينة .

قالها وعيناه تنظران إلى ايفى التي كانت تنظر إليه بدورها وتبتسم فقد كانت تعلم انه كاذب، جاء صوت الوالدة الهادئ عندها :

- أي تحصينات ؟ لقد سئمت من فشلك..... ألم ترَ هؤلاء المتسللين ؟؟

حاول فتح فمه ليقول شيئا ولكنها كالعادة عاجلته وهى تلتفت نحوه مما جعله ينتفض مع كلماتها :

- لقد قبض عليهم وهم يتسللون إلى القصر.

ألقت إليه بشيء ما التقطه بسرعة وهي تكمل :

- هذه قلادة عشيرة النور وجدت مع أحدهم أتعرف ماذا يعنى هذا ؟؟؟ إنهم يعلمون بوجود المخطوطة و الأحجار معنا .

صمتت لحظات وهي تنصت السمع لتأوهات نيوكر الذي بدأ يستعيد وعيه تأملته بتركيزوهى تقول:

- أريد استجوابهم وأريد أن أعرف سبب تواجدهم هنا في « هوتان » ... أغلق المدينة بالكامل وأعط الأوامر للجنود بالاستعداد .

- أمرك سيدتي .

حولت نظرها إلى ايفى قائلة :

- استجوبيهم أنت .

ودون أن تنظر ليورشي قالت « أما أنت.. فأحضرلي هاشما»

****



«.. وما إن وصلتنا رسالة السلطان براق حتى لبينا النداء ، تركنا خلفنا أطلال القاهرة تجوبها مومياوات « أنوبس « ، أتعلم أن الاسكندرية ما زالت صامدة محاصرة من قبل مخلوقات خرجت من باطن الأرض أكلت الأخضر واليابس؟.. وقد جئنا إليكم رغم قلة عددنا حتى ننهي تلك اللعنات.. مررنا بدمشق وبغداد وكلاهما كانت تجوبهما صائدات الموت، والله ما جئنا إلا لننتصر أو نموت».

كان هاشم ينصت لقصة ناصر الدين التي تحمل بعض التفاؤل والأمل ، أما أحمد فقد كان كل ما يشغله هو ذلك الخاتم وذلك الصندوق الذي رآه بسمرقند « مقتنيات والدته « ، حاول أن يجد حلا لذلك اللغزولكن يبدو أن الإجابة عن الأسئلة المتلاحقة برأسه كان يقبع في « هوتان» .

لم تكن إليكترا الهائمة بهاشم تعلم أن ذلك الشاب هو مُخلص البشرية فدماؤه هي من تحمل الهلاك والموت، لقد وقعت في حُبه منذ أن رأته عيناها، حاولت التقرب منه بقدر المستطاع ولكن كان ينهرها دوماً.. أما هو فقد كان يعلم بحبها له ولكنه لم يكن بعقله سوى شيء واحد وهو البحث عن الحقيقة في رحلة فرضت عليه.. الكثيرمن الأمور لم تتضح له بعد.. لا يعلم سوى أن هناك شيئا سيتم استحضاره ليحكم العالم ويذيقه العذاب ، فإن كان هو المخلص كما قيل له من قبل فكيف سيحارب تلك المخلوقات التي لا تنتهي، كيف يوقف استحضارذلك الشيء المدعو« ديابلوس « قبل قدومه إلى الحياة مرة أخرى، هناك شيء ما لا يعلمه، شيء يحمله المجهول إلى قلبه..

- هاشم انظرهناك .

انتبه هاشم مع كلمات إليكترا التي كانت تشير إلى شيء وسط الصحراء وما إن وقعت عيناه على الشخص الملقى أرضاً حتى وكز فرسه لينطلق في سرعة ..



ترجل هاشم في حذر شاهراً سيفه في الوقت الذي هبط فيه الباشق إلى جانب ذلك الجثمان الرابض على الأرض.. أخذوا يقتربون في حذر و عيونهم تتوجس أي تحرك عندما ارتفعت يد ذلك الصريع متأوهاً في ألم.. لينتفض ناصر الدين ويدقق النظر في ذلك الشخص الذي يحاول النهوض.. قائلاً في تهالك :

- لا تقتلوني أرجوكم فأنا ..

لم يكمل كلماته التي قالها في تهدج حتى سقط « زولا » فاقداً الوعي مرة أخرى ليترك هاشما ورفاقه في حيرة من أمره ..

فمن هو ذلك الصيني وما قصته ..؟؟؟

****

« لم يجيبا على شيء.. ولم أتلقّ منهما سوى التهكم والسخرية»

لم تبالِ الوالدة بحديث ايفى فقد كانت تعبث بأحجار العناصر الأربعة وتعيد ترتيبها فوق المخطوطة وهي تقول :

- غباؤك هو الذي أوصلنا إلى تلك المواجهات.. من الواضح أني أعتمد على الأغبياء عديمي الجدوى .

أشاحت ايفى بوجهها في حنق والوالدة تكمل :

- في البداية فَرمنك هارباً، ثم قتل حيواني الأليف « سيربيروس ».. وبرغم كل هذا مازلت أعتمد عليك.. لولا وجود التابوت هنا منذ البداية لكنت أنا من أتيت بهاشم إلى هذا المكان .

كان الغضب يملأ كلماتها.. وهي ترفع عينيها لترمق إيفى في صمت لم يدم طويلاً حين اقتربت منها قائلة بصوت صارم :



- لن أسمح بالفشل مرة أخرى ..

تركت إيفى الغرفة وهي تحمل الكثير من المشاعر المضطربة ، فليست هي من تسبب بالفشل لم يكن عليها سوى القبض على هؤلاء الفتيان منذ خروجهم من « غرناطة « ولكن لم يكن خطأها أن يرسم القدر لهم طريقاً آخر، تكاتفهم و عزيمة الشباب بداخلهم كانت أقوى من شرها وشر زعيمتها ، « اللعنة على كل ما هو ملعون « تتذكر ذلك اليوم حينما كانت تبحر مع والدها أمام سواحل « جنوه « وغرقت السفينة بسبب تلك المخلوقة البحرية التي أخذت تخطف البحارة واحداً تلو الآخر ولم يتبقّ سواها، أنقذتها الوالدة لتعدها بخلود دائم إذا ما قبلت خدمتها ، لم تكن تملك أي خيار آخر سوى القبول أو الرقود جثة هامدة تلتهما أسماك القاع ..

****

« كان الوقت ليلاً حينما تسللنا إلى القصر الملكي بهوتان اجتزنا الحديقة بصعوبة وسط كثرة الحراس ، بُهتنا عندما رأينا ذلك التنين ذا الرأسين لم نتوقف كثيراً أمامه فقد سبق وأن رأينا العجائب بتلك المدينة الملعونة ، سبقنا الأمير نيها عندما رآها، كانت تمشط شعرها الأشقر، كانت هي كما وصفها « شين مو « لم يقاوم الأمير ذلك الإحساس بالانتقام ، رغم محاولتي لأمنعه من دخول غرفتها ، أصر ودلف هو ونيوكر إلى الداخل وبقيت أنا لأراقب الطريق، ولكن يبدو أنها كانت تعلم بوجودنا فما إن أغلق الباب حتى تعالت صيحات من الداخل ورأيت الكثير من الجنود قادمين عبر الممر الذي أقف به ، حاولت فتح الباب لكن دون جدوى.. لم يكن أمامي سوى الهروب والبحث عن مساعدة.. ولكن هناك امرأة أخرى طاردتني عبر القصر حتى استطعت الهروب منها ومن براثن كائناتها الغريبة ....



قاطعه أحمد قائلاً:

- هل رأيتها ..

- نعم إنها ترتدي زيا يشبه ملابس القراصنة و..

قاطعه أحمد مرة أخرى :

- أتحدث عن الوالدة .

- لا كانت تولينا ظهرها حينما رأيناها.. هل ستساعدوني في إنقاذ صديقي؟؟

« هل تعرف طريق الدخول إلى المدينة ؟؟»

أراحت كلمات هاشم صدرزولا الذي ابتسم في فرح وهو يقول :

- نعم سنعبر عبر أنفاق نقل المياه ولكن علينا جميعاً السباحة ..

«إذن الأميرنيها وريث عرش القسطنطينية، أسيرلدى الوالدة التي بحوزتها أحجار العناصر الأربعة ومخطوطة الطقوس، ستقودنا أنت إلى داخل المدينة»

أنهى هاشم حديثه وهو يقف حاملاً صقره وعيناه تنظران إلي عيني زولا الذي راقت له فكرة العودة إلى هناك وإنقاذ صديقيه.. فمع بزوغ الفجر سينطلقون إلى هوتان .

إلى الموت .

****

في أشد الأوقات ظلمة يأتي الفجر حاملاً البشائر والأمل، فإن ظننت أن الليل قد يستمر بحلكته قد تكون أنت أول الخاسرين .

سبح هاشم ورفاقه خلف زولا الذي كان يتحرك في حذر وسط سيقان البامبو التي أخفتهم عن عيون حراس المدينة ، ما إن اقتربا من الجدار الحجري حتى همس زولا :



- علينا الغوص الآن.. عبر الفتحة أسفل ذلك الجدار..

غاص زولا ليلحق به البقية، كان هاشم آخر من غطس تحت المياه بعد نظرة سريعة على الباشق الذي كان يجوب السماء فوقهم ، أخذ الجميع يسبح عبر الفتحة الضيقة التي بالكاد تحوي أجسادهم، كان زولا يشق طريقه عبر المياه باحثاً عن المخرج الذي سبق وأن عبره هارباً .

في تلك الأثناء وفي حجرة الوالدة ارتفعت سحابة من الدخان تغزو أرجاء الغرفة التي وقفت في وسطها حاملة مرآة تعكس صورة لمياه ضحلة.. راحت تتمتم بكلماتها الغير المفهومة ولم تستجب لها المرآة، مازالت تعكس صورة المياه الضحلة ولا شيء سواها ..

ألقتها في غضب أفزع خادمتها التي امتقع وجهها في رعب مع صياح الوالدة :

- إنهم هنا!!!!! .

تحركت في عصبية عبر الغرفة وهي تقول :

- سأحررك يا ولدي مهما كان الثمن، ستعود لتنشر الفوضى والهلاك، وستبقي من أذلوك يحترقون في الجحيم .

أخذت همهماتها تعلو شيئا فشيئا وعيناها تزدادان لهيباً ..

ما إن عبر هاشم وإلكترا خلف زولا الممر الضيق حتى اهتزت المياه في عنف و راحت أجزاء من الممر تتساقط لتفصلهم عن أحمد وناصر الدين ، أخذ هاشم وزولا يحاولان إزالة بعض الأحجار ولكن لم يفلح الأمر، كانت رئتاهما تطلب الأكسجين اللازم لبقائهما على قيد الحياة، عليهم المتابعة فوجودهم هنا يعنى الموت .

****



داخل زنزانة رطبة الجدران مظلمة إلا من ضوء أحد المشاعل الصغيرة المعلق بجانب بابها الموصد ، شرع نيها المقيد في التفكير والبحث عن طريقة للخروج من ذلك المأزق ، كان يعلم أن تلك القرصانة ستعود بعد قليل للتلذذ بتعذيبهما بساديتها المتناسقة مع هيئتها، وذلك الزي البالي الذي ترتديه ، كان عليه التحرك في سرعة حينما قرر البدء في خطته :

- نيوكر.. نيوكر أفق .

فتح نيوكر عينيه وهو يتمتم بألم :

- ماذا ؟ هل جاء موعد العذاب ؟؟

- لا يا صديقي.. لن نموت كالخراف.. أنصت إلي جيداً ....

راح نيها يقص في خفوت خطته للهروب من ذلك الجحيم ..

خطة كانت كفيلة بعودة نيوكر إلى كامل وعيه وهو ينصت له بتركيز.

في تلك اللحظات وداخل أنفاق نقل المياه أسفل القصر كان هاشم يكاد يموت اختناقاً هو ورفيقاه، جاءت إشارة زولا بالصعود لتنقذهم من الموت غرقاً، اندفع ثلاثتهم إلى سطح المياه وشهقاتهم تسبقهم وما أن أخذوا أنفاسهم حتى صاحت إليكترا :

- ماذا حدث ؟؟

في حين قبض هاشم على رقبة زولا الذي صرخ بدوره :

- لا أعلم أقسم لكم لا أعلم ما حدث ..

- أنت تخوننا يا هذا ..

قالها هاشم بصوت صارم وزولا يحاول التملص منه قائلاً:

- هاشم صدقني لا أعلم ما حدث ..



قاطعه هاشم في غضب :

- هل هناك طريق آخر لخروجهم ..؟؟؟

- إنها متاهة من الأنفاق قد ينجو....

أفلته هاشم ليغوص مرة أخرى تاركاً إليكترا التي راحت تحدق في زولا الذي أزاح خصلات شعره المبلل جانباً وهو يقول :

- لم أخُنْكم أقسم على ذلك .

تحت المياه كان هاشم يحاول إزاحة الحجر الذي أغلق الممر ولكن مرة أخرى دون جدوى.. صعد في توتر لتقول له إليكترا :

- هاشم لا تقلق على أحمد وناصر فسيجدان مخرجا حتماً

- أتمنى ذلك .

قالها وعقله راح يغوص باحثاً عن أحمد.. والقلق والتوتر يعصفان بروحه في عنف.. فقد كتب عليه أن يفقد كل من يحب .

****

انتشرت دوريات كثيفة تجوب شوارع هوتان وضواحيها، أُغْلقت البوابات مع فرض حظر التجول ، وأحاط الجنود ساحة القصر في تحفز وعيونهم ترصد وتراقب كل شيء ، أما في الداخل فقد اختلف الأمر، حيث تسللت أشعه الشمس عبر الستائر السوداء لتضفي تلك الرهبة على ذلك الشخص الذي كان يمتطي تنينه ويتقدم نحو البوابة خارجاً منها، أمام عيون هاشم ورفيقيه اللذين تابعا المشهد من خلف أحد الجدران الملاصقة لبرج القلعة القديمة ..

- هاشم أترى ما أرى ؟؟

- نعم يا إليكترا يبدو أننا قد وصلنا إلى مبتغانا ..



قطع» زولا « حديثهما هامساً :

- عذراً، ولكن يجب أن نتحرك فدخولنا القصر سيكون أصعب ما في الأمر..

تحركا في خفة متوارين عن الجنود الذين راحت دورياتهم تجوب محيط القصر وعيونهم تحمل الموت ..

في تلك الأثناء كان أحمد وناصر الدين يقفان داخل إحدى الغرف المظلمة ظلمة القبور..

- أين نحن؟

أجاب ناصر وهو يتحسس الجدار البازلتي الرطب :

- لا أعلم ولكن علينا البحث عن سبيل للخروج..

وجدا أحد المشاعل المعلقة على الجدار، أشعلاه ليضئ المكان البارد وفجأة جحظت عيونهما من هول ما رأياه ، كانت قاعة ضخمة مملوءة بمئات التوابيت المتراصة بعناية، حمل كل منها نقوشا من مختلف الحضارات ، تجولا بين التوابيت المزينة بوجوه أصحابها وصار كل منهما يتفحص تلك القبور الغريبة الشكل ، قطع السكون صوت « ناصر » الخافت :

- إنه كنز لا مثيل له.. انظر لذلك التابوت، إنه تابوت الإسكندر الأكبر، وهذا تابوت تيمور لنك، أما هذا ف..

لم يكن أحمد يصغي لما يقوله ناصر ، فقد كان يقف متأملاً تابوتا اختلف عن البقية.. تابوت أسود رخامي كتب عليه باللاتينية التي يعرفها جيداً « سيعود ليمحو وجودكم.. سيعود ليدمي قلوبكم.. سيعود ليتوج على عروشكم.. إنه ديابلوس بن الشيطان « .



ماهو مكتوب جعله يرتجف ليس بسبب الكلمات التي نقُشت على التابوت.. بل الصورة التي رُسمت بدقة ..

صورة امرأة يحفظ ملامحها عن ظهر قلب ..

امرأة لم يتخيل أبداً أن تكون هي ..

«الوالدة»

****

فتح باب الزنزانة مصدراً صريراً يعلن عن قدوم وجبة من التعذيب التي تتفنن إيفى في إطعامهما إياها ، دخلت القرصانة الملعونة تتمايل مع تلك الابتسامة التي تعلو وجهها ولكنها سُرعان ما تلاشت مع رؤيتها لنيوكر الذي كان يضحك في سخرية و نيها يرمقها بابتسامة عريضة. وقفت أمامهما وقد تملكتها الدهشة:

- أتضحكان ؟؟!

« نعم « نطقها الاثنان في نفس الوقت مما جعلها تستشيط غضباً قائلة :

- ما الذي يضحككما.. !!

نظر الاثنان إلى سقف الزنزانة وهما يقولان « هذا «.. مما جعلها ترفع عينيها لترى ما ينظران إليه ، ما إن وقعت عيناها على ما بالسقف حتى فتحت فمها في جمود وحاولت أن تعود إلى الخلف ولكن سبق السيف العدل. فقد حرك نيها يديه في سرعة ليحررها من الأغلال.. مطلقاً كرة ثلجية إلى أقدام إيفى ثبتتها تلك الثلوج إلى الأرض. راحت تدير عينيها في ذهول وفزع محاولة إخراج قدميها من قالب الثلج الذي جمد أوصالها. كان نيها في تلك اللحظات يفك وثاق نيوكر الذي ما إن لامست قدماه الأرض حتى تمتم قائلاً:



- وداعاً أيتها الملعونة .

مع دوي آخر حروف نيوكر ألقى نيها هذه المرة كرة من اللهب إلى الثلوج المتدلية من السقف.. لتسقُط طاعنة إيفى التي خرجت من حلقها صرخة سُرعان ما خمدت مع الموت المتساقط فوقها ..

انحنى نيها ليجردها من السلاح عندما فوجئ بها تذوب وتتحلل لتصبح مجرد بركة من طحالب البحر المتعفنة، التقط نيوكر خنجرها الذهبي في سرعة، أخذ يتأمله عندما باغته صوت نيها :

- فلنرحل عن هذا القصر الملعون.. ولكن بعد أن نسترد ما سُلب منا ونقتل تلك العاهرة .

قالها بحزم وقوة وقد أصبح هدفه جلياً الآن ..

سيحقق ما عجزعنه أسلافه في عشيرة النور ..

القضاء على الوالدة .

* * *



الحسم

إذا تحدثنا عن الغموض فلابد أن نذكر قصر «هوتان» القصر المهيب ذا القبة الخضراء وأبراجه الرفيعة المدببة الرؤوس، تحيط به المياه من كل جانب، تحفها شجيرات مختلفة الألوان.. قيل عنه قصر الجَنة ، اختلف داخله عن ظاهره كثيراً ،حيث صنعت الأرض من الرخام الأسود ارتكز عليها ثمانية تماثيل ضخمة لملوك هوتان القدامى ومؤسسيها تعلوها ردهة ملكية، كانت يوماً ما مجلس الملكات والجواري ليشاهدن العروض بالبهو الملكي ، لم تتبدل ملامح القصر كثيراً منذ احتلال المدينة لم يُضف إليه سوى تلك الستائر السوداء التي أغرقت البهو في ظلام بدد ت ظلمته المشاعل المنتشرة على الجدران .

دخل هاشم و إليكترا في حذر إلى القاعة، تقدمهم « زولا » وهو يخطو متلفتاً شاهراً سيفه ، كان الصمت يطبق فكيه على المكان إلا من وقع أقدامهم، سرت برودة أرجفت منها قلوبهم مع سماعهم لصوت الضحكات الأنثوية التي راحت الجدران ترددها في تتابع ، كان هاشم و إليكترا قد سمعا تلك الضحكة من قبل، هناك على ظهر تلك السفينة الملعونة بالقرب من شواطئ إيطاليا .



لم تدم دهشتهم طويلاً فقد أطلت عليهم صاحبة الضحكة من خلف أحد التماثيل العملاقة ، بخطوات واثقة راحت تخطو إلى منتصف القاعة بزيها الأبيض الفضفاض ونقوشه الذهبية البراقة وقناع فضي لا يحمل سوى الجمود ، تواجه الجميع في صمت للحظات بدت كالدهر وكل منهم يتفحص الآخر، وسط توتر إليكترا و زولا ونظراتهم المتوجسة، بادرت إلى الحديث في صرامة وبصوت حمل قوة :

- كنت أعلم أنك ستأتي ..

لوحت بيدها في زهو وهي تكمل :

- وأخيراً بعد آلاف السنين من الانتظار انتصرت ..

«آلاف السنين» نطقتها إليكترا في دهشة بينما كانت « الوالدة» تكمل :

- ها هو حلمي سيتحقق ويعود فلذة كبدي ليذيقكم العذاب ..

كان هاشم يقف صامتاً محاولاً معرفة هويتها التي يخفيها ذلك القناع الفضي ، كانت لكنتها غريبة بعض الشيء ، بيد أنه أحس أنه يعرفها من قبل، بهذا قرر أن يجعلها تفصح عن نفسها فقاطع حديثها قائلا بسخرية :

- لستِ سوى مجنونة أوهمها السحر و الشيطان أنها تستطيع إبادة البشر.. لن يفلح سحرك هذا..

صاحت في غضب عارم :

- لم ترَ شيئاً بعد من السحر أو الجنون يا هاشم، ستعرف معنى الألم حينما تخرج روحك ويصبح جسدك وعاءًا يستضيف روح ابني الذي قتل بأيديكم أيها البشر..



أدرك هاشم الآن حقيقة الأمر. إنها ليست من بني البشر إذن.. هي أم فقدت ابنها وهي الآن تحاول أن تعيده إلى الحياة.. حتى لو اقتضى الأمر أن يهلك في سبيل ذلك كل البشر.. إنها والدة ذلك الشيء المدعو« ديابلوس «.. كانت تريده هو منذ البداية ..

خطا هاشم بضع خطوات باتجاهها وهو يقول في هدوء :

- ومن قال أني سأسمح لك بهذا ؟؟؟

قالت وبصوت أكثر صرامة من ذي قبل :

- حتى وإن قاومت فستموت.. ودماؤك وحدها تكفي ..

صفقت بيديها لتدخل عن يمينها ليليتا وعن يسارها ماردين يحمل كل منهما صندوقاً ذهبيا ليس بالكبير. اتسعت عينا زولا الذي يعرف ماردين عن ظهر قلب فقد كبرا سوياً وخاضا دروسهما في القتال سوياً وعلى الجانب الآخر كانت إليكترا تبادل ليليتا البغض عبر نظراتهما ..

- أظن أنكم لستم بحاجة للتعارف فأنتم تعرفون بعضكم جيداً .

في تلك اللحظات كان الباشق يعبر إحدى النوافذ العلوية للقصر دون أن يشعر به أحد سوى هاشم الذي لمح دخوله إلى القاعة. فتمتم وهو يوجه حديثه للوالدة التي توسطت ماردين و ليليتا :

- ولكني لا أعرفك .

ضحكت وهي تصوب صولجانا ذهبيا إليهم قائلة :

- كل شيء له أوان.. ستعرف كل شيء في موعده ..

ومع آخر حروفها انقض الباشق على الوالدة ضارباً بجناحيه الهواء في قوة.. محاولاً مهاجمة وجهها. مما جعلها تتراجع أمام ذلك الصقر الذي أخذ



يضرب بمخالبه ومنقاره المعقوف قناعها الفضي، وسط ذهول الجميع.. حتى سقط القناع عن وجهها ..

ليظهر من خلفه آخر شخص توقع هاشم رؤيته الآن ..

شخص خفق له قلبه بمجرد رؤيته ..

إنها هي بالفعل ..

«أثينا»

****

ركض نيها ومن خلفه نيوكر عبر أروقة القصر وما إن وصلا إلى الساحة حتى لمحا رجلين يقاتلان يورشي وبعضاً من حراسه الذهبيين ، كان عليهما المرور عبر الساحة الشاسعة ، لم يعلما من هما الشخصان اللذان راحت سيوفهما تخوض في رقاب مقاتلي يورشي ، كان ناصر الدين حاملاً سيفين ينضبان بالدماء من كثرة احتضانهما لأعناق الجنود ، وأحمد يقفز بجسده نصف العاري وشعره المبلل ضارباً بحربته تنين يورشي ، لم ينتظرا طويلا فتقدما إلى النزال و مساعدتهما في المعركة .

أطلق نيها كراته المتوهجة نحو التنين وراكبه الذي أخذ في الانقضاض عليه وسط قفزات نيها المتتالية ..بينما كان نيوكر ينحر الأعناق فى سرعة رهيبة.. لم يتساءل احمد و ناصر الدين عن الشابين اللذين جاءا لمساعدتهما ..

التقط ناصر الدين إحدى الرماح بعدما فرغ من قتل جنود يورشي وصوبه باتجاه التنين الذي ما إن غُرس الرمح بصدره حتى أطلق فحيحا قويا أعقبه بنيران قوية كادت أن تحرق نيها الذي استلقى أرضا ليجد أحمد ماداً يده لمساعدته على النهوض، لم يسقط التنين ولكنه استدار مواجها « ناصر الدين » متقدما نحوه مكشرا عن أنيابه مطلقاً فحيحا قاتلا لينقض عليه أحمد



بفأسه قاطعا أحد رأسيه قبل أن تقضم تلك الرأس قدم « ناصر الدين «.. مما جعله يتلوى وينتفض قبل أن يهوى عليه « نيها « هو الآخر بضربة قطعت الرأس المتبقية، ومع تراجع التنين وانتفاض جسده في عنف سقط يورشي أرضاً.

قفز يورشي العجوز في سرعة لا تتناسب مع سنه المتقدمة، ليقف مرة أخرى متوهجاً بهالة من الضوء الأحمر، أخذ يتمتم بصوت مرتفع وهو يحرك ذراعيه، لم ينتظر نيها أن يرى نتيجة ما قد يصنعه يورشي، فقفز في الهواء محاولاً ركله ولكن العجوز تصدى لها بكل سهولة، ليطلق بعدها إحدى كرات اللهب باتجاه نيها الملقى أرضاً، لكنها لم تصل إليه، فقد تحرك أحمد حاملاً درعه ليتصدى لتلك الكرة المشتعلة وينقذ نيها من موت محقق، مما أثار غضب يورشي الذي صاح بكل قوته قائلاً:

- لن تستطيعوا هزيمتي.. فأنا خالد ..

لم تكتمل باقي حروف كلماته.. فقد فاجأته ضربة من أحمد لتلقي به أرضاً تحت أقدام نيوكر، فتح عينيه في ألم ليجد نيوكر واقفا عند رأسه مبتسما قائلاً باللغة التُخارية والتي يحفظها يورشي عن ظهر قلب :

- « أرسل تحياتي إلى أهل الجحيم أيها المشعوذ « ..

وغرس بكل قوة خنجر ايفى الذهبي بمنتصف رأسه مما جعله يصرخ بقوة وجسده ينتفض لتضرم فيه النيران فجأة ومع دهشة الجميع، دخل إلى ساحة القصر عشرات من الجنود ذوي الدروع الذهبية اللامعة شاهرين أسلحتهم بوجوه الأربعة.. ليقول ناصر الدين بحزم :

- أحمد ادخل إلى القصر ابحث عن هاشم وإليكترا ..

- لن أتركك يا ناصر.



فى ذلك الوقت كان نيوكريقول :

- استمع إلي يا نيها أنقذ العالم من تلك المرأة المجنونة ولا تسمح بعودة ذلك الشيء .

احتضن نيها صديقه وهرع بعدها إلى القصر ومن خلفه احمد تاركين وراءهما ناصر الدين ونيكور في مواجهه جنود الموت .

****

حدق هاشم مذهولا بوجه « أثينا ».. نعم هي من تربى على يديها كاد عقله أن يضمُر من محاولة تصديق ما يراه، نعم، كانت هي تقف والغضب يطل من عينيها لما فعله صقر هاشم بها ، حاولت « اليكترا » فهم ما يحدث قائلة:

- هاشم ما بك؟ أتعرفها ؟!

لم يجبها وقد استحوذ عليه الذهول والدهشة مما جعلها توكزه قائلة:

- هاشم ؟!

- إنها والدتي.

وكأن صواعق الدنيا هبطت فوق رأسها مع سماعها كلماته الشاحبة، جحظت عيناها من فرط المفاجأة وهي تتمتم :

- ماذا ؟!!

اعتدلت «أثينا» وقد تحول صوتها إلى ذلك الصوت الهادئ الناعم :

- هاشم صغيري.. اشتقت إليك.

ووسط دهشة الجميع صاح « زولا » بصوت مرتفع:

- ما الذي يحدث؟!

رمقته أثينا بعينين ملتهبتين وهي تقول:



- هاشم هذه أنا أمك.

كان عقل هاشم كمن طعن بآلاف الطعنات يحاول جاهدا البقاء حيا ، لا يصدق ما يراه ولا يكذبه ، سبح في بحور العدم وصوتها فقط من يشق ذلك الضباب الذي راح يغزو عقله، ورآه مرة أخرى لقد مروقت طويل منذ أن زاره في أحلامه، إنه ذلك المشتعل ولكن مهلا إنه لا يحلم إنه مستيقظ ..

«لا تستمع إليها إنها ليست ما عليه، إنها ليست والدتك.. بل والدته»

- لماذا لم تقل لي هذا من قبل ؟؟

- لقد تحررت أيها الأمير بفضل ولدي نيها.. و الآن عليك قتلها.

- انتظر..

« اقتلها و أرسلها إلى وليدها بالجحيم»

- هاشم أفق..

انتشله صوت إليكترا من سباته لينظر في الوجوه في وجوم قبل أن يبدأ حديثه الموجه إلى « اثينا « :

- يا هذه أنتِ لست أمي.. ولست صغيرك ..

تبدلت ملامح اثينا مرة أخرى ، حيث أخذ الشريفيض من عينيها، شر ليس له حدود ، لتستعيد ذلك الصوت القاتل :

- نعم لست كذلك ولكن..

قاطعها هاشم بحدة :

- لقد خدعتِ الجميع منذ البداية.. قتلتِ والداي ولفقتِ التهمة لجواسيس القشتاليين ، كنتِ تُعدينني طوال الوقت لأكون وعاءا لاحتواء الملعون ابنك ، و قبل ذلك بكثير سيطرتِ على من يخدمونك مع الوعد بالخلود من أجل



أن يحصلوا على أحجارك..أما أنتِ فتفرغتِ للبحث عن ذلك المُخلص بما أن دماءه هي الحل الوحيد لعودة ذلك الملعون، وبعد سنين من إعدادك لي لأكون الجسد المضيف لروح « ديابلوس « ، أرسلتني في رحلة إلى المجهول بالبحر لتقبض علينا قرصانتك التي فشلت في ذلك ، كانت ستحملنا إليك.. ولكن جاءت الرياح بما لا تشتهي قرصانتك، مرة أخرى استطعنا الهروب منها وقتلنا كائنك ذا الثلاثة رؤوس، وكتب لنا القدر النجاة وهذا ما كان يؤرقك طوال الوقت، عندما وَجدت خطتك طريقها للفشل ومن أجل أن تدفعينا للمجيء إلى هنا ، تركتِ بعض أمتعتك بسمرقند لنعثُر عليها وتزيد من حيرتنا وتساؤلاتنا، خطة رائعة ولكن مشكلتك أنك قمتِ بتدريبنا أكثر من اللازم .

كانت أثينا تتلقى حديث هاشم بنهم فقد كان يشرح الأمور كما استنتجها وقد صدق في كل ما قال ، ومع بغضها له، - والذي بدا ملاحظ على وجهها - أخذت تصفق بيدها تحية لذكاء هاشم لتقول بعد ذلك وقد تحول صوتها :

- عظيم أيها البشري، ولكن أنتم من قتلتم بعضكم البعض بسبب بحث ملوككم عن الكمال والمجد.. الشرجزء منكم ، أنتم من يخيط المشانق ويسن المقاصل.. طمعكم وشهواتكم هي من أوصلتكم إلى هذا ، و إذا خرج عليكم حكيم ينصحكم ويوجهكم قلتم مجنون ونبذتموه ، أردتم العيش للعيش لا تلجؤون إلى إلهكم سوى حين تمسكم الضراء ، حتى وإن لم يكن لنا وجود في الحياة لكنتم خلقتمونا لتبرروا أخطاءكم.. لسنا بحاجة للسيطرة عليكم فملوككم يبحثون عن الخلود وعروش زائلة.. أنتم فانون لا تستحقون الحياة..

- كفي ثرثرة يا هذه.. حتى هذه اللحظة لا أصدق أن من ربتني صغيراً هي من تريد إراقة دمي.. ترى ما الذي منعك من سفك دمائي حينما كنتِ أماً لي ؟؟؟ اااه نسيت أنك لم تكوني قد حصلتِ على أحجارك ومخطوطتك .



امتقع وجهها وعقدت حاجبيها وهي تقاطعه :

- لو كنت أعلم كل ما يحدث الآن.. لكنت وأدتُك صغيراً .

- إنه القدر أيتها الشيطانة .

- أي قدر؟؟ لا تحدثني عن الإيمان أيها الفتى.. لقد تخلى عنكم منذ زمن وأصبحنا نحن من يحرككم .

ضحك هاشم في تهكم وهو يمد يده ليهبط عليها صقره مصدراً عقيقه الذي بعث التوتر في المكان ، لحظات من السكون سادت المكان قبل أن يقول هاشم :

- يبدو أن قدراتك في التحكم لم تشمل هذا الطائر.. أرأيتِ ما فعله بك ؟؟؟

كانت ترمقه بمقت غاضب وهو يتحرك حاملاً صقره ومازال يكمل :

- أنتم لا تحركون شيئا.. ولا تقدرون على فعل شيء.. أنتم ..

قاطعته في حده :

- أعلم ما ستقوله وما سيؤول إليه الأمر فتحدث وتباهى بذكائك كما تشاء فبعد قليل ستكون رأسك بين يدي .

توقف هاشم مولياً ظهره لها وعيناه تنظران إلى عيون رفيقيه :

- سأخبرك بأمرين أيتها الشيطانة.. الأمر الأول أنك لا تعلمين الغيب ، والثاني أنك لن تحصلي على رأسي..

ومع نطقه لآخر حرف تحرك زولا و إليكترا في سرعة مباغتة للهجوم على ماردين و ليليتا اللذين فاجأهما الموقف ..

****



عبر نيها و أحمد إلى الشرفة الملكية المطلة على القاعة حيث كان هاشم ورفاقه في نزال دموي ، راقب أحمد المشهد في وجوم وشرود لم ينتبه لكلمات نيها الذي كان يخاطبه، كان عقله يحاول النجاة من الغرق وسط أمواج متلاطمة أخذت تلقي به إلى صخور الألم والمعاناة ، فهو يرى أمامه والدته وهاشم يحاول قتلها في استماتة ، سأل نفسه» ماذا يحدث أهي من يتحدثون عنها ..؟؟؟ «

قطع تساؤلاته صوت نيها الذي وكزه وهو يقول :

- ماذا سنفعل الآن ؟؟

كان يرتكز على سور الشرفة حينما جاءته إجابة أحمد الغير المتوقعة ، إجابة جاءت في شكل ضربة قوية على مؤخرة عنقه ليسقط فاقداً الوعي ، تحرك أحمد في هدوء عبر الدرج بنظرات خاوية ووجه شاحب ، أخذ يخطو داخل القاعة بهدوء مريب لا يتماشى مع الوضع ، حيث كانت إليكترا منهمكة في قتال شرس مع ليليتا ، وعلى الجانب الآخر كان زولا يذيق ماردين الألم بضربات سريعة متلاحقة بيديه وقدميه ، أما هاشم فقد كانت أثينا تفوقه قوة وصلابة بشكل لا يتناسب مع كونها امرأة تجاوز عمرها الخمسين، كانت عيناها موقدة بلهيب مستعر يكاد يحرق هاشما بسبب غضبها .

لن يثنيها شيء عن تحقيق حلمها الذي انتظرته مئات السنين ، انتقلت من جسد إلى جسد عبر الأزمنة ، أزاحت كل من وقف في طريقها و سيطرت على عقول الكثير من الملوك ، حتى وجدت ضالتها في ذلك المولود الأندلسي.. من تحدثت عنه النبوءة.. صاحب الدماء النقية.. لكم تلعن روحها لأنها تركته يكبر أمام ناظريها ، كان عليها اختطافه صغيراً والهروب به من غرناطة ، ولكنها فضلت البقاء حتى تكتمل الأحجار إلى جانب المخطوطة ، قامت بتربيته هو

وذلك الطفل المتبنى الذي لم يعرف سوى أنها والدته وأن « أبا الحجاج » والده.. والذي يقف الآن على مقربة منهم يشاهد القتال الدامي .

ما إن رآه هاشم حتى تهللت أساريره التي سُرعان ما خمدت مرة أخرى عندما وجده لا يحرك ساكناً ، مما جعل إليكترا تفقد تركيزها في القتال لتهوي عليها قبضة ليليتا وتسقطها أرضاً ، صرخ هاشم وهو يشاهد إليكترا تسقط أمامه :

- أحمد أنقذ إليكترا.. ماذا بك ؟؟؟

لم يجبه أحمد وهو يتقدم بخطوات ثابتة نحوه ، وما إن اقترب من هاشم حتى أعطاه ما سبق وأعطاه إلى نيها.. تهاوى هاشم بفعل ضربة أحمد المباغتة التي جعلت عينا أثينا تبرق وتحتل وجهها ابتسامة هادئة تعبر عن الرضا مما فعله أحمد .

كان ما فعله أحمد مفاجئا للجميع حتى لماردين الذي استغل الوضع وغرس نصله في صدر زولا الذي كان قد توقف عن القتال لحظة سقوط هاشم ليرقد إلى جانب أصدقائه صريعاً وسط بركة من الدماء .

****

احتضنت أثينا جسد أحمد الذي لم يتحرك ولم يبد أي ملامح أو شعور يظهر السعادة ، فقط الجمود هو من كان يحتل قسمات وجهه ، أبعدته عنها في برفق وهي تحيط وجهه بكفيها لتنظر في عينيه الباردتين ، وبصوتها الهادئ الناعم الأقرب إلى الهمس قالت :

- أحمد ولدي.. أرأيت ما كان هاشم يريد صنعه لـ.

بترت حديثها مع نظرته الخاوية التي تبعث القشعريرة في البدن.. جمعت شتات أفكارها مرة أخرى وهي تقول :



- ذلك الشيء سيطر على هاشم وعلينا الإسراع بإنهاء تلك اللعنة التي تحتل جسده ، والقضاء عليه.

كانت ليليتا تنظر بدهشة لوجه الوالدة الذي حمل هدوءا قاتلا « كيف لتلك المرأة القدرة على التحول من الغضب إلى الهدوء؟ هناك شيء بداخلها.. ليست من بني البشر.» ، جاء صوت أثينا الصارم ليوقظها من أفكارها المتضاربة حينما قالت :

- هيا احملوهم واتبعوني .

في جمود تبع أحمد والدته بينما لحق بهما ماردين وهو يحمل جسد هاشم في تململ واضح وهو ينظر إلى ليليتا التي أخذت تسحب إليكترا من أقدامها نحو الدرج المؤدي إلى أسفل القصر.

« لقد انتصرت.. وستعود يا وليدي إلى الحياة ..»

****

تحسس « نيها» عنقه في ألم وهو يحاول النهوض، دقيقة أخرى مرت عليه وهو يستوعب ما حدث لينطق لسانه « ذلك الخائن » عندما تذكر ما فعله به ذلك الشاب العربي ، استند إلى سور الشرفة حاملاً رمحه ، أخذ يدقق النظر في القاعة الخالية إلا من جسد ملقى وسط بركة من الدماء، ما إن تبين صاحب الجسد الصريع حتى قفز من أعلى السور في سرعة وخفة ، ما إن لامست قدماه الأرض حتى تكور على نفسه وراح يتدحرج ممتصاً صدمة الهبوط ، توقف لحظات أمام الجسد المدمى والملقى على وجهه ، كان يصارع نفسه بألا يكون هو صديقه ورفيق عمره.. ارتكز على إحدى قدميه وهو يعدل من وضع القتيل.. ما إن رأى وجهه حتى تغيرت قسماته واضطرب قلبه برغم انه كان يعرف مسبقاً من هو.



« زولا» رفيق دربه طوال رحلاتهم على طريق تجارة الحرير. ذلك الطريق الذي لا يتناسب اسمه مع وعورة الأراضي التي يمر بها ، طريق لم يسكنه سوى الألم والظلام ، طريق قتل فيه معلمه ورفاقه ، إنه طريق الحرير.

أغلق عيني رفيقه الهائمتين فلم يكن هناك وقت للتباكي برغم الحزن الذي اعتصر قلبه. أرقده أرضاً وهو ينزع تلك القلادة عن رقبته ، قلادة تشبه كثيراً قلادته والتي تحمل شعار عشيرة النور ولكنها تحمل أيضاً اسم.. « سوجي» درة قلب والدها التي تنتظر عودة أب غاب عنها لفترة قد تطول كثيراً .

حمل نها رمحه وأخذ يتتبع خيط الدماء الذي يمتد عبر الأرضية الرخامية..

ذلك الخيط الذي يقوده إلى المجهول ..

إلى الموت المحتوم .

****

داخل تلك القاعة المكدسة بالتوابيت، التي زارها أحمد قبل قليل، اختلفت قليلاً مع ضوء القناديل التي أضاءت المكان ، وقفت أثينا تتابع ماردين الذي أخذ يوثق هاشما الفاقد الوعي إلى طاولة حجرية تتوسط الغرفة ، بينما اهتمت ليليتا بتقييد إليكترا التي كانت تتأوه في إشارة واضحة أنها بدأت في استعادة وعيها عندما قالت « أثينا « آمره :

- ماردين أسرع وافتح التابوت .

كانت تفتح أحد الصندوقين لتخرج منه مخطوطة الطقوس وتقوم بوضعها بين قدمي هاشم ، فتحت الصندوق الآخر لتأخذ الأحجار الأربعة وتقوم بوضعها على المخطوطة كل في مكانه عندما لاحظت أن ماردين مازال يحاول فتح غطاء التابوت لتصيح فيه :



- هيا أسرع أيها الأحمق .

لم يكن يتخيل يوماً أن يعامل هكذا وهو الأمير ماردين بن الامبراطور روبن حاكم القسطنطينية.. كان يحدث نفسه ويقسم أنه سيقتلها بعد مباشرة الطقوس ، أما هي فقد سيطر عليها التوتر والعصبية فهي على بُعد قيد أنملة من تحقيق هدفها وحلمها بعودة فلذة كبدها للحياة مرة أخرى..

وفتح التابوت ليصرخ « ماردين» في فزع و قد تملكه الرعب مما رآه داخل التابوت ، تحول نظر ليليتا إليه في استغراب و دهشة وهي ترى وجهه الشاحب وقد سيطر عليه الفزع ..

- أحمد لماذا فعلت هذا ؟؟

لم يجب أحمد وهو يرمق إليكترا التي كانت تحدثه بنظرات خاوية جامدة ، راحت تجهش بالبكاء مع بدء تلاوة الطقوس التي راحت أثينا ترددها في ارتياح .

****

« دائماً هناك لحظة فارقة.. هناك من يرسله القدر في الوقت المناسب»

هذا ما حدث عندما شق رمح نيها الهواء باتجاه الوالدة ، تفادته بشيء من الخيال ليتجاوزها مسقطاً أحد قناديل الزيت ولتبدأ القاعة في الاشتعال ، وبرغم ذلك لم تتوقف أثينا لحظة عن تلاوة طقوسها مع ارتفاع صوتها أكثر فأكثر..

قفز ماردين متجاوزاً أحد التوابيت ليقف أمام نيها الذي قال بتهكم :

- هل قاطعت حفلتكم ؟؟

أثار تهكمه الواضح غضب غريمه الحاقد وبدأ هجومه قائلاً:

- أخيراً التقينا.. فلنُسرع في إرسالك إلي الجحيم .



وتعانقت السيوف لتبدأ معركة تفيض بالكراهية والغضب و الانتقام . في ذلك الوقت كانت ليليتا تحاول إخماد النيران التي راحت تنتشر في سرعة حتى وصلت إلى إليكترا فأحرقت ذلك الحبل الذي كان يوثق يديها وقفزت بعد ذلك مسقطة ليليتا أرضاً مع صوت أثينا الذي أخذ في الارتفاع أكثر..

« انهض.. بحق أبيك.. انهض.. بحق من خدعوك.. انهض.. يا من كنت لعنة عليهم ..»

مع كلماتها أخذ التابوت في الاهتزازوبدأت تخرج منه ألسنة من النيران التي اختلفت عن مثيلتها فقد كانت ذات لهيب امتزج فيه اللون الأسود والأزرق، كان نيها يحاول أن ينهي معركته حتى يوقف تلك الشيطانة عن تلاوة تلك الطقوس، ضرب ماردين بركلة قوية أفقدت هذا الأخير توازنه ليتركه بعدها قافزاً باتجاه الوالدة التي كانت تحمل خنجرا ذهبيا لتهوي به على قلب هاشم أمام نظر إليكترا التي كانت تحاول التملص من قبضة ملكة اللصوص .

****



كان المشهد في تلك القاعة كالتالي:

أثينا تهوي بخنجرها نحو قلب هاشم الذي بدأ يستعيد وعيه .

شهقة إليكترا القوية وهي ترى الخنجر يتجه إلى صدر هاشم، حاولت ليليتا ألا تفلت إليكترا المقاومة من قبضتها وقد حملت عيناها زهوة النصر وهي ترى ما تفعله أثينا ، فيما كان ماردين ملقى أرضاً يحاول النهوض بصعوبة . أما نيها فكان يقفز عابراً أحد التوابيت باتجاه أثينا محاولاً التصدي لها .

في اللحظة التي كاد أن يلمس طرف الخنجر صدر هاشم ارتطم جسد أحمد بالوالدة ليسقطا أرضاً وسط النيران المشتعلة، و أخيراً تملصت إليكترا من قبضة ليليتا التي كانت تحدق في النيران بذهول كمن سُلب عقله . سيل من اللكمات منحته إليكترا لمنافستها ، لتقف بعد ذلك وتتوجه نحو الطاولة التي يرقد عليها جثمان هاشم ، فكت وثاقه لتحضنه فرحة بنجاته ، لكن فرحتها لم تكتمل مع رؤيتها لتلك المرأة التي خرجت من وسط النيران وقد تبدلت معالمها .

كانت أثينا تخرج من النيران وقد ازدادت طولاً و ظهر من خلفها جناحان عظيمان مع تلك القرون التي خرجت من رأسها وعيناها اللتان تحولتا إلى جمرتين من النيران ، وأمام ذهول إليكترا بدأت تتقدم نحوهما، ما إن رآها هاشم حتى قال في تهالك :

- اهربي أنتِ .

اغرورقت عيناها بالدموع :

- لن أتركك هنا ..

كانت تحاول أن تجعله يستند إلى كتفها عندما فاجأها ماردين ممسكاً



بها في قوة ، ولكن سرعان ما أفلتها بفعل تلك الكرة النارية التي أطلقها نيها نحوه، ما إن لامست جسده حتى اشتعل وبدأ في الصراخ محاولاً إخماد النيران التي شبت به ، ولكن نيها عاجله بركلة أفقدته توازنه ليرتطم بحافة التابوت ويسقط داخله مطلقاً صرخة ألم سرعان ما خمدت بفعل ذلك الدخان العجيب الذي يخرج منه ..

لم يكن أمام ليليتا سوى الهرب باتجاه الوالدة التي كانت قد تحولت لمسخ مرعب بأجنحتها الحمراء وقرونها الكبيرة المشتعلة ، ما إن وصلت ليليتا أمامها حتى أمسكت بها تلك الشيطانة ورفعتها من وجهها وسط صرخات ليليتا الفزعة. فتحت الوالدة فمها لتسحب روح ليليتا التي سقطت أرضاً وقد اهترأ جلدها حتى ظهرت العظام أمام نظرهاشم ورفيقيه ..

****

أخذ ذلك الشيء في الاقتراب من هاشم و إليكترا بينما كان يقف نيها على مقربة منهما يفصله عنهما بضع توابيت ، كانت النيران قد بدأت تخمد عندما دفع هاشم بكل قوته إليكترا عبر النيران لتصل بالقرب من نيها مع ذهول ذلك الأخير..

- اذهبا.. ويا هذا احمها .

كان هاشم يوجه كلماته إلى نيها الذي علم ما يدور بخلد هاشم الذي التفت مواجهاً ذلك الشيء دون أن يبالي بصرخات إليكترا و نيها يحاول إخراجها من القاعة ، انحنى هاشم ليحمل سيف ماردين وهو يقول في سخرية :

- لم يتبق سوى أنا وأنت.. أيتها العاهرة .

أطلقت هي فحيحا قويا وهي تركض بكل قوتها باتجاه هاشم الذي أحس



بلهيبها يلفح جسده ونصله يغرس بقلبها ، اهتزت الأرض بقوة ، تهشمت الدعائم الخشبية ، انهالت الحجارة كالمطر من سقف القاعة وهو ينهد.. سقطا سوياً حاول هاشم النهوض ولكن شيئا ما كان يجثم فوقه يعيق حركته.. مع تهاوي الأحجار ظهر مرة أخرى.. خرج أحمد من وسط النيران سليماً معافى كمن لم يلقى في الجحيم منذ قليل، وأمام عيني هاشم المتثاقلة، التي تحاول أن تظل يقظة وسط دوامة فقدان الوعي التي راحت تحيط به.. كان يرى أخاه يتقدم ليحمل جسد الوالدة المشتعل ، كانت تطلق خوارا يشبه خوار ثور ذبيح ..

حملها برغم ضخامة حجمها الجديد.. ألقى بها في التابوت، وما إن حوى جسدها حتى انفجر وتناثرت الأشلاء مع الحطام.. انفجرت التوابيت واحداً تلو الآخر.. النيران عمت المكان ولكنها سرعان ما خبت ، ليظلم بعدها كل شيء....

****

« أحمد أهذا أنت ؟؟؟»

اقترب هاشم منه في حذر.. وقبل أن تصل يده إلى كتفه.. التفت إليه..

نعم إنه أحمد ولكنه اختلف كثيراً .... وبصوت هادر قال :

« ستعاني يا هاشم»

- من أنت ؟؟؟

« أنا من جئت أنت لتمنع خروجه..»

دوى صوت كهزيم الرعد يصم الآذان ليختفي بعده أحمد مع سطوع ذلك الضوء الذي أغشى عين هاشم .

فتح هاشم عينيه متأملاً ذلك السقف المزين ببعض الآيات القرآنية إلى



جانب مزيج من الزخارف الزاهية الألوان، أداروجهه لتصطدم عيناه « بناصر الدين » الذي كان يقف بالقرب منه مرتدياً درعا ذهبيا لم يرَهاشم له مثيلا من قبل و ابتسامة عريضة زينت وجهه .

- حمداً لله على استرداد عافيتك وسلامتك أيها القائد .

تمتم «هاشم» وهو يعتدل في فراشه :

- ماذا حدث ؟؟؟ وأين أنا ؟؟

اقترب « ناصر الدين» قائلاً:

- « بعد مقتل ذلك الساحر« يورشي » حاصرنا بعض قواته وأثناء قتالنا معهم أخذت الأرض في الاهتزازوزُلزلت تحت أقدامنا وسرعان ما تهاوت، لنجد أنفسنا وسط مكان مكتظ بالحطام والحجارة وبعض النيران المشتعلة في أرجاء المكان . كان المكان أشبه بالدرك الأسفل من الجحيم لم نجد سواك وقد غطتك الحجارة.. حملناك وخرجنا وما لبثنا أن وجدنا أن المدينة قد تحررت من قبضة الشر وانتهى كل شيء».

اعتصرهاشم عقله محاولاً تذكر ما حدث وذلك الصوت مازال يدوي في رأسه ..» أنا من جئت لتمنع خروجه « .. ترى هل كان حلماً أم أنه سمع هذا قبل أن يفقد الوعي داخل ذلك القبو ؟؟؟

لماذا حمل ذلك الشخص وجه أحمد الذي كان شاحباً وقد توهجت عيناه باللون الأحمر؟؟

« أنا من جئت لتمنع خروجه»

- أخيراً أميري استرد وعيه .



انتشلته كلمات إليكترا الناعمة ليحول وجهه نحوها . كانت خلابة بذلك الثوب الهوتاني المزركش بدت كأميرات الأساطير اقتربت لتلثم قُبلة على رأسه أمام « ناصر الدين » الذي ابتسم في خجل وهي تقول :

- كيف حالك الآن ؟؟

- هل وجدتم أحمد ؟؟؟

أجاب ناصر في سرعة :

- لم نعثر له على أي أثر وسط الحطام .

التفتت إليكترا إلى هاشم الذي كان يحاول النهوض وهي تقول :

- للأسف لم نعثر على أحمد لقد ضحى بحياته من أجلنا جميعاً ومن أجل البشرية..

خطا هاشم بضع خطوات وهو يتمتم :

- أحمد و بيتو سيظل التاريخ شاهداً على تضحياتهما.. لماذا يكتب علي النجاة بفضل أصدقائي ؟؟

- هاشم إنها سنن الحياة..

أنهت إليكترا كلماتها وهي تضع يدها على كتف هاشم الشارد ، قطع لحظات الصمت صوت ناصر الدين :

- والآن عليك أن ترى ما بالخارج أيها القائد.. فمازال أمامنا الكثير لنقوم به.. فمازالت جيوش الموتى تحتل مناطق كثيرة وعليك محاربتها .



عقد هاشم حاجبيه وهو ينظر إلى إليكترا التي أومأت برأسها في إشارة «أن امضِ في طريقك»، تقدم ناصر الدين إلى الباب الخشبي ليفتحه في بطء ،وما إن انفرج حتى ظهر خلفه نيها ونيوكر يحمل كل منهما ابتسامة لم يفهم هاشم سببها ، بينما ارتدى الاثنان درعين ذهبيين شبيهين بما يرتديه ناصر، ومن على اكتافهم انسدلت بردات بيضاء , تقدم هاشم وسط دهشته إلى الشرفة بينما أفسحا له الطريق في تبجيل.. ما إن وصل للحافة المزينة بالنباتات المتسلقة والألوان المختلفة من الزهور حتى برقت عيناه وهو يرى ذلك الجيش الجرار ذا الرايات الذهبية التي تخفق في قوة ..

وعلى صوت الجموع :

«فليحيا الملك هاشم الأول»

وفي السماء كان يحلق الباشق مطلقاً عقيقه المميز..

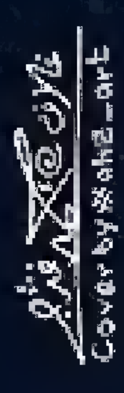
معلناً بذلك بدء حقبة جديدة ..

تمّت بحمد الله وفضله

* * *

رواية
طريق الحرير

في أصعب لحظات حياتنا شيء يدفعنا للأمام وعندما تفقد حياتنا كـل معنى نجد شيئاً .... شيئاً يجعلنا نستمـر في المضي قدماً .





دار كتوبيا للنشر والتوزيع